

علي بن إبراهيم النملة

الشرق والغرب

منطلقات العلاقات ومحدداتها



الشرق والغرب

من حلقات العلاقات ومحاذاتها



١٤٢٠ هـ علي بن إبراهيم النملة، (١)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية لثناء الفنشر
النملة، علي بن إبراهيم

الشرق والغرب منطلقات العلاقات ومحدداتها

علي بن إبراهيم النملة، ط٢ - الرياض، ١٤٣٠ هـ

٣٥٢ ص؛ ١٤ سم × ٢١ سم

ردمك: ٣ - ٦٠٣ - ٤٠٧٧ - ٩٧٨

١ - المقالات العربية - السعودية ٢ - العالم العربي -

العلاقات الخارجية - الغرب أ. العنوان

١٤٣١/٣٠٠ ديوبي ٠٨١

رقم الإيداع: ١٤٣١/٣٠٠

ردمك: ٣ - ٦٠٣ - ٤٠٧٧ - ٩٧٨

الطبعة الثالثة

١٤٢١ هـ / ٢٠١٠ م



الشرق والغرب

منظلمات العلاقات ومحدداتها

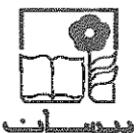
علي بن إبراهيم الحمد النملة

أستاذ المكتبات والعلوم

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الطبعة الثالثة

م ٢٠١٠ / هـ ١٤٣١



• اسم الكتاب: الشرق والغرب، منطلقات العلاقات ومحاذاتها

• تاليف: علي بن ابراهيم الحمد الفملة

• الطبعة الأولى: تشرين الأول (اكتوبر) 2010 م

• جميع الحقوق محفوظة © بيسان للنشر والتوزيع والإعلام

• لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختران مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله،

على أي نحو، أو بأي طريقة سواء أكانت «الكترونية، أم «ميكانيكية، أم

بالتصوير، أم بالتسجيل أم خلاف ذلك. إلا بموافقة كتابية من الناشر ومقدماً.

• الناشر: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام

ص. ب: 5261 - 13 - بيروت - لبنان

تلفاكس: 351291 - 1 - 961

E-mail: info@bissan-bookshop.com

Website: www.bissan-bookshop.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّنْ ذَرَّةٍ وَأَنْشَأَنَاكُمْ شُعُورًا
وَبِإِيمَانٍ لِتَعْرَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَسِيرٌ﴾

[سورة الحجرات : ۱۳]

التمهيد

الحمد لله وحده والصلوة والسلام على سيدنا رسول الله
محمد بن عبد الله وأله ومن والاه، وبعد؛

فتتعرّض العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب منذ قرون إلى قدر كبير من الشدّ والجذب الفكري والديني. وقد دارت مساجلات فكرية طاحنة حولها ونشأت مدارس فكرية وتخصصات أكاديمية، وظهر على الساحة مفكرون من الجانبين نذروا حياتهم وفکرهم لاعمال النظر في هذه العلاقات نشأة وتطوراً وتجاذباً بين عوامل التقارب والتعايش أو الفرقة والعزلة والصراع والتصادم.

ويوظف النقاش حول هذه العلاقات بحسب الرغبة في الالتقاء أو تعميق الفجوة بين الشرق والغرب. وقد أسهمت محددات عدّة في هذا التوجّه أو ذاك. ويأتي هذا الكتاب محاولة



لرصد هذه المحددات، التي أثرت في وجود شكلٍ من أشكال الحوار ومن ثم الالتقاء بين هذين المفهومين.

وقد وصلت المحددات إلى سبعة عشر محدداً من محددات العلاقة، بدءاً بالجغرافيا (الجهوية)، من حيث النظرية إلى الجهة، ثم ما تعلق بالجهة، وكان فيها محاولة لتحديد مصطلحي الشرق والغرب، مع التوكيد على الاصطلاح الإجرائي الذي قصد بالشرق الثقافة النابعة من العرب والمسلمين، وقصد بالغرب الثقافة النابعة من الغربيين بمعتقداتهم الغالبة في الغرب، من حيث تطبيقها على أرض الواقع الغربي، من دون النظر إلى الجهة أو الجغرافيا، ثم عرجت على بقية المحددات الأخرى، وتوسعت في بعضها دون بعض، كالاستشراق والاستغراب والتنصير وال الحوار، بحسب الشعور في الرغبة في التوسيع لأهمية هذه المحددات، التي جرى فيها توسيع ملحوظ، وسعيت إلى تحديد المفهوم في مطلع كل محدد رأيت أنه يحتاج إلى تحديد مفهومه وتحرير مصطلحه.

يحمل هذا الكتاب عنوان: **الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدداتها**؛ ذلك أنه ينبغي أن يُنظر إليها على أنها محاولة لرصد عدد من العوامل، سواء في الماضي أم الحاضر، كان لها أثرٌ في تحديد العلاقة، فهي إذاً منطلقات ومحددات مؤثراتٍ في آنٍ واحد.



قد ينظر إلى هذه المحددات على أنها مؤثرات، أكثر من كونها محددات، إلا أنّ الأولى جعلها محددات على اعتبار أنها تحدّد العلاقة أكثر من كونها تؤثّر فيها، لا سيما أنها صاحبت ظهور الإسلام واستمرّت معه حتى يومنا هذا. فهي في واقعها تغطي الأرمنة الثلاثة: الماضي والحاضر وربما المستقبل.

لا يهدف هذا الكتاب إلى اعتبار هذه المحددات والمؤثرات من المسلمات، بل هي أطروحت خاصّة للنقاش والمحوار العلمي من قبل المتخصصين والمهتمّين في دراسة العلاقات بين الشرق والغرب، ولذا سيلاحظ المتابع تكرار بعض الأفكار، بحسب دواعي استجلابها، عند مناسبة ذلك داخل المحدد نفسه.

جرت المحاولة إلى ترتيب المحددات بحسب تجانسها منطقياً، وجُمع بين الاستشراق والاستغراب والتغريب والاغتراب، والإرهاب والحرروب واليهودية والتنصير، والحقوق والعرقية، والعلمنة والعلومة والإعلام. وانتهت بالمحدد السابع عشر وهو الحوار الذي اتّضح فيه تداخل الأفكار مع المحددات الأخرى، ومن ثمّ تكرار التعرّض للمؤيدات، التي سبق التطرق لها في محددات سابقة.

كان القصد من تأخير هذا المحدد السابع عشر، التوكيد على أنه مهما قامت بين الشرق والغرب من مؤثرات سلبيّة في الماضي والحاضر، إلا أنّ عوامل الالتقاء والتفاهم والتعايش



تفوق تلك المؤثرات التي توحى بخلاف ذلك. ولذا جاء النقاش في هذا المحدد من أطول المحددات، إن لم يكن أطولها.

عِمَد الطرح هنا إلى الموضوعية في النقاش والهدوء في العرض قدر الإمكان، من دون اللجوء إلى أسلوب عاطفي هجومي أو دفاعي قد يصل أحياناً إلى تعمية الحقيقة. إلا أنَّ الباحث في الشأن العلقي بين الشرق والغرب، مهما حرص على أنْ يبدو موضوعياً، فإنَّ الانتماء الثقافي وربما الجهوي والهوية والدين قد تطلُّ برأسها في سياق الطرح والنقاش، ولذا فإنَّ المهم هنا ليس الحياد العلمي بالمعنى الصارم للمفهوم، وإنما الشفافية في الأطروحات حتى لا يختلط الذاتي بالموضوعي فتختلط الأوراق فيُلبس الأمرُ على المتابع. ومن الشفافية نقد الذات في هذا النقاش وتحميلها ما قد تكون أسهمت فيه في توسيع الفجوة بين الشرق والغرب.

جاءت هذه الوقفات في قسمين رئисين؛ كان القسم الأول معنِّياً بالمقَدَّمات التي سميت بالمنطلقات. وكان القسم الثاني معنِّياً بالمحَدَّدات التي عبرت عن وجهات نظرٍ مستقلة من الرغبة في إبراز الانتماء الثقافي الواضح فيها. ولذا فقد كثُر فيها الاستشهاد بالأيات الكريمة والأحاديث الشريفة ما وُجدت لذلك مناسبة، دون تعمُّد المبالغة في إقحام النصوص في مناسبات لا تظهر فيها الحاجة إلى الإقحام.



منذ الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ثم الثانية ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م بربت للباحث موضوعات عدّة ذات علاقة بهذا الشأن تناقض صناعة الكراهية بين الثقافات والتجسيم الحضاري بين الثقافات ومجالات التأثير والتأثير بين الثقافات، وهاجس المؤامرة في الفكر العربي، والخصوصية الثقافية أو الاستثناء الثقافي وإشكالية المصطلحات والمفاهيم، وترجمتها الباحث إلى عدد من الأعمال البحثية سيرد ذكرُ لها في ثانياً النقاش، مما يدخل في مفهوم الاستشهاد الذاتي المعروف لدى الورّاقين المعاصرین. ولعلَّ هذا ما يسوغ تكرار أفكار المؤلِّف في أكثر من موضع أو كتاب. ويعني هذا أنَّ هذه الطبعة الثالثة قد اصطبفت بصبغة اختلقت نوعاً ما عن الصبغة التي ظهرت بها الطبعتان الأوليان، بما في ذلك لهجة النقاش التي يظهر أنها مالت إلى الطرح القريب من الرغبة في الالقاء. والذي يرجوه الباحث أن تكون هذه الصبغة أقرب إلى الموضوعية من سابقيتها.

لا بدَّ في ختام هذا التمهيد من كلمة شكر وتقدير لكلٍّ من أسهموا معي في إخراج هذا الكتاب في طبعته الأولى (سنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، منذ أنْ كانت أفكاراً مشتَّتَة في بطون الصحف. وأخصُّ بالشكر رؤساء تحرير الصحف التي احتضنت هذا الطرح بصورة مقالات صحفية أسبوعية.

كما أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لأنّي العزيز الأستاذ



الدكتور إبراهيم بن محمد الحمد المزینی، أستاذ الحضارة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الذي تفضل بقراءة الكتاب، ووضع بعض اللمسات عليه في الموضوع والشكل.

وكذلك أخي العزيز معالي الدكتور يوسف بن أحمد العثيمين، المستشار لوزير الشؤون الاجتماعية (وزير الشؤون الاجتماعية لاحقاً) الذي تفضل كذلك بقراءة الكتاب وسجّل عليه ملحوظاته التي أثرتْه وكان لها أثر في الصياغة النهائية.

وللمصدِيق العزيز الأستاذ محمد بن عبدالعزيز الهزاع فضل في المتابعة والنقد والنظرية الكمالية والإسهام في تصميم الغلاف الخارجي للكتاب.

كماأشكر من كان له أثر في إخراج الطبعة الثالثة من هذا الكتاب بالملحوظات التي تلقيتها علىطبعتين السابقتين، مما دعا إلى إعادة النظر في الصياغة شكلاً ومضموناً، وتحديث المعلومات وزيادة التوثيق، مما أثرَ على النقاش وجعله مختلفاً إلى حدٍ يسير عن السابق فيطبعتين السابقتين. وكان الله في عون الجميع.

علي بن إبراهيم الحمد النملة
الرياض

شعبان ١٤٣١ هـ / أغسطس ٢٠١٠ م



القسم الأول

المُنطلقات



المنطلق الأول

الاهتمام

يزداد الاهتمامُ اليوم بالإسلام وال المسلمين من قِبَل أولئك الذين لا يدينون بالإسلام وليسوا من المسلمين. ليس هذا الاهتمامُ جديداً على الإسلام والمسلمين، فقد اهتمَ به الآخرون منذ بعثة محمد ﷺ، فالإسلام يقدّم نفسه على أنه بديلٌ لجميع الأنظمة والقوانين القائمة التي تريد أن تهيئَ للإنسان حياةً طيبةً وتحققَ له الرفاه الاجتماعي، ولكنها في نظر المسلمين تقصُّر دون ذلك؛ لأنها لا تملك القدرة على وضع النظام المتكامل، الذي يهيئ للإنسان حياةً طيبةً في الدنيا والآخرة.

وأزدياد الاهتمام بالإسلام وال المسلمين اليوم ناتجٌ على ما يليه عن سببين رئيسيين؛ أولهما هذه العودة الصادقة، التي يسمّيها بعض المتابعين بالصحوة أو الإحيائية الثانية، إلى الإسلام في المجتمعات المسلمة، والجاليات المسلمة المفتربة في المجتمعات غير المسلمة.

وال المسلمين اليوم - بفضل الله تعالى - موجودون في كل



المجتمعات، وهم في ازدياد ملحوظ يأتي على حساب الثقافات الأخرى التي ما فتئ المتممون لها يحدّرون من هذا «الطوفان» الذي يحتاج مجتمعاتهم في ضوء تناقضهم السكاني «الديموغرافي»، ومن ثمّ يغّير في التركيبة السكانية والتوجهات الثقافية.

وكان المسلمون موجودين من قبل في العرب خصوصاً، ولكنهم لم يكونوا يجهرون بإسلامهم بالصورة الواضحة التي يعلّونها اليوم، بل إنّ منهم من نسي الإسلام في تلك المجتمعات غير المسلمة، وربما أنه هرب من المجتمع الإسلامي المُتدنّين واندمج في الثقافة الغربية بقدر عالي من النبه، فوصل به الأمر إلى الانسلاخ التدرجي من الهوية الإسلامية.

وحيث وجد الفراغ الروحي لدى هذه الفتنة بحثوا من جديد عن جوانب التعلق بالله تعالى، من خلال العقائد الموجودة في المجتمعات التي يعيشون فيها، ومن ذلك إعادة النظر في ما انسلخوا عنه من قبل، والتفكير بالعودة إليه في ضوء القلق الذي يحتاج الثقافات الأخرى التي نظر إليها من قبل على أنها هي البديل الأولي.

هذا مع عدم إغفال ما ترتب على هذه العودة، أو الصحوة أو الإحياءية، من تطورات في فهم الإسلام، خرجت به في حالات عن الفهم الصحيح، مما ترتب عليه نشوء حالات من الغلو (التطّرف) من جانبي؛ غلو في الالتصاق بالدين، وغلو في تكيف الدين للحياة الجديدة، لا تكيف الحياة الجديدة للدين، وبرزت آثار ذلك



محليًّا وعالميًّا على المستوى الفردي أو على مستوى الجماعة، مما كان سببًا في انتطاء الإسلام في أعمال لا يقرُّها الإسلام الذي قام على السماحة والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة والتي هي أحسن داخل المجتمع المسلم وخارجه.

والسبب الثاني الرئيسي لزيادة الاهتمام بالإسلام أنه مع عودة المسلمين إلى الإسلام بدأ انحسار العقائد الأخرى لدى الآخر،^(١) تلك التي كانت تشغل الساحة العالمية كالشيوعية مثلاً، فعندما انقضت الشيوعية عاد معتنقوها إلى خلفياتهم السابقة، التي أخفيت قبل تسعين سنة مضت منذ الثورة البلشفية في ذي الحجَّة من سنة ١٣٣٥ هـ أكتوبر من سنة ١٩١٧م، فالنصارى بدأوا يتلمّسون نصرانيتهم من جديد، والمسلمون وجدوا في العودة إلى الإسلام بديلاً للتوجُّه الشيوعي أو الاشتراكي أو القومي المناهض أو العلماني للدين، الذي فرض على معظمهم بقَوَّة السلطان والثورات، حتى وصل بعضهم إلى الاقتناع به خيارًا وحيداً للحياة.^(٢)

(١) يعبّر بالأخر بدلاً عن الغير كلما وردت لما يحدّثه لفظ الغير من ليس في اختيار اليهود له يعبرون به عن غير اليهود، وربما يسمونهم الأغيار، مع الأخذ بالأعتبر قرارات المثقفين العرب، الذين عقدوا لقاء في تونس، سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م، سعوا فيه إلى وضع إستراتيجية ثقافية عربية ومن ضمنها اختيار «الغير» بدلاً من «الآخر». وكانت قد استخدمت لنقطة «الغير» في الطبعتين السابقتين، فعدلت عنها في هذه الطبيعة.

(٢) انظر: هيثم الجنابي. الإسلام في أوراسيا. - دمشق: دار المدى، ٢٠٠٣م. - ٢٨٧.



ومع هذا التفرّغ لوحظ أنَّ الذي يمكن أنْ يملأ هذا الفراغ هو الإسلام، ولذا كان لا بدَّ من زيادة الاهتمام بالإسلام وال المسلمين، ليس بالضرورة رغبةً في التعرُّف عليه لتبنيِّه، ولكن الذي يبدو هو محاولات تجثُّبِه والحدُّ من انتشاره وعدم حلوله بديلاً للأنظمة المتعشة والقائمة آنذاك.

ومن المؤسف أنَّ الإسلام في المجتمعات غير المسلمة يُقدم علمياً وثقافياً من خلال مجموعة من مراكز الدراسات الإسلامية أو العربية أو الشرق أوسعية الأكاديمية، ويجمعها جميعاً اسم المراكز الاستشرافية، وبعض هذه المراكز ينطلق من خلفية معادية للإسلام، فهي تصوَّر الإسلام بالصورة التي صوَّرها فيها طلائع أرباب هذه المراكز قبل أكثر من ثمانين سنة خَلَتْ،^(١) لا سيَّما مع انتهاء حروب الفرنجة أو الحروب الصليبية، وعودة الصليبيين إلى ديارهم من دون تحقيق الأهداف التي جاؤوا إلى الشرق من أجلها.^(٢)

ولا يُعتقدُ، في الجانب الآخر، أنَّ المراكز الإسلامية

(١) انظر على سبيل المثال: هنري ماسيه. الإسلام / ترجمة بهيج شعبان، تقديم مصطفى الرافعى ، تعليق محمد جواد مغنية . - ط. ٣ . - بيروت: منشورات عويدات، ١٩٨٨ . - ص ٢٨٢ .

(٢) سيأتي نقاش دوافع الحروب الصليبية في المحمد الخامس: الحروب. وانظر: أيوب أبو دية. حروب الفرنج حروب لا صليبية . - بيروت: دار الفارابي ، ٢٠٠٨ . - ص ١٨٢ .

«الدعوية»^(١) التي يديرها مسلمون قد وفقت إلى الآن في تقديم الإسلام بتصوره الواضحة لغير المسلمين على المستوى الذي تقدمه لهم مراكز الدراسات الإسلامية الاستشرافية لأسباب متعددة، من أهمها قلة العلماء في المراكز الإسلامية وقلة الإمكانيات من الأموال والكتب، وبالتالي ضحالة المعلومات التي تقدم الإسلام للأخر بتصوره الواضحة.

ومع أنَّ المراكز الإسلامية «الدعوية» التي أقامتها الجاليات المسلمة المغتربة ذات طابع دعوي، إلا أنها تقتصر في أغلب الأحيان على دعوة المسلمين أنفسهم، وإنْ كانت أحياناً تمدُ خدماتها لغير المسلمين.

ويحاول الدعاة والعلماء الآن في المجتمعات المسلمة والجمعيات الإسلامية، نقل الصورة الصحيحة عن الإسلام إلى المجتمعات غير المسلمة، كما أنهم يحاولون كذلك توضيح الإسلام الصحيح للMuslimين العائدين إلى الإسلام مثل حرصهم على تقديمهم لغير المسلمين.

وليست هذه المناقشات بقصد طرح أوليات العمل الإسلامي في الخارج، بقدر ما يراد منها التوكيد أنَّ هذا الاهتمام

(١) سُمِّيت بالدعوية هنا لأنها تمارس الدعوة إلى الله بالمفهوم الشامل لمصطلح الدعوة إلى الله الذي تتعدد وسائله، وتقييم شعائر الإسلام، بخلاف المراكز «العلمية» التي تتحوّل معاكِسًا لهذه المراكز، فتعتمد في الغالب الإسهام في تشويه الإسلام.



المتزايد بالإسلام وال المسلمين اليوم يفرض على المسلمين نمطاً مختلفاً من التعامل مع الآخر في الجوانب العلمية والدعوية، يستوجب الحرص المتواصل، من قبيل المعينين بشأن العلاقات بين الشرق والغرب أو العالم الإسلامي والآخر، على العمل لتقديم الإسلام بصورة الصحيحة، بدلاً من أن يُترك المجال لتلك الفئات التي أخطأت في فهم الإسلام، ونقلت هذا الخطأ في الفهم إلى الآخرين، فتراكمت الأخطاء وخسر الجميع.



المنطلق الثاني

الحقائق

هناك حقائق عدّة تحكم العلاقة بين المسلمين والغرب، وليس كما يقال عادة بين الإسلام والغرب. ولا بد من وضع هذه الحقائق في الحسبان عند اعتبار هذه العلاقة. ومن هذه الحقائق تلك التي ذكرها المؤلف هادي المدرسي في كتابه: لثلا يكون صدام حضارات: الطريق الثالث بين الإسلام والغرب.^(١) ومجمل هذه الحقائق يتلخص في الآتي:

١ - الحقيقة الأولى: أنّ ذاكرة المسلمين تحفظ بصور سلبية حول تعامل الآخر معهم، ذلك أنّ العالم الإسلامي قد تعرّض، ولا يزال يتعرّض لهجمات غير مسوّغة من قبل أرباب الديانات الأخرى وأتباعها.

(١) انظر: هادي المدرسي. لثلا يكون صدام حضارات: الطريق الثالث بين الإسلام والغرب. - بيروت: دار الجديد، ١٩٩٦م. - ص ١٧٤.

٢ - الحقيقة الثانية: أنَّ معظم أقطار العالم الإسلامي قد تعرَّضت للاحتلال «الاستعمار» العسكري المباشر، الذي جسم على المجتمع المسلم ردحاً من الزمان، تخطى في بعض الجهات مئات السنين، وترك آثاراً سلبية ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية، لا تزال المجتمعات المسلمة تعاني منها.

٣ - الحقيقة الثالثة: أنَّ هناك تميِّزاً ضد المسلمين قائم على سوء فهم العالم الإسلامي، مبنيٌّ على استقاء المعلومات من علماء غربيين مستشرقين، لم يكونوا في مجلهم منصفين للMuslimين، ولقد ذكر الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون عن المسلمين أنه: «ليس هنالك من شعب له صورة سلبية عند الأميركيين بالقدر الذي للعالم الإسلامي»،^(١) فيكبُر ما يتعرَّض له الغربيون من بعض المسلمين، ويُصغَر ما يتعرض له المسلمون من بعض الغربيين.

٤ - الحقيقة الرابعة: أنَّ هناك خلطاً بين المسلمين وبعض الحكومات التي لا تمثُّل بالضرورة المسلمين فيها. وحتى تزداد الصورة وضوحاً، فإنَّ هذا ينطبق على الحكومات الشيوعية التي فرضت على شعوب مسلمة، ومثل هذا يقال

(١) انظر: هادي المدرسي. ثلاثة يكون صدام حضارات: الطريق الثالث بين الإسلام والغرب. - المرجع السابق. - ص ١٠٢.



عن أولئك الذين سعوا إلى تبني الشيوعية أو الاشتراكية أو القومية أو العلمانية بديلاً من الإسلام.

أفرزت هذه الحقائق الأربع تنميّة العالم الإسلامي إلى أنه عالم يتعطّش للحروب مع أنه هو المحارب، وبالتالي ظهر الفهم الخاطئ أنَّ الإسلام يدعو أتباعه إلى العنف والإرهاب، بالمفهوم الغربي للإرهاب القائم على التروع والتخرّب وأخذ الأبراء بأخطاء المذنبين.

كما أفرزت هذه الحقائق اعتبار المسلمين قوَّةً جيوسياسيةً موحَّدةً متزايدةً من حيث السُّكَّان والثروات، إذ يؤلِّف المسلمون الأكثريَّة في ستين (٦٠) دولة، ويتجاوز نمو المسلمين ١٥٪ من حيث تحول الناس إليه (الهداية)، ومن حيث التكاثر، ويحتضن العالم الإسلامي ٦٦٪ من نفط العالم و٣٧٪ من الغاز،^(١) والموارد البشرية ونسبةً عاليةً من الثروات الطبيعية الأخرى كالفوسفات مثلاً. ومن ثمَّ ظهرت الدعوة إلى تجزئة العالم الإسلامي وتفتيته ومنعه من الوحدة، بل وإثارة المشكلات، لتصبِّ دولُ العالم الإسلامي بعضُها ببعض، فيدعمُ الطرفان بطريق مباشرةً أو غير مباشرةً كما حدث بين العراق وإيران، ثم بين العراق والكويت.

ومن الدعم غير المباشر كذلك زيادة حدة التوترات في

(١) انظر: هادي المدرسي. ثلاثة يكون صدام حضارات: الطريق الثالث بين الإسلام والغرب. - المرجع السابق. - ص ١٠١ - ١٠٠.



العالم الإسلامي في المجال الفكري، ثم تأييد حركة الحداثة لمواجهة الحركات الإسلامية^(١) التي تسمى بالأصولية وضرب هؤلاء بأولئك.^(٢) وكذلك تأييد الحركات الانفصالية للأقليات غير المسلمة داخل العالم الإسلامي، كما هو حاصل في جنوب السودان وشرق تيمور في إندونيسيا. وربما قيل إنَّ هذه الحقائق الأربع لم تنطلق من واقعية في التطبيق، وبالتالي فإنها غير صحيحة. ويدرك هادي المدرسي أنَّ عدم واقعيتها وعدم صحتها نابعٌ من وجهات عدَّة:

أولها: أنها تستند إلى مبدأ احتلالي «استعماري» قد يُقال هو: فرق تسد، وهو مصطلح سياسي عسكري اقتصادي الأصل اللاتيني له «divide et impera». ويعني تجزئة قوَّة الخصم الكبيرة إلى أقسام متفرقة لتصبح أقلَّ قوَّة وهي غير متحدة ببعضها مع بعض مما يسهل التعامل معها كذلك يتطرق المصطلح للقوى المتفرقة التي لم يسبق أنْ اتحدت والتي يراد منها من الاتحاد وتشكيل قوَّة كبيرة يصعب التعامل معها.^(٣) ويُترجم ذلك قول الشاعر العربي:

(١) انظر: عبدالله بلقزيز، محاور. الإسلام والحداثة والمجتمع السياسي: حوارات فكرية. - بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٤ م. - ص ١٤٧ (سلسلة حوارات المستقبل العربي: ١).

(٢) انظر: محمد عمارة. الأصولية بين الغرب والإسلام. - القاهرة: دار الشرق، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م. - ص ٩٦.

(٣) انظر: موسوعة ويكيبيديا الحرَّة على موقعها في الشبكة العنكبوتية «الإنترنت». - ١٢/٦/١٤٣٠ هـ الموافق ٢٣/١١/٢٠٠٩ م.

تأبى الرّماح إذا اجتمعَ تكُسّرًا إذا افْتَرَقَنْ تَكَسَّرَتْ آخَادًا
 وثانيها: أنَّ الإِسْلَام يقف بأتّابعه صفاً واحداً لأيّ عدوٌ
 خارجي، مهما كانت المحاوّلات لتمزيقه إلى طوائف وقوميّات
 وأعرّاق.

وثالثها: أنَّ هناك انبعاثاً جديداً في العالم الإسلامي سمي بالصحوة، وهناك من يتحفظ على هذه التسمية، والإسلام ليس دينًا منفصلاً عن الحياة، كما هو الحال التي آلت إليه في الأديان الأخرى، وأنَّ الإسلام نفسه بال المسلمين هو الذي يأتي في «مقدمة الأسباب المحورية التي أذَّت إلى انهيار الشيوعية في العالم الشيوعي نفسه». (١)

(١) انظر: هادي المدرسي. لثلا يكون صدام حضارات: الطريق الثالث بين الإسلام والغرب. - المرجع السابق. - ص ١٠٢.



المنطلق الثالث

المسلمات

تنطلق المسلمات الآتية من خلال عدد من النقاط التي يمكن أن ينظر إليها على أنها كذلك، أو على أقل تقدير ينبغي أن ينظر إليها على أنها الأرضية التي تمهد لهذه المسلمات، على الأقل ينظر إليها على أنها موجهات بقدر ما هي تحديد للهوية التي تنطلق منها. ويمكن النظر إلى هذه المسلمات من خلال الآتي:

أولاً: أنَّ الحديث عن الإسلام وعلاقته بالثقافات الأخرى السابقة والقائمة واللاحقة حديث طويل ومتفرع ويخضع للرأي في كثير من الأحوال، إلا أنَّ ضابطه دائماً، من وجهة نظرنا نحن المسلمين، مبدأ الولاء والبراء من جهة،^(١) والتعامل المطلوب

(١) الولاء والبراء مفهوم شرعي، ذو صلة بعقيدة المسلم في علاقته مع الغير. وهناك جدل قائم حول معناه وبنائه. كما أنَّ هناك تفسيرات قد يظهر عليها التشدد، وأخرى قد يظهر عليها التسامح في التعامل مع الآخر، لا سيما مع أولئك الذين هم ليسوا في حالة حرب مع المسلمين. وهذا ما يأخذ به هذا

والتفاعل المتوقع القائم على السماحة والحكمة والمجادلة والتي هي أحسن، دون الذل والتهاون من جهة ثانية.

ثانياً: لم تعد كلمة الغرب توحى بالجهة المقابلة للشرق، ولكنها أصبحت مدلولاً اصطلاحياً يعني ثقافةً غربية، بغض النظر عن الجهة. وأمست هذه الثقافة الغربية تفضي إلى مناقضة الإسلام، مما يدعو إلى اتخاذ موقف من هذه الثقافة. ومما يدعو أيضاً إلى تصحيح هذا المفهوم القائم على التناقض.

ثالثاً: أنَّ الموقف المستَخدَم تجاه الغرب قد يكون على أنواع

ثلاثة :

فالنوع الأول: هو الذي يلفظ الغرب، بكل ما توحيه الكلمة من ثقافة مستعلية، بل وأعراق تزعم الفوقية، إلى درجة القول إنَّ الغربيين أنصاف آلهة وغيرهم من الملَّوِّنِين أنصاف بشر!

والنوع الثاني: هو ذلك الموقف الذي يتقرَّب إلى الغرب، ويحاول تطويق الإسلام له، لا تطويقه للإسلام، ويعتذر للغرب إذا كان في الإسلام ما لا يتفق مع الثقافة الغربية.

والنوع الثالث: هو ذلك الموقف الذي يرى أنَّ الغرب ساحةً مفتوحة، متعطشة إلى الاستقرار الروحي والذهني

= الكتاب. انظر: محمد بن سعيد بن سالم القحطاني. الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف / بإشراف: محمد قطب. - الرياض: دار طيبة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م. - ص ٤٧٦.

والاجتماعي، وأنَّ الفرصة مواتية لتقديم هذا الاستقرار بأنواعه من خلال الإسلام.

رابعاً: أنَّ الغرب ينظر إلى الإسلام على أنه القوَّة الكامنة، أو العدوُّ القادم أو الخطر القائم.^(١) وهو على ما يبدو يخشى هذه القوَّة القادمة، لما يعتقد من أنها ستؤثِّر مباشرة في معطيات الحضارة الغربية، وسترجع الشعوب والحضارات إلى الوراء، وما يتبع ذلك من خسران للتجربة الديمقراطيَّة الغربية في المتنزِّل والمكتب والمدينة والمقاطعة والولاية والدولة.

خامساً: أنَّ الغرب بعلاقته بالشرق، وهو الإسلام هنا، يقوم على فكرة استشرافية قديمة تتجدد، بُنِيت على تشويه الإسلام، ذلك التشويه الذي أججته مواقف المسلمين من الحروب الصليبية، وعدم سماحهم للحملات بالنجاح على حساب المسلمين.

سادساً: أنَّ الغرب بعلاقته بالشرق، وهو المسلمون هنا، يقوم أيضاً على فكرة التنصير، وأنَّ الشرق ينبغي أن يكون غرباً في المفهوم الديني كذلك، وأنه في سبيل إنقاذ الشرق من أيٍّ شرًّا لا بدَّ أنْ يتحول الشرق إلى عالم نصراني.

(١) انظر: فنسان جيسير. الإسلاموفوبيا/ ترجمة محمد صالح ناجي الغامدي وقسم السيد آدم بهله. - الرياض: المجلة العربية، ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩ م. - ص ١٩٢.



سابعاً: أنَّ الغرب بعلاقته بالشرق، وهي البلاد الإسلامية هنا، يقوم كذلك على خلفية احتلالية «استعمارية»، كانت في يوم من الأيام هي المسيطرة على الشرق، حينما كان الشرق نائماً لا يملك قدرات بشرية تفُّكر وتفقد وتعمل.

ثامناً: أنَّ الغرب بعلاقته بالشرق، وهي البلاد الأخرى هنا، يقوم أيضاً على نظرة عرقية، مفادها تفوق الأعراق الأوروبية من أرية وغيرها على الأعراق الأخرى، بل والأجناس الأخرى كالسامية، فيما يتعلق بالعرب من المسلمين. وهذه النظرة وما قبلها أملت على الغرب الشعور بالفوقية والسمو على الأجناس الأخرى.

تاسعاً: أنَّ الشرق الآن والعالم الإسلامي منه بخاصة، يعيش حالةً من النهوض نسميه بالصحوة، أو بالعودة إلى الدين، مما يجعل نوع العلاقة مع الغرب يأخذ شكلًا آخر هو أقرب إلى الأشكال التي قامت عليها العلاقة قبل الحملات الصليبية التسع وأثناءها وبعدها قليلاً.

عاشرًا: أنا لا نزال حقيقةً في حوار ذاتي داخلي حول العلاقة مع الغرب، من منطلق الأنواع الثلاثة التي ذُكرت من قبل في «ثالثاً». ويعتمد الأمر عندنا على فهم الشرق وفهم الغرب في آنٍ واحد، مما يوحى بالشخصية هنا.



من هذه النقاط العشر السابقة ينطلق النقاش حول

المُحدّدات ، في معالجة العلاقة بين الشرق والغرب من وجهة نظر فردية سوف تسعى إلى أن تقف عند كل فقرة من الفقرات أو النقاط أو المُحدّدات ، وتناقشها مناقشةً تعبر عن ذاتية المناقش المبنية على قاعدة علمية موضوعية ، مما يجعلها نفسها قابلة للنقاش ومن باب أولى قابلة للأخذ والرد .

المنطلق الرابع

الجغرافيا

انطلق الاهتمام بالبعد الجهوي الجغرافي منذ القدم، حيث العلاقات بين الفرس والروم من جهة والعلاقات بين الهند والروم من جهة أخرى. وهي وإن لم تكن علاقات ظاهرة وقوية إلا أنها تعد الانطلاقة التي روحت فيها الجهة بين الشرق والغرب، وكتب يوهان فلنجانج جوته (١٧٤٩ - ١٨٣٢) ديوان الشرق والغرب، وكتب فريدرش عن لغة الهند وحكمتها.^(١) ثم زاد المفهوم الجهوي بوضوح أكثر في القرون الأولى لظهور الإسلام، عندما بدأ الاهتمام بصياغة علاقة جهوية بين الشرق والغرب، وكتب نورمان دانييل كتاباً أعطاه هذا العنوان: الإسلام والغرب.^(٢)

(١) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق/ ترجمة محمد عتاني. - القاهرة: رؤية، ٢٠٠٦م. - ص ٧٦.

(٢) لا بد من التفكير في وضع قائمة وراقية (بليوجرافية) تحليلية حول ما كتب عن موضوع الشرق والغرب، عن طريق مراكز البحث العلمية، إذ إن مثل=



ولقد كتب الكثير عن الشرق والغرب من كتب ومقالات ومحاضرات . ولا يزال الموضوع يزداد حيويةً بازدياد الحوار بين الشرق والغرب ، أو بين المسلمين والغرب على وجه التحديد ، مهما أخذ الحوار من أشكال كان من آخرها ما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية (نيويورك وواشنطن) ، في الثالث الأخير من السنة الميلادية ٢٠٠١م ، (الثلاثاء ١١/٩/٢٠٠١م) ، الموافق ١٤٢٢/٦/٢٢هـ.

وسعياً إلى استبعاد البُعد الجغرافي في هذا النقاش ، نجد أنه يعيش الآن في الغرب ما يزيد على سبعة وخمسين مليوناً وستمائة وخمسين ألف (٥٧,٦٥٠,٠٠٠) مسلم ومسلم ، لهم أماكنهم التي يؤدون فيها عبادتهم وأوجه نشاطهم الأخرى ومنها آلاف المساجد التي تقدر في الولايات المتحدة الأمريكية نفسها بأكثر من ستة آلاف (٦٠٠٠) مسجد ،^(١) وفي فرنسا حوالي ثلاثة آلاف وخمس مائة (٣,٥٠٠) مسجد ، منها مائة وعشرة (١١٠) مساجد في باريس الكبرى ، هذا عدا عن المدارس الرسمية

= هذا الجهد العلمي يحتاج إلى عمل مؤسسي ، ولا يتصور أن يفلت به شخص بعيته ، حتى مع هذا التطور الهائل في تقانة المعلومات ونقلها إلكترونياً.

(١) انظر: نشرة أصغار . أوسع دراسة عن الوجود الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية: صيرورة المستقبل من «أمة الإسلام» إلى مرحلة «الإخوان المسلمين» إلى عصر المؤسسات والجامعات . - أصغار . - ع ٦٨ . (تموز ٤٢٠٠٤م) . - ص ٥ .

والخاصة، والمقابر والمجازر وال محلات التجارية والنوادي والمكتبات.

واعترفت بعض الدول الغربية بالدين الإسلامي وكونه في دول أخرى يكُون الدين الثاني في الدولة كما في بلجيكا. ودخل المسلمين المعرِّك السياسي في الحكومات المحلية والمجالس البلدية كما في فرنسا وبريطانيا، مما يوحي ذلك كله أنَّ هناك تأثيراً لل المسلمين في الغرب يفوق حادثة عارضة حُسبت على المسلمين، مهما كانت آثارها السلبية التي خلَّفتها. وهذا يدلُّ على مزيد من التنامي للإسلام في الغرب.

وفي ضوء هذا التنامي المستمر للإسلام بفعل التأثير الطيب والحكمة والممارسة الجادة للإسلام من قبل أهله وترسيخ مفهوم القدوة في السلوكيات، يتشرَّد الإسلام في الغرب، كما انتشر من قبل في الشرق وفي جنوب العالم القديم.

ومما يُطرح الآن في الإعلام أنَّ حادثة العادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، قد كان لها أثراً سلبياً على انتشار الإسلام في الغرب. وهذا هو التوجُّه السائد عند طرح هذا الموضوع، والتوجُّه غير السائد هو أنَّ الحادثة مهما كانت قوَّتها ومهما كان وقوعها ومهما أُلصقت بال المسلمين، إلا أنه لا يتضرَّ لها أنْ تؤثِّر سلباً.

ومما ذُكرَ في هذا المجال ما ذهب إليه الأستاذ الدكتور



جعفر شيخ إدريس، وكان يؤدي عملاً علمياً في الولايات المتحدة الأمريكية، في خطبة له في المركز الإسلامي بواشنطن العاصمة، إذ ألقى في أحد أيام الجمعة خطبةً مؤداها ومنطلقاً منها قوله تبارك وتعالى في حديث الإفك: ﴿... لَا تَحْسِبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [سورة التور: ١١]. وليس هذا تقليلاً من آثار ما حدث، ولكنه حدث على أي الأحوال، ولا تزال ظروفه التي حدث بها موضع غموض وجدل وحوار.^(١)

ويظهر أنَّ هذا الغموض والجدل والحوار سي-dom طويلاً، وسيتتجزء عنه تعصيًّا لحركة الاستشراق السياسي، التي مرَّ عليها حين من الدهر كانت فيه راكرة، فجاءت الأحداث لتعيد لهذه الظاهرة شيئاً من حيويتها وبريقها الذي كانت عليه، بما في ذلك تركيزها على الظاهرات الاجتماعية، واتخاذ الأنثروبولوجيا مرتفعاً خصباً لها،^(٢) بدلاً من الاهتمام بشؤون الإسلام الأخرى التي

(١) انظر على سبيل المثال: تيري ميسان. ١١ أيلول ٢٠٠١: الخديعة المرعية / ترجمة سوزان قازان ومايا سلمان. - دمشق: دار كنعان، ٢٠٠٢. - ٢١٨. وانظر كذلك التقرير الرسمي عن هذا الحدث الذي صدر عن الكونгрس الأمريكي لسنة ٤٢٠٠٤ م في صفحة ٦٠٠.

(٢) أعدَّت مجلة الاجتهاد، التي تصدر من بيروت، ويرأس تحريرها كلُّ من الأستاذ الدكتور الفضل شلق والأستاذ الدكتور رضوان السيد ملئاً موسعاً عن الاستشراق والأنثروبولوجيا، غطَّي خمسة أعداد ٤٧ و٤٨ و٤٩ و٥٠ و٥١ للستين صيف وخريف ١٤٢١ إلى ربيع وصيف ١٤٢٢هـ، الموافق ٢٠٠١-٢٠٠٢م. والمؤلم علمياً وفكرياً أن توقف هذه المطبوعة عن الصدور.



سبقت تغطيتها من قبل المستشرقين الأوائل، الذين لم يكونوا جمِيعاً بالضرورة إيجابيين مع القضايا الإسلامية،^(١) وستُشري المكتبة العالمية ومنها العربية والإسلامية بالمزيد من الكتب والدراسات والبحوث التي ستحدث عن الإسلام والمسلمين وبيان الموقف الإسلامي من الأحداث القائمة التي تلت حادث يوم الثلاثاء ٢٢/٦/١٤٢٢هـ الموافق ١١/٩/٢٠٠٩م، وبيان الموقف الإسلامي المؤصل من العنف والتخريب والتخويف والإرهاب.

وسيكون هناك طرح من المدرسة اليهودية/ الصهيونية في الاستشراق في محاولة لبيان أنَّ هذا هو الإسلام، وستكون هناك ردود فعل من المتألقين من غير اليهود وربما من بعض اليهود الذين سبروا اليهودية/ الصهيونية، وقد تعرَّفوا على موقفهم من العرب والمسلمين.

(١) انظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة. ظاهرة الاستشراق: دراسة في المفهوم والارتباطات. - الرياض: مكتبة التربية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. - ص ٢١٠.



المنطلق الخامس

التسويغ

يصعب على المرء أن يمر في هذا الظرف المؤلم المتمثل في أحداث الثاني والعشرين من جمادى الثانية ١٤٢٢ هـ الموافق الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ م وتداعياتها من دون أن تظهر علامات الاستنكار المكتوبة أو المذاعة حوله. والذين يقرؤون بعض الكتابات الغربية في الصحافة الغربية يقرأون عجباً من القول، إذ جنّدت أقلام للتعليق على الحدث النتائج الذي تصرّرت منه الحضارة اليوم وأعادت التفكير في هذا التقدّم المادي الذي بدت عليه الهشاشة، لا سيما أنه تقدّم قام على حساب المثل والمعطيات الروحية للأمم.

ولقد قيل كثيراً من قبل إنَّ هذه الحضارة التي نعيشها اليوم إنما تؤكّد على البعد المادي للحياة ومن ثم فإنها حضارة الضياع. وتبع هذا تجاهُل ما أنجزته هذه الحضارة من صنوف التقانة والسلوكيات الإنسانية التي تمتّها بعض الشعوب،



وكانت هناك دعوات ولا تزال إلى الالتفات إلى البعد الروحي للحياة دونما إغفال الأبعاد المادية.

ومن الصعب على المرء أن يقف موقعاً ذاتياً غير موضوعي حول هذا الظرف المؤلم الذي يمرُّ به العالم الإسلامي خصوصاً ويمرُّ به العالم عموماً، فمهما قيل على المستوى الرسمي إلا أنَّ الطرح الإعلامي والسلوكيات الشعبية في أوروبا وأمريكا ثم في أستراليا وما جاورها، حملَت الإسلام مسؤولية ما ححدث، وهذا يذكر بالدعوة الملحة إلى أنَّ تصريحات المسلم أيًّا كان هذا المسلم ليست دائمًا هي حجَّةٌ على الإسلام، بل إنَّ الإسلام نفسه هو الحجَّةُ على تصريحات المسلمين وسلوكياتهم.

ومع بساطة هذا الطرح إلا أنه لم يؤخذ في الحسبان عند النظر والتحليل إلى الأحداث التخريبية الترويعية، التي يُزعم أنها قامت بسبب من أفراد مشتبه فيهم يتعمون للإسلام. يقول عبد الوهاب المؤدب: «ليس الإسلام أصل الداء الذي أقصد تناوله، فأولئك الذين اعتنقا الإسلام عملوا على إيدال حتى بنية الحضارة، فليس الإسلام وبالتالي هو أصل المصيبة، بل المصيبة هي ما فعله المسلمون أنفسهم بالإسلام». ^(١)

وتعلو المرأة الدهشة من أخوة غير متخصصين في علوم

(١) انظر: عبد الوهاب المؤدب. أوهام الإسلام السياسي / نقله إلى العربية محمد بنيس وعبد الوهاب المؤدب. - بيروت: دار النهار، ٢٠٠٣م. - ص ٨.



الشرع ينبرون على المنابر وفي وسائل الإعلام بجرأة غير مسبوقة في طرح آرائهم واعتقاداتهم حول موقف من المواقف أو حادثة من الحوادث، ويجعلون من هذه الآراء أحکاماً شرعية صريحة قاطعة، في الوقت الذي لا نجد فيه لهم حظاً من العلم الشرعي، وإن كانوا نوابع في تخصصات علمية أخرى. ولا يُراد من هذا الاستنكار على هذه الفتنة الحجر على الآراء والأفكار، لأنه قد يفهم ذلك من هذا الطرح.

ولقد سمعت أستاذًا في الفلسفة في جامعة عربية ومن خلال قناة فضائية ينفي تماماً استمرارية الجهاد، وأنه شعيرة انتهت بانتهاء انتشار الإسلام، ولم يعد هناك جهاد إلا ما يتداول من بقاء الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس. أما الجهاد بمفهوم القتال ونشر الدين والدفاع عن الأرض والمقدسات من منطلقات شرعية واضحة فهو عند هذا الأستاذ قد انتهى. (١)

وفي مثل هذه الأقوال فتش عن المستشرقين وأثرهم على المفكّرين المسلمين. فهم الذين روّجوا لتعطيل الجهاد بمفهوم

(١) قسم ابن القيم الجهاد إلى أربع مراتب، وتحت كل مرتبة مراتب فرعية، بحيث أعطى الجهاد ثلاثة عشرة مرتبة، ولم يُغفل القتال كأحد هذه المراتب. انظر: ابن قيم الجوزية، الإمام المحدث شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعبي الدمشقي. زاد المعاد في هدي خير العباد / حقق نصوصه وخَرَج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط.

- ٥ مج. - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٨م. - ٣ : ١١ - ٩ .



القتال؛ لأنه كان ولا يزال الوسيلة التي يخشاها المحتلون «المستعمرون»، الذين احتلوا بلاداً كثيرة، من بينها معظم بلاد المسلمين، فظهرت الأقوال التي بُنيت عليها فرق داخل المسلمين كالأنجومية،^(١) تدعو إلى تعطيل الجهاد رغبة في عدم مقاومة المحتلين. والدخول في هذا الموضوع يستدعي سياحة علمية فكرية تطول، ولعل الفرصة تناح لمواصلة طرح هذا الموضوع بقدر عالٍ من الموضوعية المنشودة.

(١) انظر: محمد بن إبراهيم الحمد. القاديانية. - الرياض: دار القاسم، ١٤١٧هـ/٩٩٦م. - ص ٣٢. - (سلسلة رسائل في الأديان والمذاهب والفرق؛ ٣). وانظر أيضاً: القاديانية. - ص ٤١٦ - ٤٢٠. - في: الندوة العالمية للشباب الإسلامي. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة/ بإشراف مانع بن حمّاد الجهي. - ط ٥. - ٢ مج. - الرياض: دار الندوة العالمية ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. - ص ١٢٢٤.

القسم الثاني

المحدثات



المحدث الأول

الجهوية

(١) الالقاء

جرى التوكيد في القسم الأول من هذا الكتاب عند مناقشة مُنطلقات العلاقة بين الشرق والغرب على إغفال الجغرافيا أو الجهة، ذلك لأنّ نعت الطرفين بصورة قابلة للمقارنة يؤكّد هذا الإغفال، وهو ما ظهرهما غير متقابلين، فالغرب، جهة، والشرق في هذا الاستخدام الاصطلاحي يمثل دينًا لا يُعرف بالجهات من حيث التأثير. ولعلّ من أسباب التوكيد على استخدام كلمة الإسلام في مقابل الغرب الإيعاز الفعلي بأنّ الغرب ثقافة، وبالتالي الابتعاد عن المقابل الجغرافي وهو الشرق. والمحدث لا ينصلّب على الغرب في مقابل الشرق، بل على الإسلام الدين في مقابل الغرب الثقافة والتوجه.

والابتعاد عن الشرق الجهة والثقافة الشرقية مقصود أيضًا



بالتوكيد على الإسلام، لأنَّ مدار الحديث هو المقابلة بين الإسلام لكونه اليوم متركزاً أكثر في الشرق بالنسبة للغرب، ولكون الشرق أيضاً مليئاً بالثقافات والميلل والتَّحَلُّ الأخرى غير الإسلام.

ويؤيِّد هذا التوزيع زعم بعض مفكري الغرب وهو الشاعر روديارد كيلنج (١٨٦٥ - ١٩٣٦م) بمقولته المشهورة: إنَّ الشرق شرق والغرب غرب ولا يلتقيان. وهو يعني بهذا أنَّهما سيظلان مختلفين، فسيظلُّ الشرق شرقاً بمعطياته الثقافية والحضارية والأثرية والتراوية، وسيظل الغرب غرباً بمعطياته الثقافية والحضارية والتقانة والنظام.^(١)

ويزعم هذا الادعاء أنَّ الشرق قد أدى دوره في الحياة، ثم تنازل للغرب الذي يقود اليوم مسيرة الحضارة. ويبقى الشرق على ما هو عليه في ماضيه وتاريخه مجالاً للدراسة والسياحة، والهروب من الغرب وما دمَّياته في رحلات استجمام، وتعزُّف على التراث واطلاع على الآثار، ثم يعود الغرب ليواصل البناء بعد أنْ قضى مدةً من الراحة والاستجمام.

ثم ينهل الشرق من الغرب عندما يهاجر الشرقيون هجرات دائمةً أو موقته إلى الغرب، فينصلرون فيه ويتمثلون معطياته

(١) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق. - مرجع سابق.

- ص. ١٠٣، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٣.



متأذلين عن ماضيهم وعراقتهم، إلا في مجالات العروض في مناسبات شعبية يكون فيها لباسٌ شعبي أو أكلات أو رقصات شعبية وغناء شعبي، وكأنَّ الشرق لم يكن يجيد سوى هذه المظاهر التي لا تعبِّر عنه، وإنْ كانت قد أصبحت جزءاً من تراثه. وهذا التوجُّه هو جزء من حملة التغريب^(۱) التي هي محدَّد آتٍ من هذه المحددات.^(۲)

ثم يأتي التوكيد على عدم الخوض في الشرق في مقابل الغرب، ذلك أنَّ الحديث عن الشرق/ الإسلام والغرب أثبت النزوع إلى المقارنة دون النظر إلى الجهة، فالإسلام اليوم قد سرى في الغرب، وأمسى هناك في الغرب مسلمون كثيرون في عددهم، مهمُّون في تأثيرهم، فانتشرت المساجد والمراكز الإسلامية والمدارس والمؤسسات الأخرى التجارية والثقافية.

ولا تزال المساجد تُقام في عواصم الغرب ومدنه الأخرى على شكل قوي، مدعمون من بعض الدول الإسلامية بحكم المسؤولية، ومن بعض الدول الغربية بحكم القانون، ومن الجاليات بحكم الحاجة، ولا يزال المغتربون المسلمين في

(۱) انظر: محمد محمد حسين. الإسلام والحضارة الغربية. - ط. ۵. - بيروت: مؤسسة الرسالة، ۱۴۰۲ھ/ ۱۹۸۲م. - ص ۲۷۸. حيث يركِّز الكتاب على التغريب.

(۲) انظر: محمد عبدالحليم مرسي. التغريب في التعليم في العالم الإسلامي. - الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ۱۴۰۹ھ/ ۱۹۸۸م. - ص ۹۲. - (سلسلة من يتابع الثقافة: ۱۹).



الغرب يحرصون على إقامة مؤسساتهم الدينية والعلمية بدعم من المسلمين في الشرق، ومن دون دعم منهم كذلك في حالات لا يُستهان بها.

ثم قامت المؤسسات السياسية للجاليات المسلمة المفتربة وخاصة غمار التأثير السياسي من خلال قيام مفهوم الدهلزة العربية والإسلامية،^(١) وأضجى هناك نواباً مسلمواً، وعمد مسلمون للمدن الصغيرة والكبيرة، وافتتحت بعض البرلمانات دوراتها بتلاوة آيات من الذكر الحكيم، وحصلت حالات اعتذار من جهات تجارية أو ثقافية عند حدوث إهانة ضد الإسلام والمسلمين، في دعاية أو إعلان أو منتج ثقافي، وذلك بفضل تأثير الدهلزة العربية الإسلامية.

ولم تلاق هذه الأساليب ترحيباً من بعض المسلمين أنفسهم، في البدء لأسباب مختلفة.^(٢) وعندما ظهر تأثيرها الإيجابي بدأ الاعتراف بها على استحسانه. وهي على أيّ حال تسير الآن سيراً حسناً، تؤيدُها وتدعُها في تلك الجهود بعض البعثات الدبلوماسية العربية والإسلامية في البلاد الغربية التي لا يخفى تأثيرها كلّما وفقت إلى رجال واعين مدركين، يتمتعون بمصداقية وبثقة عالية بمبادئهم ومثلهم وسلوكياتهم.

(١) يعبر عنها بكلمة «Lobbying». أو جمادات الضغط والتأثير.

(٢) هناك فئة من المسلمين المقيمين في الغرب ترفض التعايش معه، وترى أنه سبب المصائب التي حلّت ببلاد المسلمين، ومن ثم هجرة هذه الفتنة، فتحجج عن المشاركات الاجتماعية والسياسية.



والحق أنَّ البعثات الدبلوماسية قد سبقت مفهوم الدهلزة المنظمة، باتِّباع هذا الأسلوب من قبل، فكأنها هي التي مهدت الطريق إلى القبول، ولا يُنفِّذ إلى تلك الممارسات غير المسؤولة من بعض رجال البعثات الذين أرادوا التوصل من هويتهم والالتصاق بالغرب، أولئك التغريبيون الذين لم ينالوا الاحترام والتقدير من الأوساط السياسية والثقافية والاجتماعية في الغرب؛ لأنهم أخلُوا بمهمَّاتهم التي جاءوا من أجلها.

ودخول المسلمين في الوسط الغربي إنما هو امتداد لانتشار الإسلام في العالم. وإبراز المسلمين الإسلام إبرازاً موضوعياً إنما هو شكل من أشكال الدعوة، يسهم في التقليل من المحددات السلبية في العلاقة بين الشرق والغرب، ويبذر الإسلام للغرب بالصورة التي لم يعتدُ الغرب عليها، مما كان سبباً في نفوره من الإسلام، الذي صوره له الآخرون بصورة بشعة غير حضارية متخلفة، إلى آخر هذه الأوصاف التي لا يراها الغربيون في المسلمين المقيمين بينهم، بل إنهم يرون أنَّ الإسلام أضحت خطراً يهدّد العلمانية والديمقراطية، مما أظهر مصطلحًا جديداً متداولاً في الإعلام الغربي اليوم هو «الخوف من الإسلام».^(١)

وقد أثبت الإسلام، في الزمان الماضي وفي الوقت

(١) انظر: فشان جيسير. الإسلاموفobia. - مرجع سابق. - ص ١٩٢.



الحاضر، بطلان نظرية الشاعر روديارد كيلنجلج في أنَّ الشرق شرق والغرب غرب، فأمكن لل المسلمين أنْ يعيشوا في الغرب ويتعايشوا مع أهله، مع احتفاظهم الكامل بهويتهم وتأثيرهم إيجاباً على أهل الغرب، الأمر الذي فرض احترام الغربيين للمسلمين، ومراعاة مشاعرهم في المناسبات الدينية، كالصلوة والصيام والعيددين والزواج ونحوها. ولا اعتبار لبعض الحركات التي اتَّسمت بالتضارُّ من الوجود الإسلامي بالغرب.^(١)

يثبت هذا موضوعاً أنَّ الغرب ليس كُلُّه متحاملاً على الإسلام والمسلمين، وأنَّ الخير باقٍ في الناس، حتى لو قام بينهم اختلاف في المعتقدات، هذا مع عدم إغفال النصوص الشرعية الصريحة «المحكمة» التي تؤكِّد على عدم الاتفاق مع الخلافية القافية الغربية، القائمة على مركبات نصرانية وبهودية من مثل قوله تعالى: ﴿وَلَنْ رَضِيَ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا الْمُسْكِنَى حَقَّ تَبَعَّدَ مِنْهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْمُهَدِّى وَلَئِنْ أَتَبَعُتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [سورة البقرة: ١٢٠]، وقوله تعالى: ﴿لَتَحِدَّنَ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاؤَ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَلْيَهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَحِدَّنَ أَقْرَبُهُمْ مَوْدَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَاتَلُوا إِنَّا نَصْرَكُ دُلْكَ يَا أَنَّ مِنْهُمْ قَسِيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكِبُونَ...﴾ [سورة المائدة: ٨٢].

(١) انظر: علي بن ابراهيم النملة. مجالات التأثير والتاثير بين الثقافات: الماتفاق بين شرق وغرب . - الرياض: المؤلف، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م . - ص ١٧٩.



ولا تأتي هذه المناقشات لتجاهل، في سبيل التقريب بين الشرق والغرب، هذه الآيات ومدلولاتها، بل إنها تُحدّر من ذلك، حتى لو كان الزمان زمانًّا معايشةً وتطبيع وحوار، إلا أنَّ هذا كله لا يأتي على حساب ما نؤمن به ونعتقده جازمين من استمرار هذه المواقف المبدئية من اليهود والنصارى على تباينٍ في درجات الاختلاف.

من هنا، ومن واقع هذا التأثير الإيجابي داخل الغرب نفسه، ندرك حكمَةً من حِكْمَةِ الله تعالى في إغفال الجهوية لهذا الدين، وبالتالي تستمرُّ مسؤولية المسلمين في كلِّ مكان من هذا الكون في نشر الإسلام لمصلحة الكون، بصورته الناصعة البعيدة عن التحرُّبات التي يحكمها الهوى وتتنازعها الميول الحزبية التي ربَّما غلَّبتُ بعد السياسي على الأبعاد الأخرى لهذا الدين. ويتمُّ نشر الإسلام بالوسائل المناسبة والمقبولة والمؤثرة، وقبل ذلك تمثُّل المسلمين إسلامَهم في أنفسهم وفي مجتمعهم، وذلك ليبدأوا بالوسيلة التي أثبتت جدارتها وجدواها عندما يكونون قدوةً للآخرين في سلوكياتِهم وتعاملِهم في ما بينهم ومع غيرهم.

(٢) المناهضة

جرت الإشارة في الوقفة السابقة من هذا المحدَّد إلى أنَّ الغرب لم يَعُدْ تلك الجهة الجغرافية التي تقع شمال البحر



الأيُّضَ المَتوسِطُ وغَربِه الشَّماليُّ، أيَّ أَنَّ الغَربَ الْيَوْمَ مَفْهومٌ لِيُسْ مَقْتَصِراً عَلَى أُورُوبَا وَأَمْرِيَكا، بَلْ الغَربُ يَعْنِي ثَقافَاتٍ وَأَنْماطَ حَيَاةٍ، إِذَا مَا ذُكِرَتْ بِمَصاَبِحَةِ كَلْمَةِ الإِسْلَامِ أُرِيدَ بِهَا مَا قَدْ يَنَاقِضَ الإِسْلَامَ وَيَتَعَارَضَ مَعْهُ، بَلْ رِبَّما يَرَادُ بِهَا أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، إِذَا مَا نَظَرْنَا لِلتَّحْديَاتِ الَّتِي يَوْاجِهُهَا الْمُسْلِمُونَ مِنْ مَفْهومِ الغَربِ.

وَمِنْ الْمَهمِ فَهُمُ الغَربُ بِهَذَا الْمَفْهومِ لِمَصْلَحةٍ تَكْمِنُ فِي عَدْمِ الرَّغْبَةِ فِي حَصْرِ الإِسْلَامِ بِالشَّرْقِ فِي مَقَابِلِ كَلْمَةِ الغَربِ، فَالإِسْلَامُ الْيَوْمَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِمَا فِي ذَلِكَ الغَربِ الجَغرَافِيِّ، بَلْ إِنَّهُ هُنَاكَ فِي نَمْوٍ مَطْرَدٍ، يَشَهَّدُ عَلَيْهِ الْإِقْبَالُ الْمُتَزايدُ مِنَ الْغَرَبِينَ ذَكُورًا وَإِناثًا، بِمُخْتَلِفِ خَلْفَيَاتِهِمُ الْعَرَقِيَّةِ وَالْعَنْصُرِيَّةِ . وَلَمْ يَكُنْ الْإِسْلَامُ يَوْمًا مَحْصُورًا بِالْمَكَانِ، وَلَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ.

وَعَلَيْهِ إِنَّ الْحَدِيثَ عَنِ الغَربِ قَدْ يُقصَدُ مِنْ وَرَائِهِ الْحَدِيثُ عَنِ الْأُولَئِكَ الَّذِينَ يَتَبَيَّنُونَ الْفَكْرَةُ الْغَرَبِيَّةُ فِي النَّظرِ إِلَى الإِسْلَامِ، حَتَّى وَإِنَّ كَانَ النَّاظِرُونَ إِلَيْهِ فِي أَقْصِيِ الشَّرْقِ، بَلْ وَهَنْتَ إِنَّ كَانَ النَّاظِرُونَ إِلَيْهِ فِي الْوَسْطِ، حِيثُ يَتَرَكَّزُ الْمُسْلِمُونَ الْعَرَبُ فِي الْجَزْءِ الْعَرَبِيِّ مِنْ قَارَةِ آسِيا، وَالْجَزْءِ الشَّماليِّ مِنْ قَارَةِ أَفْرِيقيَا، مِنْ دُونِ التَّحْدِيدِ الدَّقيقِ لِهَذِهِ الْأَجْزَاءِ.

وَمِنْ نَاحِيةٍ أُخْرَى، لَا يَعْنِي الغَربُ جَغرَافِيًّا مَنَاهِضَةُ الإِسْلَامِ، فَلَيْسَ كُلَّ الْغَرَبِيِّينَ يَضْمُرُونَ الْعَدَاءَ لِلإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، بَلْ إِنَّ فِيهِمُ الْمُتَعَطِّشِينَ إِلَى الْحَقِّ، مَتَى مَا وُقْقَ

أهله إلى تقديمِه تقدیمًا صحيحًا سلیماً، من حيث المضمون وأسلوب التقديم، ولذا فلا أصل لنظرة البعض في رفض كل ما هو غربي وافتراض أنه يضر للإسلام والمسلمين العداء.

ولا تمنع هذه النظرة من أن يكون المرء كیسًا فطناً بعيداً عن السذاجة، بحيث يميز من خلال الممارسات والأفعال، من دون الدخول في النيات ودونما طرح الانطباعية المسبقة القائمة على التنمطية في النظرة إلى الغرب.

وإذا كان الغرب قد نظر إلى الإسلام والمسلمين بنمطية مؤدّها سلبيّ، فليس من الحكمة ولا من الدعوة أن ينظر المسلمون إلى الغرب بهذه النظرة القائمة على رد الفعل، «وَلَا تَرْزُقْ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى» [سورة فاطر: ١٨].

وليس الهدف المجابهة والتصدي بقدر ما هو المواجهة والعمل على إقناع الآخر بعصمة ما نملك، رغبة في إقباله عليه لا رغبة بالضرورة في التغلب عليه، ولذا فإنّ النظرة إلى الغرب ينبغي أن تؤكّد على أنه أرض خصبة للدعوة من ناحية، وعلى أنه بحاجة إليها من ناحية أخرى.

وي ينبغي التوكيد أنّ هناك من يتزعّم السعي إلى تقليل رقعة الإسلام، ومن ثم تقليل عدد المسلمين بالوسائل المباشرة أو بالوسائل المبطنة، باسم التنمية والحفاظ على سلامه الجنس البشري، وما إلى ذلك من الشعارات التي قد يجدوا من ظاهرها



الرحمة، وكأنَّ الإنسان أرحمٌ من الله تعالى بعباده، وكأنَّهم هم الذين يقسمون رحمة الله تعالى على البشر. ﴿أَهُنَّ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ لَكُمْ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّا يَعْشَثُمُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّتَسْتَخِدَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُحْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَحْمِلُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٣٢].

وأولئك هم النخبة الدينية أو السياسية أو الثقافية أو الرأسمالية أو الاحتلالية «الاستعمارية»، التي لا تحبُّ أنْ ترى الإسلام منتشرًا؛ لأنها تدرك أنه سيحول دون تحقيق رغبات خاصة، فردية أو طائفية أو حزبية أو طبقية، وسيجعل الناس سواسية؛ لأنه سينظر إلى الإنسان على أنه إنسان مجرَّد من أيّ وصف لاحقٍ لإنسانيته، فهو بريءٌ من العنصرية والإقليمية والطبقية والعرقية، وهذا التجرُّد يتعارض مع بعض السياقات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية في الغرب، ولذا فهي ترفض الإسلام.



المحدد الثاني

الإرهاب

(١) المصطلح

من محددات العلاقة بين الشرق والغرب هذه الظاهرة العالمية التي تعارف الناس عليها واختاروا لها مصطلح «الإرهاب»، المقابل السريع للمصطلح الأجنبي *Terrorism*، الذي كان الأولى أن يُنظر إليه على أنه أقرب إلى العنف منه إلى الإرهاب. ويمكن الادعاء أنَّ الذين تصدُّوا للمصطلح الأجنبي وأعطوه المقابل العربي «الإرهاب» لم يكونوا دقيقين في الترجمة، لا سيَّما وأنَّ إشاعة هذا المصطلح العربي قامت على أكتاف الإعلام، الذي روج لهذا المصطلح من دون النظر إلى الدقة في النقل عن المقابل الأجنبي. ^(١)

(١) انظر: علي بن إبراهيم النسلة، إشكالية المصطلح في الفكر العربي: الاضطراب في التقليل المعاصر للمفهومات. - الرياض: المؤلف، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. ص ٢٠١٠.

ولم يتحقق دولياً على تعریف الإرهاب، رغم محاولات البعض الوصول إلى صيغة مشتركة تجمع شتات الأفكار التي تتضمنها التعريفات الكثيرة، التي فاقت المئة وعشرة (١١٠) تعريفات، بحيث قيل: إنَّ وصفَ ظاهرة الإرهاب أسهلُ من تعريفها. (١)

وهذا الاعتراض نابعٌ من أنَّ المفهوم الإسلامي للإرهاب يختلف تماماً، في المؤدى عن المفهوم الشائع الآن، ذلك أنَّ المسلمين مطالبون بإعداد ما استطاعوا من قوَّة وعتاد لِرَهْبَوْباً به عدوَ الله وعدوَهم: «وَأَعْدُوا لَهُم مَا أَسْتَطَعُنَّمِنْ قُوَّةً وَمِنْ رِبَاطِ الْعَيْلِ رُهْبَوْبَتِ بِهِ عَدُوَ اللَّهِ وَعَدُوَكُمْ» [سورة الأنفال: ٦٠]. والمعلوم لدى علماء الأمة المعتبرين، أنه ليس المقصود هنا أنَّ هذا الدين يدعو إلى الإرهاب بهذا المفهوم المتداول إعلامياً، ذلك أنَّ الإسلام لا يقرُّ هذا الإرهاب بحال من الأحوال. وقد فهم الناسُ الإرهاب على أنه استخدام العنف في التدمير والهدم والتروع والتعريض للأبرياء، من دون التفريق بين المستهدف وغير المستهدف، بما في ذلك النساء والأطفال والشيوخ والشجر والبيع والكنائس والمنشآت المدنية والمنازل.

ويكفي لإثبات أصالة هذا المنهج العودة إلى وصايا أبي بكر

(١) انظر:أمل يازجي ومحمد عزيز شكري. الإرهاب الدولي والنظام العالمي الراهن. - دمشق: دار الفكر، ٢٣/٢٠٠٢م. - ص ٩٣.



الصديق، خليفة رسول الله ﷺ، فيما سَمِّيَ لقَوَادِهِ فِي الغَزَوَاتِ الَّتِي انْطَلَقَتْ مِنْ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، وَمَا يَسْتَهِنُ بِإِخْرَوْهُ مِنَ الْخَلْفَاءِ الرَّاشِدِينَ هُوَ مِنْ سُنَّةِ الْمُصْطَفَى ﷺ: (... فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ شَيْءٍ وَسَعْيَ الْخَلْفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيَّينَ وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبَدَ حَبِيبًا حَبَّشِيًّا عَضُوًا عَلَيْهَا بِالنَّوْاجِذِ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَلِفِ حَيْثُمَا أَنْقِيدَ أَنْقَادَ)،^(١) وَكَذَا وصية خليفة رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الفاتحين من القيادات العسكرية الإسلامية، فلا إرهاب في ذلك بالمفهوم الجديد المتداول حالياً للإرهاب، فلا عنف ولا تروع ولا هدم ولا تعذيب ولا اختصاب ولا اجتياح ولا إهانة للمعابد ومؤسسات المجتمع المدني كافة.

هذا في حال المواجهة الحربية التي تكون في أوج الرغبة في النصر واختصار الطريق إليه، ولكن ليس على حساب كرامة الإنسان والمساس بالضرورات الخمس التي أمر الله بحفظها له في كل الأحوال: النفس والمال والدين والنسل والعقل. وهي التي كما يقول الشاطبي: «لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجرِ مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة. وفي الأخرى فوت النجاة

(١) الحديث روأه ابن ماجه في باب اتباع سُنَّةِ الْخَلْفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيَّينَ. حديث رقم: ٣٤. بتحقيق محمد مصطفى الأعظمي.



والنعيم والرجوع بالخسران المبين». ^(١) وهي التي، كما يقول أبو حامد الغزالى: «تتضمن حفظاً مقصوداً من المقاصد الخمسة، وهي حفظ النفس والمال والنسب والدين والعقل، التي جاءت الشرائع بالمحافظة عليها». ^(٢)

أما في حال السلم فالوضع أدق وأوضح منه في حال الحرب، فليس هناك ما يسُوّغ التروع والعنف في أيّ حال. ^(٣)

ومنذ أن وقعت أحداث الحادى عشر من شهر أيلول/ سبتمبر من سنة ٢٠٠١ م (١٤٢٢ هـ) والأطروحتات تترى حول موضوع لم يُتفق عليه بعد، من حيث المفهوم، وإن اتفق عليه - تقريباً - من حيث اللفظ لمصطلح «الإرهاب»، مع أنَّ بعض الكتاب المسلمين لا يزالون متربّين في قبول المصطلح، كما مرَّ بيانه في الوقفة السابقة، ذلك لأنَّه مصطلح أخفٌ وطأةً من المفهوم الذي يحمله، فهو اسم لم يوافق مُسماه ولفظ لم يطابق معناه، كما أنه ورد في القرآن الكريم المنزَّل من خالق عظيم، مما يعني أنَّ له معنى ومفهوماً غيرَ المفهوم الذي يُطلق

(١) إبراهيم اللخمي الشاطبي. المواقفات في أصول الأحكام / تعليق محمد خضر حسين، تصحح محمد منير. - القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٤١ هـ. - ٤: ٢.

(٢) انظر: محمد بن محمد الغزالى، أبي حامد. المستضفى من علم الأصول. - ١: ٢٨٧.

(٣) انظر: كمال مجيد. العنف: دراسة لأثر العولمة على الشعوب المقهورة. - لندن: دار الحكمة، ٢٠٠١ م. - ص ٢١٧.



المصطلح عليه، فإن عذاب الناس وقتل الأبرياء وتروع الآمنين كل هذا أكثر من مجرد إرهاب.

وعلى أي حال، يبدو أنَّ المصطلح قد طغى على هذا المفهوم، بحيث أصبح أي نشاط غير عادي داخلاً في هذا المفهوم.^(١)

وإذا ما سلمنا جدلاً بالمصطلح بالمفهوم الحديث لهذه الكلمة «الإرهاب»، فإنَّ علينا أنْ نتخلى عن المصطلح الشرعي للإرهاب، ولذا كان لزاماً علينا دائماً أنْ تُحدَّد هذه الكلمة بمحضَّات تنقلها عن المفهوم الشرعي. وكان الأولى أنْ نبحث عن المصطلح العربي المقابل للمصطلح الأجنبي، الذي لن يكون، بحالِ «الإرهاب»، بل ربما «العنف» أو «التخريب» أو أي مصطلح عربي ذي دلالة تخريبية تروعية عنيفة، مع أنه حين ينقل إلى لغات أخرى يخشى ألا يلتقي إلى ذلك السعي للتشريق بين المفهوم الشرعي والمفهوم الإعلامي.

(٢) الإرهاب والإعلام

ولقد اقتنى الإرهاب لدى الغرب المسلمين، لا سيما في الوقت الراهن. وأصبحت أي عملية تخريبية مقرونةً بالعرب

(١) انظر: جلبير الأشقر. صدام الهمجيات: الإرهاب، الإرهاب المقابل والقوسي العالمي قبل ١١ أيلول وبعده. – ترجمه إلى العربية: كميل داغر. – بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٢م. – ص ١٥٧.

المسلمين يَعْصُّونَ النَّظرَ عَنِ الوجهَةِ الجُغرَافِيَّةِ التي حَدَثَتْ بِهَا التَّخْرِيبُ وَقَامَ بِهَا العَنْفُ .^(١) وَلَأَنَّ الْعَالَمَ أَصْبَحَ الْيَوْمَ عَالَمًا عَلَى الإِعْلَامِ الغَرْبِيِّ فِي تَرْسِيقِ الْمَفْهُومَاتِ فَإِنَّ الإِعْلَامَ الغَرْبِيَّ اسْتَطَاعَ أَنْ يُيَبْعِدَ النَّظَرَ وَالتَّرْكِيزَ وَالْأَضْوَاءَ عَنِ التَّخْرِيبِ الصَّادِرِ عَنِ الْأَمْمِ الْأُخْرَى، لَا سِيَّما الْأَمْمِ الْمُتَحَدَّرَةِ عَنِ الْأَصْوَلِ الْأُورْبِيَّةِ، كَمَا يَحْصُلُ فِي الْأَمْرِيَكَيْنِ وَكَمَا يَحْصُلُ مِنَ الْيَهُودِ فِي فَلَسْطِينِ الْمُحْتَلَّةِ .^(٢)

بَلْ إِنَّ الإِعْلَامَ الغَرْبِيَّ قدْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَجَاهَلِ الْعَمَليَّاتِ التَّروِيعِيَّةِ التَّخْرِيَّيَّةِ التي قَامَ بِهَا أَفْرَادٌ غَرَبِيُّونَ فِي عَقْرِ دَارِهِمْ، وَقَامَتْ ضَدَّ رُؤْسَاءِ الدُّولِ؛ كَاغْتِيَال جُونَ فَـ كِينِيَّدِي وَمَارْتِنَ لَوْثِرَ كِينِيَّجِ في السِّيَّنَاتِ الْمِيلَادِيَّةِ، وَمِحاوَلَةِ اغْتِيَالِ رَوْنَالْدِ رِيغَانَ الرَّئِيسِ الْجَمَهُورِيِّ لِلْمُلَاقَيَّاتِ الْمَتَّحِدَةِ الْأَمْرِيَّكِيَّةِ فِي الشَّمَائِيلِيَّاتِ الْمِيلَادِيَّةِ، أَوْ ضَدَّ الشَّعُوبِ؛ كَتَفْجِيرِ مَبْنَى الْحُكُومَةِ الْفِيدِرَالِيَّةِ فِي مَدِينَةِ أُوكَلاهُومَا بِوَلَيَّةِ أُوكَلاهُومَا، أَوْ ضَدَّ الْمَنْشَآتِ الْحُكُومِيَّةِ وَالْحَيَّوِيَّةِ فِي الْغَرْبِ نَفْسِهِ أَوْ مَدَارِسِ الْأَطْفَالِ وَمَؤْسَسَاتِ الْمَجَمِعِ الْمَدْنِيِّ، مَا يُؤَكِّدُ دَائِمًا عَلَى أَنَّ الْإِرْهَابَ لَا يَحْمِلُ هُوَيَّةً وَلَا دِيَنًا، وَلَا يَمْكُنُ أَنْ يُعْزِزَ إِلَى ثَقَافَةِ بَعْيِنَهَا.

بَلْ إِنَّ مَؤْثِرَاتِ آنِيَّةٍ فِي حَسَابِ التَّارِيخِ قدْ تَكُونُ مَسْؤُلَةً عَنِ

(١) انظر في مناقشة هذا المفهوم: زين العابدين الركابي. الأدلة المفتتحة . - الرياض: غيناء للنشر، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م . - ص ٢٤٦ .

(٢) انظر: عصام محفوظ. الإرهاب بين الإسلام والاسلام . - بيروت: دار الفارابي ، ٢٠٠٣ م . - ص ١٨١ .



ترسّخ الإرهاب في جهة أكثر من ترسّخه في جهات أخرى من العالم، بل إن التركيز الإعلامي وحساسية الموضع قد يكون لها أثر في التركيز الجهوي على العمليات الإرهابية، من خلال إرهاب الأفراد من جهة وإرهاب التنظيمات أو الجماعات من جهة أخرى، وإرهاب الدولة من جهة ثالثة،^(١) كما أنه يُتجاهل أولئك المرتزقة من الغربيين الذين عاثوا في الأرض فساداً: (٢) (بلاك ووتر) الأميركية في العراق مثلاً.

ليس هذا تسويفاً لقيام تخريب عربي، ولكن النسبة بين الفعلين غير قابلة للمقارنة. وإذا درسنا بعض أسباب هذه العمليات التخريبية العربية نرى أنها انبعثت عندما قدم الغرب التسهيلات والوعود والدعم لقيام دولة يهودية في قلب الأمة، تخلصاً من عقدٍ أوروبيٍ على حساب شعب آخر ونصره ظالماً لا مظلوماً، وسعى إلى ترسيخته بكلٍّ ما أوتي من قوّة ماديّة ومعنوية، وليس هذا أيضاً مسوغاً لقيام العمليات التخريبية العربية، وإنما هو تتبع للبواعث والأسباب.^(٣)

(١) انظر: أحمد طحان. عولمة الإرهاب: إسرائيل - أمريكا والإسلام. - بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. - ص ٤٥٥.

(٢) انظر: غازي عبدالرحمن القصبي. أمريكا وال سعودية: حملة إعلامية أم مواجهة سياسية. - ط ٤. - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢م. - ص ١٣٥.

(٣) في البحث في أسباب الإرهاب انظر ص ٣٥ - ٥٣. - في: علي بن إبراهيم النملة. فكر التصدّي للإرهاب: المفهوم - الأسباب - الأوزار. - الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م. - ص ١١٥.



وليس العربُ، وبالتالي المسلمين، تخريسين ولا دينهم ولا ثقافتهم المستمدَّة من الدين ولا أدابهم تدعو إلى الترويع والإرهاب كما هو المفهوم الغربي للإرهاب،^(١) وليسوا كذلك متعطشين إلى الدماء، وليسوا همجين متورثين. وكل هذه وغيرها اتهامات ليست جديدةً على الإسلام ولا على المسلمين، بل إنها جزء من تلك الحملة التي يهُمُّها ألا يكون هناك تقارب بين الشرق/ المسلمين والغرب؛ رغبةً في حماية الغربيين من الإسلام، ورغبةً في الحدّ من انتشار الإسلام في الغرب وفي غير الغرب.^(٢)

وهي حملة قديمة تتجدد وتتضارف فيها جهود مختلفة من تنصير واستشراق واحتلال وعلمانية،^(٣) وأعانت عليها حركات محلية داخل المجتمع المسلم قامت بأعمال لا تتنقق مع التوجُّه الإسلامي في الحكم على الأحداث والتعامل معها، فكانت القابلية لذلك. وكانت هذه الحركات وبعض الجماعات أرضًا خصبةً للتدليل على أنَّ الإسلام والعرب ميالون إلى التخريب والترويع والهدم.

(١) انظر: جابر عصفور. مواجهة الإرهاب: قراءات في الأدب العربي المعاصر. - بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٣م. - ص ٣١٠.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة. التنصير: المفهوم - الوسائل - المواجهة. - ط ٥. - الرياض: المؤلف، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. - ص ٤٦ و ٥٣.

(٣) انظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة. ظاهرة الاستشراق: دراسة في المفهوم والارتباطات. - مرجع سابق. - ص ٨٥ - ٨٨.

وفي الوقت الذي ننحو فيه باللائمة على الغرب في تشويه الإسلام، نجد أنفسنا نعین على هذا التشويه؛ بسبب سوء فهم بعضاً نحن للإسلام، وبالتالي سوء تطبيقنا له على المستوى السياسي وعلى مستوى العلاقات الدولية على المخصوص، ثم على المستويات الأخرى الفكرية والاجتماعية والسلوكية والمظهرية، مما أدى إلى اتهامنا واتهام ديننا واتهام علمائنا بالتركيز على الأحوال الشخصية فقط والبعد عن الواقع وفقه الواقع.^(١)

وعليه، فإنه في هذا المحدد من محددات العلاقة بين الشرق والغرب، يظهر أنَّ المسؤولية مشتركةٌ بين الطرفين دونما تغليب طرف على الآخر، ذلك أنه عندما وُفقَ من قبلنا في تقديم الإسلام كانت النتيجة قبوله من الآخر والإقبال عليه.

ومن وُفقَ في تقديم الإسلام تقديماً مناسباً أولئك التجار المسلمين الذين لم يذهبوا قصداً للدعوة، ولكنهم استخدموا الحكمة فكانوا قدوة استطاعوا بها نشر الإسلام.

يضاعف هذا من مسؤولية المسلمين من الدعاة وغيرهم وعلى مختلف الصُّعد في حمل الإسلام إلى الآخر بصورته التي

(١) انظر: سمير سليمان، (مشرف). العلاقات الإسلامية - المسيحية: قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل. - بيروت: مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، ١٩٩٤م. - ص ٣٦٧. وانظر كذلك: أليكسى جورافسكي. الإسلام والمسيحية. - مرجع سابق. - ص ٢٣٦.



ينبغي أن يُحمل عليها، وتخليصه من تلك الشبهات التي أثيرت حوله وحول معتقديه ومنها شبه التخريب والتروع والهدم، أي شبهة الإرهاب بالمفهوم «الإعلامي» للإرهاب، عندها يمكن ضمان تقبل غير المسلمين له، وتلك مسؤولية عظيمة.

(٣) الإرهابي

وحيث كان هناك ضغطٌ مكثفٌ على ربط الإرهاب بهذا المفهوم بال المسلمين، فقد أصبح أي نشاط يقوم به المسلمين داخلًا في هذا المفهوم،^(١) حتى لقد تطرفَ من تطرفَ بوصفه المتدين على المساجد، أو التمسك ببعض المظاهر الخارجية للسمة الإسلامية، بهذا الوصف وكأنه يراد أن يُقلع المسلمين عن عبادات ومعاملات هي من صلب الدين، ومن ذلك الدعوة إلى الله تعالى بين المسلمين وبين غير المسلمين، حتى لقد كتب من كتب أنه رغم ما مرَّ على العالم من عمليات إرهابية لا تزال فئات من المسلمين تمارس الدعوة بين المسلمين في الجمهوريات الإسلامية المستقلة عن الاتحاد السوفيتي السابق، الذين غيبوا عن الدين أكثر من تسعين سنة، فما بالكم بالدعوة بين غير المسلمين.

(١) انظر على سبيل المثال: فريد هاليداي. ساعتان هرتا العالم ١١ أيلول / سبتمبر ٢٠٠١م: الأسباب والنتائج. - ترجمة: عبدالإله النعيمي. - بيروت: دار الساقى، ٢٠٠١م. - ص ٢٥٦.



هذه الكتابات نفسها لم تتبّع إلى ما تقوم به الحملات التصويرية في المجتمع المسلم، وهي مدعاة دعمًا مباشرًا من الدول، لما تقدّمه هذه الحملات من توسيعة لأطامع سياسية واقتصادية. ولعل الكتاب لم يتبعوا أيضًا إلى مئات المليارات من الدولارات التي تُنفق على هذه الحملات، إذ بلغت الميزانية للعام ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ مً ثلاثة واثنين وتسعين مليار (٣٩٢,٠٠٠,٠٠٠) دولار، كما أعلنت النشرة الدولية للإرساليات التصويرية في طبعة جديدة منشورة، وتناقلته المجالات المعنية بهذا النشاط.^(١)

ولعلَّ من واجبات الباحث المهمَّ بهذا الوضع أن يدعو في طرحه لهذا المحدَّد وغيره من المحدَّدات للاعتدال والوسطية والسماعة التي جاء بها هذا الدين، وأن ينبه إلى ما تعيشه بعض الجماعات من غلوٌ وتنطُّع وتشدد وترْمُّت لا يُنكر.

ولا بدَّ أن يُكَسَّف ذلك كله من علماء الأمة ومفكّريها، قبل كتابتها ذوي الأعمدة الراتبة في الصحافة، تلك التي تعتمد في معظمها على تقارير استخباريَّة، حتى لقد أضحي ما يكتب هو لاء شبهة مسلِّم به حتى إذا كان يمسُّ الثواب ويزعزع الجذور.

وهناك أسماء ظهرت في هذا المجال وكان لها تأثير واضح

(١) سيَّمُ العرْض للإحصائيات في المحدَّد ذي العلاقة بالتصوير.



على المتكلفين، منهم مثلاً، من يكتب في أعمدة الصحافة، ومنهم من يحاضر في المتديّنات الثقافية والفكريّة والأدبية فيُسمّع لقولهم، بل ويقدّمون على أولئك الذين هم أقرب منهم إلى الصواب والعلم الشرعي الصحيح.^(١)

ولا يتوقع في ضوء الأحداث القائمة أن تتوّقف الدعوة إلى الله تعالى، فهي كانت ماضية من قبل وستستمر بإذن الله من بعد، ويمكن الحديث فيها عن مسألة النطويّة والتكييف ومراعاة الزمان والمكان، وكل ما له علاقة بالوسائل.

والمجال مفتوح وإن لم يرغب بعض المعينين المباشرين في مجال الدعوة بصفتهم الشخصية وليس الصفة الرسمية، إذ لا يملك أحدٌ أن يمنع أحداً من أن يطرح رؤاه في هذا المجال، من حيث الوسائل والسياسات والأهداف والإجراءات، إلا أنه من حيث المفهوم فإن ذلك مكفول بقيام هذا الدين وانتشاره بين الناس.

يقول عماد الدين خليل: «إن الإسلام بوسطيته العقدية وتركيبه المتوازن الذي يلمُ ويناغم بين سائر الثنائيات التي مزقت الحياة البشرية، لهو الحل الوحيد لمستقبل الإنسان إذا أريد لهذا المستقبل أن يتشكّل بعيداً عن الممرّات الضيقّة والطرق

(١) انظر على سبيل المثال: محمد الطالبي. أمّة الوسط: الإسلام وتحديّات العصر. - تونس: دار سراس، ١٩٩٦م. - ص ١٦٧.



المسلودة للحضارة الغربية وللمذاهب الوضعية المعاصرة على السواء». (١)

إنّ عدد المسلمين أكثر بكثير من أنْ تُحسب عليهم تصرُّفات أشخاص معدودين أساءوا إلى أنفسهم وأساءوا إلى غيرهم بما قاموا به من ترويع للناس ونشر الرعب بينهم، فهم مسؤولون عن أفعالهم: «وَلَا تَزِرْ وَازِرَةً وَزَرْ أُخْرَى» [سورة فاطر: ١٨].

وعدم الاتّفاق معهم في الأسلوب والوسيلة لا يصل إلى أنْ تعطل شعائر إسلامية اعتذاراً للآخر، أو تلبية غير مباشرة لطلبات أو رغبات من الآخر لتعطيل بعض الشعائر الإسلامية التي كانت في الماضي قائمة، وهي الآن تتجدّد ولم تعد غريبة على المجتمع المسلم. يُقال هذا في الوقت الذي تظاهر فيه رغبة في بعض التنازلات من قبل كُتاب عرب ومسلمين؛ لأنهم ربّما لم يكونوا متّحمسين لمجال الدعوة، بل ويعتذرُون للآخر عنها وعن القائمين عليها.

برز هذا واضحًا حينما تقرَّر إغلاق مركز الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان الذي قام لترسيخ مفهوم الحوار الحضاري، وربّما أنه لم يُرضِ بعض الأطراف، وربّما فلا اعتذار، فتقرَّر إغلاقه، لاسيَّما أنه يحمل اسم رمز عربي له جهوده في مجال رأب الصدع العربي ولَم الشمل ونشر الخير.

(١) انظر: عماد الدين خليل. نظرة الغرب إلى حاضر الإسلام ومستقبله. - بيروت: دار النقائص، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م. - ص ١٣٢.



والمطلوب الوصول إليه هو ألا يُستغل موقف لم يكن في مصلحة المسلمين ليكون مجالاً لبعض الكتاب لتقويض أصول الدين والحطّ من قدر القائمين عليه من الولاة والعلماء والدعاة والمتدينين إليه، انتفاء في حمل الهم على درجات متفاوتة من ثقل هذا الهم المحمول، ولئلا نعین غيرنا علينا بحسن نية أو نحو ذلك، وألا يتحول بعضنا إلى معاول هدم من دون إدراك لذلك إدراكاً واضحاً، لا سيما مع توافر إمكانية صنع القابلية للوصول إلى هذا الموقف، وذلك من خلال ممارسة ما يمكن أن يُسمى بالإرهاب الثقافي،^(١) بحيث يأتي زمان نجد فيه أنفسنا أو أولادنا أو أحفادنا وقد انقذنا إلى تيارات تصب في النهاية في تحجيم ما نحن عليه بتقديم البديل الذي لا يتوقع له الفلاح، مهما بدا كذلك للوهلة الأولى.

ثم إن المسؤولية لا تغفل أثر هؤلاء الولاة والعلماء والدعاة في مواصلة الجهد بعزم وجزم في تقديم هذا الدين بالصورة التي جاء عليها ويلغها بها سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله عليه السلام وصحابه الكرام - عليهم رضوان الله تعالى - دون اللجوء إلى الزيادة في ذلك، إذ إن الزيادة في ذلك كالنقص فيه، بل ربما أكد علماؤنا أن الزيادة فيه أشد من النقص منه. ونحن في زمن أحوج ما نكون فيه إلى التركيز على سماحة هذا الدين واعتداله ووسطيته.

(١) انظر: مثال يمين. العولمة والإرهاب الثقافي. - شؤون الأوسط. - ع ١١٣
(شتاء ٢٠٠٤م). - ص ٦٧ - ٨٢.

المحدّد الثالث

الحقوق

من محدّدات العلاقة بين الشرق والغرب النظر إلى الحقوق والواجبات، وقد رسّخ الإسلام مفهوم الحقوق في توكيده على الضرورات الخمس: النفس والعرض والمال والدين والنسل، وانبثقت من هذه الضرورات الخمس ضرورات فرعية، تقوم عليها الضرورات الأصلية، وبالتالي فإنَّ الإسلام ينظر إلى الحرية على سبيل المثال، من منطلق رباني محدّد غير مطلق، وهو يؤمن بحرية الفكر وحرية الرأي وحرية السلوك وحرية التصرف في الممتلكات، كل ذلك في حدود إنما قامت لتضمن عدم إساءة مفهوم الحرية، بحيث لا تجرح شعور الآخرين، أو تؤثُّ على المصلحة العامة. ^(١)

(١) انظر: عدنان بن محمد بن عبدالعزيز الوزَّان. موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام وسماتها في المملكة العربية السعودية. مجلَّة ٨. بيروت: مؤسَّسة الرسالة، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥ م. ٤٤ - ٤٩.



وعندما انتفض الغرب وبدأ النهضة أوجد المؤسسات المحلية والإقليمية والدولية التي تعنى بالنظر في تصريف شؤون الناس السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، ثم بدأ بعد ذلك بوضع الأنظمة والقوانين التي صاغها من منطلقاته ومن منطقه وعقليته، دون النظر بالضرورة إلى المنطلقات الأخرى أو العقليات الأخرى. ثم صاغ هذه الأنظمة والقوانين على شكل اتفاقيات دولية ترعاها مؤسسات ومنظمات دولية، مثل هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن ومنظمات حقوق الإنسان ومحكمة العدل الدولية، وطالبت الدول الأعضاء في هذه المنظمات بالصادقة عليها، وبالتالي تطبيقها في مجتمعاتها. (١)

ومن هنا برز الإشكال لدى كثير من الدول الإسلامية إن لم يكن لديها كلّها، ذلك أنه وجدت موادًّا وفقراتٍ في هذه القوانين والاتفاقيات ومنها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (٢/٨/١٣٦٨هـ - ١٢/١٩٤٨م) تتعارض صراحةً مع المفهوم الإسلامي لحقٍّ من الحقوق، فكان أن تحفظت بعض الدول على هذه المواد، وامتنعت دولٌ أخرى عن التوقيع على الاتفاقيات، بلـ المصادقة عليها. ومن ذلك حقوق الإنسان وحقوق المرأة وحقوق الطفل.

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. إشكالية المصطلح. - مرجع سابق. - الفصل الثالث: الحقوق. - ص ١٨٥ - ٢٠٠.



ولا بدّ هنا من التعرّيغ على خلفية هذه القوانين الدوليّة، إذ الذي يظهر أنها لا يمكن أن تتجزأ من الخلفية الدينيّة مهما صيغت في مجتمعات غير متنديّة أو مجتمعات تتبنّى منهج العلمانية في الحكم والحياة.

ومهما كان الشخص علمانيًا إلا أنه لا يخلو من وضع بصمات خلفيته الثقافية عندما يأتي الأمر لصياغة قانون دولي، وهذا ما صرّحْت به بعض الدول الإسلاميّة عندما سوّقت تحفّظها على بعض مواد هذه القوانين وفقراتها، مما يعني «أنها سيطرةُ نظامٍ عربيٍ ذي نكهة دينية على دين آخر يملك البديل ويعتقد أنه الأولى من ذلك النّظام الموضوع». (١)

ومن الحقوق والواجبات التي افترق فيها النّظام الإسلامي عن الغرب، حق الحياة لكل إنسان يتماشى في سلوكياته مع السّمت العام، فإذا خالف هذا السّمت العام المبني على المفهوم الإسلامي للسمّت العام، فقد الفرد حقّه في الحرية أو الحياة، بحسب المخالفة التي تبدر عنه، فإنما أن يُبعد، أي يُنفي من المجتمع المسلم، أو يُجلد أو يُعاقب أو يُقتل، ولا يعذّب ولا يُسْمِم. وتكون العقوبة واضحةً معلنة تشهدها طائفة من

(١) انظر: العلمانية. - ص ١٨٠ - ١٨٢ - ١٨٣ . - في: نعمان عبد الرزاق السامرائي. نحن والصديق اللذوذ: دراسة تحليلية للفكر الغربي و موقفه من الإسلام. - لندن: دار الحكمة، ١٤١٧ هـ. - ص ١٨٥ .

المؤمنين، وتُعلن على الملاّ في وسائل إعلام العصر. ﴿وَلِشَهْدَ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

ولا ينظر الإسلام إلى الزنى بأيّ اسم آخر سُمي فيه الزنى على أنه حقّ لأيّ شخص، ذكرًا كان أم اثني رضيَّ أم لم يرضَ، ذلك لأنَّ الزنى، رغم أنه يقال عنه إنه أقدم مهنة في التاريخ إذا ما كان في مجال بيع اللذَّة، هو مرض اجتماعي له عواقبه التي تؤثُّ على بناء المجتمع بتفشي الأمراض واحتلاط الأنساب، ولذا فليس في الإسلام صداقاتٌ بين الجنسين تفضي إلى الزنى كالموجود في الغرب، وليس فيه خليلاتٌ معلناتٌ أو غير معلناتٍ وليس فيه شذوذ. ولا يعطي الإسلام الإنسان الحقَّ في شرب الخمور، وتعاطي المخدرات، مهمماً كانت الدوافع، وكذا السرقة بأيّ شكل من أشكالها وبأيّ اسم سُميَّت فيه.

وعلى أيّ حال، فالإسلام واضح في مسألة حماية المجتمع من العبث، وذلك من خلال الحزم في إقامة الحدود الشرعية، متى ما ثبتت التهمة على المدَّعى عليه بالوسائل الشرعية لثبت التهمة، من دون تدخل أيّ وسيلة من وسائل بشرية تقهر المدَّعى عليه على الاعتراف، ومن دون تدخل أيّ وسيلة من وسائل بشرية تبرئ المدَّعى عليه ولو أنَّ التهمة قد لصقت به. ولذا فإنَّ مفهومات الحرَّية الشخصية وحقوق الإنسان في الإسلام مختلفة عنها في الأنظمة الوضعية الأخرى.



وهكذا يطول النقاش في هذا المجال ويحتاج إلى أولئك

المتخصصين في القضاء والقانون لإبداء الفروقات بين النظمتين / (١) القانونيين.

قد ينظر إلى هذا الاختلاف الجوهرى على أنه يحدُّ من قيام علاقات قوية بين الشرق والغرب، ما لم يتنازل الغرب عن الشعور بأنَّ قوانينه هي الصالحة، ونظم غيره من الأمم الأخرى غير معتبرة، رغم أنَّ واضعي الاتفاقيات الدولية في مسائل تتعلق بالإنسان بدأوا يدركون شيئاً من هذا التضارُب، وبالتالي بدأوا يستأنسون بالأنظمة الأخرى، لاسيما حقوق الإنسان في الإسلام، عندما بربت ظاهرة التحفظات من كثير من الدول الإسلامية، التي عرَضت عليها اتفاقيات حقوق الإنسان وحقوق الطفل وحقوق المرأة، وغيرها من القوانين ذات الصبغة الغربية.

والواقع أنَّ تطبيق المسلمين للشريعة بما في ذلك الحدود، يتعرَّض لنقد جارح من تلك الأوساط الغربية، وتُثْمِم الحدود في الإسلام بعدها عن الإنسانية والتحضر واحترام حقوق المرأة المجرم الذي يقام عليه الحدُّ. وهذا الاتهام المستمر المتواصل قد أثَرَ في بعض أبناء المسلمين فأضحووا يتوارون عن القوم كلما جاء حديث عن الحدود، ويقفون موقف المدافع المعذَّر المسوَّغ تسوياً ضعيفاً يدلُّ على شيء من الانهزامية، وهذا

(١) انظر: رضوان السيد. حقوق الإنسان في الفكر الإسلامي المعاصر بين
الخصوصية والعالمية. - التوحيد. - مع ١٥ ع ٨٤ (تشرين الأول/ أكتوبر
١٩٩٦م). - ص ٣٨.



بالتالي يؤثّر على إيمان المسلم الذي قد تبدو عليه ضائقة الاقتناع بهذه الحدود في مقابل العقوبات التي يتلقاها المجرم في المجتمع الغربي، والتي يدعو بعضها إلى الأسف من منطوق الحكم على مجرم واضح الإجرام، بل ربما لأنّ بعض هذه العقوبات فيها أحياناً قسوة غير عادية.

ويؤثّر هذا النقد العجارح على العلاقة بين الشرق (المسلمين) والغرب، إذ إنّ أحدهما ليس مقتنعاً بأسلوب الآخر في النظر إلى الحقوق والواجبات، ذلك لأنّ المنطلق مختلف بين الثقافتين.

أما حقوق المرأة فالاختلاف فيها واضح وجلّي. وكلاً النظارين ينظر للمرأة نظرة مختلفة كذلك في المنطلق، ذلك لأنّ النقاش حول هذا الموضوع يأخذ منحى عاطفياً هجومياً أو دفاعياً تسويفياً، حتى أنّ أبناء المجتمع المسلم وبناته في مجملهم وليس كلّهم، يقفون وقفات حائرة حول هذا الموضوع.^(١) مبعث الحيرة هو ذلك التناقض الغربي في الدعوة إلى حقوق المرأة وهو في الوقت نفسه يتنهك حقوقها ويستخدمها سلعةً للإغراء والدعارة والاتّجار بالفتيات والأطفال المختطفين من مجتمعات فقيرة.^(٢)

(١) انظر: محمد فائق. حقوق الإنسان بين المخصوصية والعالمية. - ص ١٩٥ - ٢٠٨ - في: مركز دراسات الوحدة العربية. حقوق الإنسان العربي / إعداد نخبة من المفكرين العرب. - بيروت: المركز، ١٩٩٩ م. - ص ٣٠.

(٢) انظر: مفرّج بن سليمان بن عبدالله القوسي. حقوق الإنسان في مجال الأسرة من منظور إسلامي. - الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م. - ص ١٣.

ومنهم من تبنّى كثيراً من المفهومات الغربية في النظرة إلى المرأة، ويدعون إليه إعلامياً وقد يطبقونه في حياتهم، متّهمين أصحاب النظرة الإسلامية بالتشدد والتزمت، بل والتطّرف في الضغط على المرأة وغمطها حقّها في المشاركة في عمارة الأرض وبناء المجتمع.

ولذا ظهرت الكتابات العلمية والعاطفية التي ركّزت على حقوق المرأة وواجباتها، وكثير من هذه الكتابات إنما تدافع عن وضع المرأة في الإسلام مقابل وضعها في الغرب بصورة خاصة.

لا تهدف هذه الرؤفة إلى الانسياق في هذا الموضوع الحساس، سوى إلى التوكيد على أنه محدّد من محددات العلاقة بين الشرق (المسلمين) والغرب. وهو محدّد غامضٌ غموض مواجهة المشكلة، لا غموض المبادئ العامة لحقوق المرأة في أنْ تحيا حياة إنسانية تحفظ لها كرامتها وتعترف بأثرها في بناء المجتمع وتحقيق رفاهه.

المحدّد الرابع

العرقية

نظرة الغرب إلى الآخر غير الغربي محدّد أساسياً من محدّدات العلاقة بين الشرق والغرب، بل إنَّ الشخص الأوروبي ينظر إلى غير الأوروبي نظرة قائمة على الفوقية،^(١) بغضِّ النظر عن الخلفية الثقافية لهذا الشخص، فيستوي في ذلك الشرقي وغير الشرقي، سواء أكان هذا الشرقي مسلماً، أم كان من ذوي الثقافات الأخرى، كالهندوس والبوذيين والزرادشت والمجوس والوثنيين الآخرين. ولذا لم يتحمّل الغرب أنْ ينظر إلى الإسلام على أنه دين شامل، بل نظر إليه على أنه دين آتٍ من الشرق ومن العرب تحديداً، ولذا يُستخدم المصطلحان الإسلام والعرب تبادلياً، بل إنَّ مصطلح العرب عند الغرب طاغٍ على

(١) انظر: إدوارد سعيد. الآلهة التي تفشل دائمًا/ ترجمة حسام الدين مصطفى. - بيروت: التكريم للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م. - ص ٧ - ٨.



مصطلح الإسلام. وينذر ذكر مصطلح الإسلام في مقابل مصطلح العرب، إلا لدى المستشرقين الذين تمكّنوا من التفريق بين المصطلحين.

أما العامة من الغربيين فإنّ العرب عندهم تعني الإسلام والمسلمين، ولذا فإنه من الغريب عندهم أن يوجد من بين العرب نصارى أو يهود، ويستغرب الغربي أن يتحول الأوروبي إلى الإسلام، وكأنهم ينظرون إليه على أنه تحول عرقاً من الجنس الأنجلوساكسوني أو الجنس الآري إلى الجنس العربي، ولم يتحول من النصرانية أو اليهودية إلى الإسلام ديناً.

والإصرار على تغليب العرب مصطلحًا على الإسلام ناتج، في ما يظهر، عن الرغبة في التوكيد على محلية الإسلام وأنه مقصور على العرب الذين كانت لهم نظرة خاصة عن غيرهم، مبنية على ما كانوا عليه قبل الإسلام، في مقابل الأمم الأوروبية المتحضّرة، من رومان ويونان (إغريق) وبيزنطيين قبل النصرانية وبعدها.

وهم يدركون بحماسهم العرقي أنهم يتنازلون هنا عن الحماس الديني، من حيث التوزيع الجغرافي، ذلك أنهم برغم كونهم في الغالبية نصارى كاثوليكي أو بروتستانت أو أرثوذوكس، يدركون أنّ النصرانية إنما جاءت من الشرق، ولا يزالون يقصدون «يَحْجُون» بيت المقدس، وأعظم قدّاس عندهم عند الاحتفال بمولد عيسى بن مريم - عليهما السلام - هو ذلك



القدّاس الذي يقام في بيت لحم ليل الخامس والعشرين من الشهر الثاني عشر من التقويم الميلادي، على اعتبار أنَّ بيت لحم في فلسطين المحتلة هي المكان الذي ولد فيه عيسى بن مریم - عليهما السلام - تلك الليلة أو ذلك اليوم.^(١)

وكذا الحال يُقال عند اليهود، إذ إنَّ جغرافية اليهودية انطلقت من الشرق موطن العرب الآن. ولدينا في هذه المواطن مواطنون عرب لا يزالون يحتفظون بديانتهم النصرانية الأرثوذوكسية غالباً واليهودية. ويدرك هؤلاء أهمية الفصل بين المصطلحين الإسلام والعرب؛ لأنهم عرب ولكنهم غير مسلمين، ويفتخرون بعروبتهم كما يفتخرون بنصرانيتهم ويهوديتهم، وإن قدّموا إحداهم على الأخرى في التفضيل من منطلق الولاء والبراء، بل إنَّ منهم من يفتخرون بأنَّ ثقافته إسلامية رغم أنه غير مسلم، وذلك لِمَا لقبه وبني عقيدته من تعايش ودُي بين المسلمين.

وتأسِّسَ على ذلك يمكن الزعم بأنَّ هذه النظرية العرقية الفوقة قد حالت دون تقبل الأوروبيين (الغرب) للإسلام، وحالت دون قبوله ديناً شاملاً، رغم تزايد أعداد المسلمين في المجتمعات الغربية من المهاجرين ومن المقيمين.

(١) وعند المحققين كلام حول هذه النظرية له علاقة بوجود النخلة في موسم الرُّطب، مما يعين على الدقة في تحديد مكان الميلاد وزمانه، سيأتي مجال التعرُّض إليه. قال الله تعالى: ﴿وَهُنَّى إِلَيْكَ بِمِنْعَنَّ النَّخْلَةِ نُسْقَطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيَّا﴾، [سورة مریم: ٢٥].

ولا تزال بعض المجتمعات الغربية لا تعترف بالإسلام دينًا يمنع أتباعه ميزات رسمية في العمل والدراسة، وتراعي سلوكاتهم المبنية على ما يملئ عليهم الإسلام كالذبح الحلال واللباس المحتشم للرجال والنساء، والأعياد، لاسيما عيد الفطر المبارك والأضحى، وصلاة الجمعة وإقامة المساجد والمراكز الإسلامية، وغير ذلك كالمدارس والمقابر.

في حين أن المسلمين قد تخلوا عن العرقية المؤدية إلى التفاضل الجنسي، منذ أن أبدلهم الله الإسلام نسباً عن أي انتماء آخر، فلا فضل لعربي على عجمي إلا بالقوى، وأصبحت القوى هي معيار التفاضل، **﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَقْنَطُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِخَيْرٍ﴾** [سورة الحجرات: ١٣]. وإنما هي فورة عربية ظهرت عندما برغ التوجه إلى القومية العربية فحاول القوميون التوکيد علىعروبة أولاً ثم الدين أيًا كان ثانياً، حتى ليقول عمر فروخ - رحمة الله - : إنه كان من العيب التعرُّف على دين العربي على حساب الوحدة والقومية العربية. ^(١)

إنما جاءت هذه الفورة في وقت خفت فيه نجم المسلمين. وعندما عاد الإسلام إلى الإشعاع تقهقرت الدعوة إلى القومية العربية، ونظر إلى العرب بقدر ما يحملون رسالة

(١) انظر: عمر فروخ. الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة. - ص ١٢٥ - ١٤٣ - . - في: الإسلام والمستشرقون / تأليف نخبة من الكتاب المسلمين. - جلد: عالم المعرفة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م. - ص ٥١١.



الإسلام إلى الآخر، الأمر الذي سيؤثر إيجاباً على تقهقر الفوقيـة العرقـية لدى الغـرب لمصلحة الإسلام، الذي لم يـفرـق بين أبيض وأسود، أيـ لم يـنـظر إلى العـرـق أو الجنس على أنه عـاـمـل من عـوـاـمـل الـاتـنـمـاء لـدى النـاسـ.

وعـلـيـهـ، فـإـنـ العـرـقـيةـ فيـ كـوـنـهـاـ مـحـلـدـاـ مـنـ مـحـدـدـاتـ العـلـاقـةـ بـيـنـ الشـرـقـ وـالـغـربـ لـاسـيـمـاـ الإـسـلامـ،ـ هيـ عـاـمـلـ موـقـتـ،ـ يـزـوـلـ مـعـ وـضـوـحـ الرـؤـيـةـ نـحـوـ الإـسـلامـ بـاـنـتـشـارـهـ فـيـ المـجـتمـعـ الغـرـبـيـ عـلـىـ الصـورـةـ الصـحـيـحةـ،ـ التـيـ يـرـادـ لـهـ الـاـنـتـشـارـ بـهـ دـيـنـاـ قـيـمـاـ صـافـيـاـ نـقـيـاـ خـالـصـاـ مـنـ أـيـ شـائـبـةـ تـنـفـرـ النـاسـ مـنـهـ.ـ وـيـزـوـلـ كـذـلـكـ مـعـ التـخـلـيـ التـدـرـجيـ لـلـغـربـ عـنـ عـرـقـيـتـهـ وـشـعـورـهـ بـالـفـوـقـيـةـ تـجـاهـ الـأـمـمـ وـالـشـعـوبـ الـأـخـرـىـ التـيـ يـرـاهـاـ مـنـ أـنـصـافـ الـبـشـرـ.ـ وـسـيـزـوـلـ بـذـلـكـ شـعـورـ الغـرـبـيـ بـأـنـهـ نـصـفـ إـلـهـ.

المحدث الخامس

الحروب

(١) الإرغام

من محددات العلاقة بين الشرق والغرب تلك الحروب التي قامت بين المسلمين وغير المسلمين على مر العصور الإسلامية. ولذا نجد من التهم التي توجه إلى الإسلام أنه انتشر بالسيف، وأجبر الناس على القبول به بالقوة، أي أن الإسلام صنع الناس المسلمين رغمًا عنهم. وترى هذه التهمة نفر من المستشرقين وجعلوا الجهاد في أحد مفهوماته في الإسلام دليلاً صارخاً على انتشار الإسلام بالسيف، ووجدوا في القرآن الكريم آياتٍ يبنّياتٍ تدعوا إلى القتال، بالإضافة إلى آيات الجهاد، فانبرى نفرٌ من المسلمين الاعتداريين المدافعين يؤكدون على أن الإسلام لم يتشر بالسيف، بل بالإقناع ويستدلّون على ذلك بانتشار الإسلام في شرق آسيا وجنوب شرق آسيا وأفريقيا.

الواقع أنَّ الحروب بين المسلمين والغرب تشكّل حقبة



تاريجيةً واضحة المعالم في العلاقة بين الشرق والغرب، فالرسول ﷺ بدأ ينشر الإسلام بالدعوة، وإرسال الوفود إلى قيادات العالم القديم، ثم لما لم يستجيبوا لجأ إلى الغزوات، التي انطلقت إلى شمال الجزيرة العربية، أي إلى الغرب، أو الروم، ثم تلاه خلفاؤه من بعده؛ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنه، ثم الخلافة الأموية فالعباسية فالعثمانية. وكانت هناك غزوات، قاتل فيها المسلمين الكفار والمرشكين، ولم يجرروا أحداً على الدخول في الإسلام، بل إنهم حموا أولئك الذين أثروا البقاء على دينهم؛ اليهودية أو النصرانية مقابل الجزية، التي تؤخذ من القادرين منهم، ذلك أنهم دخلوا في حمى الإسلام وإن لم يدخلوا فيه مسلمين. فصارت لهم أحكام خاصة بهم تعارف أهل العلم على تسميتها بأحكام أهل الذمة الآتي ذكرها، وعاملهم المسلمون على أنهم جزء من المجتمع المسلم. ^(١)

ثم يأتي ختام القرن الخامس الهجري / الحادي عشر

(١) مَرْعِنُ بْنُ الْخَطَّابِ بِبَابِ قَوْمٍ وَعَلَيْهِ سَائِلٌ يَسْأَلُ: شِيْعَيْ كَبِيرٍ ضَرِيرُ الْبَصَرِ، فَضَرِبَ عَمْرُ عَضْدَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَقَالَ: مَنْ أَيْ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْتَ؟ قَالَ: يَهُودِيٌّ. قَالَ لَهُ: فَمَا أَجْعَلْتَ إِلَى مَا أَرَى؟ قَالَ: أَسْأَلُ الْجَزِيرَةَ وَالْحَاجَةَ وَالسَّنَنَ. فَأَخْذَ بِيَدِهِ وَذَهَبَ إِلَى بَيْتِهِ فَأَعْطَاهُ مَا يَكْفِيهِ يَوْمَهُ؛ ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَى خَازِنِ بَيْتِ الْمَالِ فَقَالَ لَهُ: «انظِرْ هَذَا وَضْرِبْهُ عَاءَ، فَوَاللَّهِ مَا أَنْصَفْتَهُ أَنْ أَكْلَنَا شَيْبِتَهُ ثُمَّ نَخْذِلَهُ عَنْدَ الْهَرَمِ». [إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفَقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ]، وَالْفَقَرَاءُ هُمُ الْمُسْلِمُونَ، وَهُذَا مِنَ الْمَسَاكِينِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَوَضْعُهُ وَأَمْثَالُهُ الْجَزِيرَةُ. افْتَرَى أَبُو يُوسُفُ الْقَاضِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبِ الْأَنْصَارِيِّ، تٖ ١٨٢ هـ/ ٧٩٨ مـ. كتاب الخراج. - بيروت: دار المعرفة، د. ت. - ص ١٢٦.

الميلادي لتبدأ سلسلة من الحروب الهجومية القادمة من الغرب وقد حملت الصليب شعاراً لها، ودغدغت فيه عواطف العامة قبل الخاصة، ووعدت الجميع بالنعم في أرض فلسطين، أرض الميعاد. وكانت تحمل شعارات الإغراء الديني قبل الدنوي وتحمل الصليب، مما يؤكّد على أنَّ الدافع الأوَّل لهذه الحملات المتتابعة كان دينياً، ثم تأتي الدوافع الاقتصادية والسياسية بعد ذلك. وهي دوافع غير مغفلة، ولكنها ليست الدوافع الأساسية لهذه الحملات، وإن استغل الحُكَّامُ السياسيون رجال الدين في حروب الفرنجة «الحروب الصليبية»، فإنَّ رجال الدين أيضاً قد استغلوا الحُكَّامُ السياسيين.^(١)

والتقى الجميع مع التَّجَارِ في تأجيج هذه الحملات وصاحبُتها نوعيَّةٌ خاصَّةٌ من الناس ممن لفظهم المجتمع الغربي، فيبحثوا عن البديل في أرض السُّمْنِ والعسل في أرض الميعاد، ولكن هذه الفتنة كانت قليلة ذكرُتها تفصيلاً بعض كتب التاريخ التي عاصرت هذه الحملات. وهناك نصوص تاريخية عجيبة ذات صلة بأبعاد اجتماعية وسلوكية ومعرفية كانت من حصيلة الاحتكاك بالفرنجة، قد لا تسمح طبيعة هذا الكتاب بذكرها على الملاَءِ فُرِّجَ إِلَيْهَا في مظانِها.^(٢)

(١) انظر: أيوب أبو دية. حروب الفرنجة حروب لا صليبية. - مرجع سابق. -
ص ١٨٢.

(٢) انظر على سبيل المثال: سهيل زكار. الحروب الصليبية. - ٢ مجل. - دمشق:
دار حسان، ١٤٠١ هـ / ١٩٨٤ م. وانظر أيضاً: سعيد عبدالفتاح عاشور =



ولدينا باحثون مؤرخون معاصرون تخصصوا في التاريخ لحروب الفرنجة التي سمّاها الغرب بالحروب الصليبية، ليس لمجرد السرد التاريخي فقد سُيّقوا إلى ذلك ممّن عاصروا حملات من هذه الحروب من المسلمين وغير المسلمين، ولكن متخصصي اليوم يدرسون هذا التاريخ المهم ويفسّرونها ويحلّلون الأحداث ويقفون عند النصوص. وعن هؤلاء المتخصصين نأخذ الحكم على هذه الحروب ونوازن بينها، ذلك أنه تحكم هؤلاء المعاصرين انتماءاتهم التي لا بدّ أنّ تتعكس على أحکامهم رغم علميتهم ونزعتهم الموضوعية. ويهمنا منهم المنصفون الذين تتبعوا هذه الحروب ففطنوا إلى منطلقاتها وبراعتها، وأدركوا غاياتها وأهدافها، ومزجوا بين الدافع الديني

- = الحركة الصليبية: صفحة مشرفة في تاريخ الجihad الإسلامي في العصور الوسطى. - ط ٦. - مع. - ط ٢. - القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٤م.
- وانظر كذلك: أمين معلوف. الحروب الصليبية كما رأها العرب/ ترجمة عفيف دمشقية. - ط ٢. - بيروت: دار الفارابي، ١٩٩٨م. - ص ٣٥٢.
- وانظر كذلك: كلود كاهن. الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية/ ترجمة أحمد الشيخ. - القاهرة: دار سينا للنشر، ١٩٩٥م. - ص ٣٨٤. وانظر كذلك: فوشيه الشاتري. تاريخ الحملة إلى القدس/ ترجمة: زياد العسلي. - عمّان: دار الشروق، ١٩٩٠م. - ص ٢٦٧. وانظر كذلك: حسن خبشي/ مترجم ومعلم ومحقق. الحرب الصليبية الثالثة: صالح الدين وريشارد. - ٢ ج. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م. - (سلسلة: تاريخ المصريين: ١٨١ - ١٨٢).
- وانظر كذلك: جوناثان ريلي - سميث. الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية/ ترجمة محمد فتحي الشاعر. - ط ٢. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م. - ص ٢٩٥.

والدّوافع الأخرى الاقتصادية والسياسية، ولم يعتذرُوا لآخر بطبع دافع على حساب دافع آخر.^(١)

وعلى أيّ حال استمرّت هذه المحنّات قرنيين من الزمان (٤٩٥ - ٤٩٢هـ / ١٠٩٥ - ١٢٩٠م) لم يتهيأ فيها النصر للصلبيين، بل وفّقَ الله تعالى المسلمين إلى إجلائهم وإعادتهم إلى حيث أتوا، على يد القيادات الإسلامية من أبناء المسلمين من أمثال عماد الدين زنكي، ونور الدين زنكي، وصلاح الدين الأيوبي من القيادات السياسية، وأمثال عدد كبير من القيادات العلمية الإسلامية المعاصرة لتلك الحملات.

ومع انتهاء هذه المحنّات الصليبية لم ينته الشعور بها، فلا تزال تُذكر وتُردد، سواءً بسواء بين المسلمين والنصارى. فمن القيادات النصرانية الحديثة الجنرال الفرنسي غورو الذي قدمه على قبر صلاح الدين الأيوبي - رحمة الله تعالى - في دمشق قال: «ها قد عُدنا يا صلاح الدين». (٢) ومنهم من دخل بيت

(١) انظر: فيليب فارج ويوسف كرياج. المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي / ترجمة بشير السباعي. - القاهرة: سينا للنشر، ١٩٩٤م. - ٢٢٠ ص. وانظر كذلك: اليكسي جورافسكي. الإسلام والمسيحية / ترجمة خلف محمد الجراد، راجع المادة العلمية وقلم له محمود حمدي زقوقي. - الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م. - ٢٣٦ ص. - (سلسلة: عالم المعرفة: ٢١٥).

(٢) انظر: جلال العالم. قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام، أبيدوا أهله. - ط٩. - القاهرة: دار السلام، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م. - ص٣٣.



المقدس وهو الجنرال اللنبي إِيَّان الاحتلال البريطاني فقال:
 (الآن انتهت الحروب الصليبية).^(١)

ومن المسلمين من يردد أنَّ الحروب الصليبية لا تزال قائمة، ووضحت وضوحاً قوياً إِيَّان حروب البوسنة والهرسك مع الصرب، إلى درجة أنَّ قائد صرب البوسنة الملاحق قضائياً رادوفان كاراديتش قال فيما نقل عنه: «لو كان الأمر لي لما توقفت إلا في مَكَة»! كما صرَّح وزير الإعلام الصربي بقوله: «نحن طلائع الحروب الصليبية الجديدة»،^(٢) وكذا الحال في الحرب ضد المسلمين في كوسوفا. كما أنَّ الكلمة «الصليبية»، قد خرجت من لسان الرئيس الأمريكي يوم الاعتداء على مركز التجارة العالمي بنيو يورك وعلى مبنى وزارة الدفاع بواشنطن في ١٤٢٢/٦/٢٢ـ ٢٠٠١م الموافق ١١/٩/٢٠٠١م، واضطُرَّ للاعتذار بعد ذلك وقام بزيارة للمركز الإسلامي في واشنطن تعبيراً عن أسفه عن الإساءة لمشاعر المسلمين وتهدئته لهذه المشاعر.^(٣)

(١) انظر: صالح مسعود أبو نصير. جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن. -
 بيروت: دار الفتح، د. ت. - ص ٦٥.

(٢) انظر: مهدي رزق الله أحمد. الحملات التنصيرية في العالم الإسلامي: أهدافها ويرامجها (خاصة العالم العربي: السودان ومصر والعراق والجزائر، نماذج). - ص ٣١٧ - ٣٨٨ - في: مجلة البيان ومبَرَّة الأعمال الخيرية بالكويت. مؤتمر تعظيم حرمات الإسلام. - مرجع سابق. - ص ٨٠٩.

(٣) انظر: جون ل. إسبوزيتو. الإسلام والغرب عقب ١١ أيلول/سبتمبر: حوار أم صراع حضاري؟ - أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠٠٣م. - ص ١٧.

على أنَّ سيمون فرويد يُؤكِّد على عدم صحة القول بسبق اللسان؛ إذ إنَّ ما يخرج بالنطق - كما ينظر - يعبر عن المكنون.

وعلى أيَّ حال فإنَّ الحروب التي دارت رحاحها بين المسلمين والغرب قروناً طويلاً لا تزال محدداً قوياً من محددات العلاقة بين المسلمين والغرب، وستظل كذلك ما اعتقد الغرب أنَّ الإسلام يهدُّد وجوده، وأنه خطيرٌ داهم وأنه العدو الجديد،^(١) أو التحدي الجديد،^(٢) الذي سيقضى على المكتسبات الحضارية التي نعم بها الغرب وسعى إلى تصديرها إلى العالم الآخر ردحاً من الزمان، لاسيما بعد زوال الخطر الأحمر.^(٣)

ويؤجّج ذلك الشعور عناصرٌ تستفيد مادياً من هذا التأجيج، وتسعى إلى الإعانة على طمس الحقائق بالتشويه لهذا الدين الذي يحتاج إلى أشخاص يواجهون حملات التشويه ببيان الحقيقة

(١) انظر: فريتز شتيباس. المنظومة الإبراهيمية للحوار. - ص ١٨٣ - ١٩٦ . - في: صاموئيل هانتنغتون وأخرون. الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها. - بيروت: مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، ٢٠٠٢م . - ٩٩٩ ص.

(٢) انظر: في تفسير دعوة التصدي: الإسلام هو «العدو الجديد»، وانظر كذلك: في تفسير دعوة التراضي: الإسلام هو «التحدي الجديد». - ص ٤١ - ٥٤ . - في: فواز جرجس. أمريكا والإسلام السياسي / ترجمة غسان غصن. - بيروت: دار النهار، ١٩٩٨م . - ص ٣٦٣ .

(٣) انظر: جون ل. إسبوزيتو. التهديد الإسلامي: خرافة أم حقيقة؟ / ترجمة قاسم عبد الله قاسم. - ط ٢ . - القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م . - ٤٢٤ ص.



لهذا الدين، فإذا قامت الحجّة على الآخرين برئت ذمة المسلمين، سواء قبل الآخرون بالإسلام أم لم يقبلوا به. وسواء توافق هذه العروب أم استمرّت.^(١) وفي هذا يقول المستشرق الألماني فريتس شتييات (١٩٢٣ - ٢٠٠٦م): «لست أضيف جديداً إذا قلت إننا نلاحظ منذ سنوات قليلة ميلاً شديداً ومفاجئاً في الغرب إلى اعتبار الإسلام خطراً يهدّد العالم الحرّ، بل اعتباره مصدر الإزعاج الباقي للسلام على الأرض. لقد بدأت هذه الظاهرة مع تفكك الاتحاد السوفييتي وإنهايار النظم الشيوعية في أوروبا الشرقية».^(٢)

ويضيف شتييات القول: «وتفسير هذه الظاهرة يفرض نفسه بنفسه. فمن الناس من يشعر ببساطة، بالحاجة الدائمة لمواجهة

(١) انظر الفصل الرابع: الإسلام والغرب: خطر الإسلام أم خطر على الإسلام؟ . - ص ١١١ - ١٣٥ . - في: فريد هاليدي. الإسلام والغرب: خرافة المواجهة، الدين والسياسة في الشرق الأوسط / ترجمة عبدالإله النعيمي . - بيروت: دار الساقى، ١٩٩٧ م. ص ٢٥٩ . وتكرر الكتاب تحت عنوان: الإسلام وخرافة المواجهة: الدين والسياسة في الشرق الأوسط / ترجمة محمد مستجير . - القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٧ م. - (القسم الرابع، الجزء الثاني: الإسلام والغرب: خطر الإسلام أم خطر على الإسلام). - ص ١٢٨ - ١٥٦ . - ص ٢٦٠ .

(٢) انظر: الفصل الثاني: ملاحظات عن دور البحث العلمي في حوار الأديان؟ . - ص ٦٤ - ٦٥ . - في: فريتس شتييات. الإسلام شريكاً: دراسات عن الإسلام والمسلمين . - الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٤م . - ص ٢٠٦ . - (سلسلة عالم المعرفة: ٢٠٢).



خطر أو عدو يهدده، وإذا كان الخطر الشيوعي قد انحسر، فإنَّ الإسلام والمُدِّ الإسلامي هما البديل المناسب. ولديَّ يقينٌ مؤكَّدٌ بأنَّ الدوافع الكامنة وراء هذا الموقف دوافع غير عقلانية. ولهذا أعتقد أنه لا ينبغي أنْ تُترك هذه الظاهرة بغير تفسير وتعليق، لاسيَّما إذا تبَّتها جهات محترمة أو ارتفعت بها أصوات مؤثِّرة».^(١)

(٢) البعضاء

أجرت مجلة التسامُح مقابلة مع برنارد لويس المستشرق البريطاني الأصل والأمريكي الجنسية،^(٢) وهي مجلة علمية إسلامية فكرية تصدر عن وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بسلطنة عُمان، أكَّد فيها هذا المستشرق المعروف جدًا لدى المهتمِّين بهذا الجانب من جوانب المعرفة، أنه لا يؤمن بهذا المصطلح «الاستشراق»، وأنه يرى أنه استُخدم في حقبة من حقب التاريخ، وبالتالي فلا بدَّ من وضع هذا المصطلح «الاستشراق» في «زبالة التاريخ»؛ هكذا في نصِّ المقابلة التي أجريت معه في المجلة.

(١) انظر: الفصل الثاني: ملاحظات عن دور البحث العلمي في حوار الأديان؟ - ص ٦٤ - ٦٥. - في: فريتس شتييات. الإسلام شريكاً: دراسات عن الإسلام وال المسلمين. - المرجع السابق. - ص ٢٠٦.

(٢) انظر: أسرة تحرير التسامُح. العرب والإسلام والغرب والظروف الراهنة: مقابلة مع برنارد لويس. - التسامُح. - ع ٥ (شتاء ١٤٢٥/١٤٠٣ هـ). - ص ٢٦٣ - ٢٧٢.



وليس الحديث بصدق مناقشة زيالة التاريخ؛ لأنَّ لذلك متخصصيه، إلا أنَّ الذي يقول ذلك شخص مؤثِّر اليوم في السياسة الخارجية للمعسكر الغربي، هكذا كان يُعبَّر عنه، وللولايات المتَّحدة الأمريكية تحديداً، وذلك في ما له علاقة بالإسلام والمنطقة التي نسمُّها الآن الشرق الأوسط، ويُستشار بكثافة في ذلك.

وقد استثير في مسألة احتلال العراق ويُستشار في مسألة العلاقة بين اليهود في فلسطين المحتلة والعرب أو المسلمين المحيطين بها. وقد تكون له رؤى مطبقة الآن على الساحة، لاسيما أنَّ هذا المستشرق وهو مؤرخ كذلك حسب رغبته، يهودي قد أعلن انتقامه في أكثر من موقف إلى الصهيونية.^(١)

ومن هنا يُستحضر ما كتبه روبرت مكنمارا ونقلته عنه صحيفة الحياة، وقد كان هذا الرجل وزير الدفاع إبان الحرب الأمريكية في فيتنام ثم صار يدير البنك الدولي، فقد ذكر أنَّ الحرب في فيتنام كما الحرب في العراق مصحوبة بالكراه والبغض للفيتناميين وللعرب المسلمين في العراق، وليس كالحرب مع دولة أوروبية، تشارك في الهوية الدينية والثقافية

(١) انظر في إشكالية العلاقة بين الصهيونية واليهودية في إسرائيل: رشاد عبدالله الشامي. القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة. - الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. - ص ١٣ - ٤٤. (سلسلة عالم المعرفة؛ ١٨٦).

والفكريّة. ولذلك فإنَّ هذا العامل ظاهرٌ في التعامل مع العراقيين، ومن ذلك مَن وقعوا في الأسر أو تعرَّضوا للاستجواب،^(١) كما حصل في معتقل جوانزانمو بكوبا وفي سجون العراق التي بُرِزَ منها سجن أبو عَرِيب وفي السجون السرّية في أفغانستان وأوروبا.

وليس هذا موضع اختلاف أو اتفاق، سوى أنَّ ماكمنارا رسَّخه في مقالته في صحيحة الحياة، وسوَى أنه لكونه وزير دفاع سابق يُتَظَرُ أنَّه ترك له بصماتٍ فكريَّةً في الوزارة قد لا تختلف عما وضعه المستشرق المؤرخ برنارد لويس ويضعه الآن من أفكار لا يستبعد أنْ تكون البِغضاء والكره دافعًا من دوافعها. وقد تكون لهذا الدافع بصمات كذلك في ما يحدث في المنطقة بعامةً من عمليات إرهابية، مما هو محيرٌ فعلاً ويحتاج إلى المزيد من التأمل مع التصدِّي وسدِّ المنابع، والعمل على اقتلاع الفتنة من جذورها.

ولقد شاعت مقوله تُحَمَّلُ اليهود كلَّ ما يجري في المنطقة،

(١) وهذه الكلمة من خبير ممارس يقول عنه جيري ماندر، نقلًا عن الدكتور جان زيجلر في كتابه الأخير بعنوان سادة العالم الجدد: قتل ماكمنارا من الناس، وهو على رأس البنك الدولي أكثر مما فعل عندما كان وزيرًا للدفاع في الولايات المتحدة مسؤولاً عن مذابح فيتنام. انظر: جان زيجلر. سادة العالم الجدد: العولمة، النهابون، المرتزقة، الفجر/ ترجمة محمدٌ مُحمَّدٌ ذكريٍّ إسماعيل. - بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣م. - ص ١٥٩.



ثم أضحت هذه المقوله طُرفةً تتدالو. ويبدو أنها عادت الآن تطرق أبواب النظرة الجدية بعيداً عن الطُرفة، إذ يعود السبب الرئيسي لما تشهده المنطقة من قلاقل متلاحة إلى الاحتلال وسياسات القمع، التي تمارسها الدولة العبرية تجاه الفلسطينيين، حتى أنه ليقال بأنَّ الحرب على العراق كانت في أساسها تأمِيناً وضماناً وحمايةً للدولة الصهيونية في فلسطين المحتلة وإنَّ خطأً الطريق إلى العراق بدلاً من جارتها الشرقية^(١) طبقاً للوثائق التي ظهرت مؤخراً عن جماعات المسيحيين المحافظين الجدد، الذين يسيطرُون على الإدارة الأمريكية.^(٢)

وكان من الممكن أن يكون الحال على غير ما هو عليه على مختلف الصُّعُد لو لم يكن هذا العامل قد فرض نفسه بهذه القوَّة غير الذاتية لليهود في فلسطين المحتلة، حتى من قبل أهل المنطقة نفسها، بحيث أضفى على الكيان الصهيوني، لا في فلسطين المحتلة فحسب بل على مستوى عالمي، هالة من القوَّة ليست لها، ومن الرهبة منها ما لا تستحثُ، فجعلها هذا الموقف تكسب معارك سياسية وحربيَّة لم تخضها قط.^(٢) ولعلَّ هذا

(١) انظر : Stephen J. Sniegoski. The War on Iraq conceived in Israel. - WTM Enterprises, 2003.-www.thronwalker.com/dith/snug/concl.htm.

(٢) انظر : عبدالوهاب المسيري. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. - ط ٢ . - القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥ م. - ١: ص ١٥٦ - ١٥٨.



الشعور لا يلغى أننا أمام طريق طويل لا بدّ أنه بدأ بخطوة أو خطوات، مما يعني أنَّ الوصول إلى نهاية الطريق مهما طالت - بإذن الله تعالى - متحقّق. فكان الله في عون السائرين على طريق الحقِّ.

(٣) الاعتذار

يشهد العالم اليوم محاولات لتصحيح التاريخ. ويتمثّل التصحيح من خلال جملة من الاعتذارات التي يقدمها من جنوا على غيرهم في الزمن الماضي، وقد رصد عدداً كبيراً منها الأستاذ/ محمد السمّاك في كتابه مقدمة للحوار الإسلامي - المسيحي. ^(١) ومن هذه الاعتذارات الآتى:

● ارتكبت اليابان مجازر ضدّ الصين في الحرب المعروفة بالحرب الصينية - اليابانية قبل الحرب العالمية وأثناءها، فاعتذررت اليابان على لسان الإمبراطور عندما زار بكين سنة ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، وأبدى استعداد بلاده لتعويض الصينيين بتمويل مشروعات تنمية ضخمة.

● ونتيجة لما ارتكبته اليابان كذلك في حقّ الصين والفلبين وكوريا، لا سيما النساء منهم، اعتذررت عن ذلك وتعهدت

(١) انظر: محمد السمّاك. مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي. - بيروت: دار النفائس، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م. - ص ١٩٩.

بتقديم تعويضات لأسر آلاف السوسة اللاتي أسيء التعامل معهن خلال الحرب العالمية الثانية.

● وتعَرَّضَ المُواطِنُونَ الْأَمْرِيكِيُونَ الْمُتَحَدِّرُونَ مِنْ أَصْوَلِ يَابَانِيَّةِ للإهانةِ مِنْ بَنِي وَطَنِهِمُ الْجَدِيدِ، عَنْدَمَا ضَرَبَتِ الْيَابَانُ بِيَرِلَ هَارِبَرَ، فَجُوَمَعُوا فِي مَعْسِكَرَاتٍ (مَحْمِيَّاتٍ) اعْتَدَالَ إِلَى أَنْ اَنْتَهَتِ الْحَرْبُ الْعَالَمِيَّةُ الثَّانِيَّةُ، فَاعْتَذَرَتِ الْوَلَيَّاتُ الْمُتَّحِدَةُ لَهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَعَوَّضَتْهُمْ مَادِيًّا.

● وتعَرَّضَ الْأَمْرِيكِيُونَ الْمُتَحَدِّرُونَ مِنْ أَصْوَلِ إِفْرِيقِيَّةِ لِلتَّميِيزِ العَنْصِرِيِّ وَالاضْطَهَادِ لِأَجْيَالِ عَدِيدَةِ، وَتُطَرَّحُ الآنَ قَضِيَّةُ الْاعْتَذَارِ لَهُمْ مِنْ مَوَاطِنِهِمُ الْبَيْضُ، وَتَعْوِيَضُهُمْ بِالْمَشْرُوَعَاتِ التَّسْمُوَيَّةِ الاجْتَمَاعِيَّةِ وَالْاِقْتَصَادِيَّةِ، وَلَعَلَّ فِي اخْتِيَارِ رَئِيسِ الْبَلَادِ تَحْدُّرُ أَصْوَلُهُمْ مِنْهُمْ [بَارَاكُ حَسِينُ أُوبَاما] ضَرِبًا مِنَ الْاعْتَذَارِ الْمُبَطَّنِ وَالْمُلَبِّسِ بِلِبَاسِ الدِّيمُوقْرَاطِيَّةِ.

● وأَسَاءَتِ رُوسِيَا مُعَامَلَةَ الأَسْرِيِّينَ الْيَابَانِيِّينَ أَثنَاءِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَّةِ، وَقَدْ قُتِلَ جَمِيعُ الأَسْرِيِّينَ فِي الْجَبَهَةِ الشَّرْقِيَّةِ، فَاعْتَذَرَتِ رُوسِيَا لِلْيَابَانَ، وَكَانَ هَذَا الْاعْتَذَارُ مُدْخَلًا لِمَنْاقِشَةِ وَضُعُّ الْجُزُّورِ الْيَابَانِيِّةِ الَّتِي احْتَلَّهَا رُوسِيَا.

● وَارْتَكَبَتِ النَّازِيَّةُ جَرَائِمَ بِحَقِّ الْعَالَمِ، فَاعْتَذَرَتِ لِلْيَهُودِ فَقْطَ، وَقَدَّمَتِ أَلمَانِيَا لَهُمْ تَعْوِيَضَاتٍ مَالِيَّةً ضَخِمَّةً وَمَا تَرَالَ، كَانَ لَهَا أَثْرٌ كَبِيرٌ فِي بَنَاءِ الْاِقْتَصَادِ الْيَهُودِيِّ فِي فَلَسْطِينَ الْمُحْتَلَّةِ.



- وقد كفر الفاتيكان العالَم الإيطالي الشهير جاليليو سنة ١٦٣٣ هـ / ١٧٤٢ م، عندما قال بكرودية الأرض، فصدر الاعتذار من الفاتيكان في وثيقة سنة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م تبرئ جاليليو من تهمة الكفر.
- ويعتقد النصارى أنَّ الذين صلبوا المسيح عيسى بن مريم - عليهما السلام - هم اليهود، وكانت الإدانة قد صدرت رسمياً سنة ١٥٨١ هـ / ١٩٠٦ م، فجاء الاعتذار في الثمانينات الهجرية/ السبعينيات الميلادية (١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م)، ببراءة اليهود من صلب المسيح عيسى بن مريم - عليهما السلام -. ^(١)
- واعتذر الفاتيكان مِرَّةً أخرى لليهود سنة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م، بسبب سكوته عن المجازر التي ارتكبها النازية بحق اليهود، وأوقف بناء ديرٍ قرب معسكر أوشوفتس في بولندا، لأنَّ بناءه يُعدُّ إجراءً مدنساً لأرواح اليهود، الذين قتلوا في المعسكر.
- واعتذرَت الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية لليهود بعد موافقة المرجعية الدينية العليا للكنيسة في الفاتيكان، وجاء الاعتذار بسبب الدور السلبي الذي مارسته الكنيسة إزاء الاعتقالات، التي تعرض لها اليهود الفرنسيون أثناء الاحتلال الألماني لفرنسا.
- وتعرَّضت الشعوب الأصلية «الهنود الحمر» في أمريكا اللاتينية

(١) ﴿أَبْنَى مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا أَفْلَوْهُ وَمَا صَلَوْهُ وَلَكِنْ شَيْءَ لَهُمْ﴾ . سورة النساء: ١٥٧ .



للاضطهاد وأعمال السخرة من قبل الحملات الاحتلالية «الاستعمارية» البرتغالية والإسبانية التي سارت تحت راية التنصير الكاثوليكي، فاعتذر الفاتيكان عن ذلك.

هذه سلسلة من الاعذارات أُريد منها «براءة الذمة» وتصحيح مسار التاريخ. ويستظر المسلمون جملة من الاعذارات كذلك منذ الحروب الصليبية إلى حروب البوسنة والهرسك وكوسوفا وفلسطين المحتلة وغزو أفغانستان والعراق، وما يجري الآن تجاه المسلمين في أصقاع متعددة، يستدعي الاعتذار تصحيحاً لمسار التاريخ.

ولن يتم ذلك إلا بتغيير الصورة النمطية السائدة عن العرب والمسلمين في مناهج التعليم والإعلام والسينما في الدول الغربية، التي تصور الإسلام على أنه همجية وأصولية وما إلى ذلك من العوت، التي يوسم بها الإسلام والمسلمون. ولعل هذا هو شكل من أشكال الحوار الذي قدم له الأستاذ محمد السمّاك في كتابه المذكور عنوانه في مقدمة هذه الوقفة. ^(١)

ولن يحصل الاعتذار الذي يصحح مسار التاريخ حتى يقوى هذا الحوار ويأخذ أشكالاً بناءة قائمة على الحجّة، فالتفكير يقارع بالفكرة ليس إلا.

(١) انظر: محمد السمّاك. مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي. - مرجع سابق. - ص ١٩٩.



المحدث السادس

اليهودية

(١) التعاطف

اليهودية محدّد من محَدّدات العلاقة بين الشرق «المسلمين» والغرب، ذلك أنَّ اليهود قد حاربوا النصرانية حين ظهورها حتى اتَّهمهم النصارى أنفسُهم بقتل المسيح عيسى بن مريم - عليهما السلام - صلباً، فاتَّخذت النصرانية الصليب بعدئذ شعاراً لها. ولم تُبرئ اليهود من مقتل عيسى بن مريم - عليهما السلام - إلا في الثمانينات من القرن الرابع عشر الهجري، الستينيات من القرن العشرين الميلادي (١٩٦٥م)، إبان رعاية البابا بولس السادس للكنيسة الكاثوليكية - كما مرَّ ذكره - فيما سُمي بفاتيكان اثنين، إشارة إلى المجمع الفاتيكانى المسكوني الثاني.^(١) ويُعدُّ

(١) انظر: زينب عبدالعزيز. حرب صليبية بكل المقاييس. - دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٣م. - ص ٢٧ - ٥٣. (سلسلة صلبيَّة الغرب وحضارته: ١).



هذا البراء وجهة نظر كاثوليكية قد لا تتفق مع الطوائف الأخرى لا سيما الكنيسة الشرقية، فالعداء بين اليهود والنصارى مستحكم وراسخ في الصحيح: «وَقَاتَ الْيَهُودُ لَيْسَ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَاتَ النَّصَارَى لَيْسَ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّلَوُونَ الْكِتَابَ» [سورة البقرة: ١١٣].

ونظرة المسلمين ليعسى بن مرريم - عليهما السلام - ونظرية القتل والصلب واضحة نزل بها القرآن الكريم: «وَمَا قَاتَلُوا وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُيَّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْلَقُوا فِيهِ لِفَيْ شَكٌ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِّنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْنَاءَ الْأَطْهَرِ وَمَا قَاتَلُوا يَقِينًا» [سورة النساء: ١٥٧ - ١٥٨].

وقد دخل بعض اليهود في النصرانية منذ سنواتها الأولى، ويعُد مطلع النصف الثاني من القرن الأول الميلادي نقطة تحول في الديانة النصرانية، حين تنصّر بولس أو شاؤول (ت ٦٧ م)، الذي كان يضطهد النصارى ويؤذيهم في دينهم وكنائسهم، ثم تحول إلى النصرانية وأراد أن يشوّهها من داخلها، وقد فعل وسيمي بالمخلص عند طائفة من النصارى، مما أعاد على التحريف في هذه الديانة الربانية. (١)

ومعظم التحريف جاء في مصلحة اليهود؛ لأنّه قام أصلًا على أياديهودية تحولت إلى قسس وكاردينالات بل وبابوات. فكان أن تحولت النصرانية عند بعض طوائفها إلى دين يتعاطف

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. التنصير: المفهوم - الوسائل - المواجهة. - مرجع سابق. - ص ٢٩٥.



مع اليهود، حتى وصل الأمر إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين المحتلة على أيدي النصارى من الحكومات الغربية ورجال الدين والفكر والمال في الغرب. ومراحل التمهيد للوطن القومي والبحث لليهود عن مكان معلومٌ، حتى استقرَّ الأمر ليكون قلب العالم الإسلامي في فلسطين، منذ أنْ سعى هرتزل إلى ذلك سنة ١٨٩٨م، أي قبل خمسين عاماً من قيام دولة لليهود في فلسطين المحتلة سنة ١٩٤٨م/١٣٦٧هـ.

ويعدُّم الغربُ اليهودَ في فلسطين المحتلة حتى تحولَت بعض دور العبادة النصرانية في الغرب إلى منابر تأييد للوجود اليهودي في فلسطين، على حساب المسلمين والنصارى الشرقيين، ولهم في ذلك آثار يزعمون أنها دينية، ومنها أنَّ المؤمنين - النصارى هنا - سيقاتلون الكفار - المسلمين هنا - في فلسطين بمعاونة اليهود.

ولا تكاد تجد كنيسة مشهورة، أو قسًا مشهورًا لا يدعو إلى دعم قيام دولة اليهود في فلسطين. هذا في المجتمع الغربي بصورة خاصة، وليس في المجتمع النصراني الشرقي الذي خبرَ اليهود وأصرَّ على موقفه منهم.

وانتشر الوباء اليهودي في الغرب حتى تحولَ الغرب نفسه إلى مؤسسات تخدم مصالح اليهود. وتزعم اليهود فيها معظم الاقتصاد والسياسة والثقافة والإعلام، وإن لم يكن السياسيون المباشرون بالضرورة جميعهم يهوداً.



وقد حذر بنجامين فرانكلين من فتح باب الهجرة لليهود إلى أمريكا الشمالية، وأكَّدَ أنَّ الأمريكيين النصارى سيكونون عَمَّاً لليهود إذا ما حلَّ اليهود بأرض القوم. وهذا مضمون وثيقة محفوظة في قاعة الاستقلال في مدينة فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية.^(١)

وقد انضمَّ المجلس العالمي للكنائس إلى المنظمة الصهيونية العالمية علنًا عام ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.^(٢) وظهر مصطلح المسيحية الصهيونية، وهي «حركة معاصرة هدفها مساندة الصهيونية اليهودية التي اتَّخذت من فلسطين المحتلة - ما يُسمَّى «دولة إسرائيل» - كيَّانًا لها». ^(٣) وقد انطلقت هذه الحركة من أمريكا لتعضيد دولة اليهود في فلسطين المحتلة، وتدعى أنَّ عودة اليهود لفلسطين هو تحقيق للنبوات وتهيئة لعودة المسيح.^(٤)

(١) يشكك عبد الوهاب المؤدب في صحة الوثيقة، ويرى أنَّ اليمين الأمريكي المتطرف قد زورها في العشرينات من القرن العشرين الميلادي المنصرم، ونسها إلى مذبِّح الدستور الفدرالي بنجامين فرانكلين. انظر: عبد الوهاب المؤدب: أوهام الإسلام السياسي. - مرجع سابق. - ص ١٣٦.

(٢) انظر: أسعد عبد الرحمن. المنظمة الصهيونية العالمية ١٨٨٢ - ١٩٨٢م. - ط٢. - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠م. - ص ٢٠٢.

(٣) انظر: سليمان بن سالم بن ناصر الحسيني. الحملات التصويرية إلى عُمان والعلاقة المعاصرة بين الصرانية والإسلام. - لندن: دار المحكمة، ٢٠٠٦م. - ص ٤٩٤.

(٤) انظر: إكرام لمعي (القس). المسيحية الإنجيلية (البروتستانتية) وال موقف من الآخر. - ص ١٥٣ - ٢٦٢. - في: رقية العلواني وأخرين. مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية/ تحرير مني أبو الفضل ونادية محمود مصطفى. - دمشق: دار الفكر، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م. - ص ٢٦٤. - (سلسلة التأصيل النظري للدراسات الحضارية)، ٢).

وَمِمَّا يَعْمَلُونَ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْمَسَارِ سَبَبُ الْغَرْبِيِّ
لِتَأْيِيدِ الْيَهُودِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ تَأْيِيدَهُ وَدَعْمَهُ لَوْطَنِ
بَيْهُودِيِّ قَوْمِيِّ فِي فَلَسْطِينِ الْمُحْتَلَّةِ، حَتَّى وَصَلَ الْأَمْرُ إِلَيْهِ
تَرْسِيقُ الْاسْمِ الَّذِي اخْتَارَهُ الْيَهُودُ لِدُولَتِهِمْ «إِسْرَائِيلُ»، وَحَتَّى
لِيَكَادُ يَطْغِي عَلَى الْاسْمِ الْأَصْلِيِّ «فَلَسْطِينُ» الَّذِي عَرَفَهُ النَّصَارَى
وَالْمُسْلِمُونَ مِنْ قَبْلِهِ، بَلْ وَعَرَفَهُ الْيَهُودُ قَبْلَ ذَلِكَ.

وَكَانَ هَذَا الْمَوْقِفُ الْغَرْبِيُّ إِزَاءِ الْيَهُودِ، وَبِالتَّالِيِّ الْمُسْلِمِينَ،
مَحْدُّداً قَوْيَّاً مِنْ مَحَدَّدَاتِ الْعَلَاقَةِ بَيْنِ الشَّرْقِ وَالْغَربِ، إِذَا يَحْرُصُ
عَلَى اسْتِمرَارِ هَذَا الشَّدُّ بَيْنِ الشَّرْقِ وَالْغَربِ؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ يَدْرِكُونَ
أَنَّهُ لَيْسَ فِي مَصْلِحَتِهِمْ وَجُودُ بَذُورِ تَقَارِبٍ أَوْ تَلَاقِ بَيْنِ الْطَّرَفَيْنِ؛
لِأَنَّ ذَلِكَ سَيَكُونُ عَلَى حِسَابِ الْوِجُودِ الْيَهُودِيِّ، لَيْسَ فِي
الْمَنْطَقَةِ فَحْسَبٌ، بَلْ عَلَى الْأَرْضِ كُلِّهَا؛ إِذَا إِنَّ الصُّورَةَ الصَّادِقَةَ
عَنِ الْيَهُودِ إِنَّمَا هِيَ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ وَلَدِيِّ بَعْضِ النَّصَارَى غَيْرِ
الظَّاهِرِينَ لِلنَّاسِ. وَيَكْفِي أَنْ نَتَذَكَّرَ إِلَيْهِ مَوْقِفُ الْغَربِ كُلِّهِ مِنْ
روْجِيْه غَارُودِيِّ^(۱) وَالقَسِّ فَرَنْسِيِّ الَّذِي آَزَرَهُ فِي قَضِيَّةِ وَاحِدَةٍ
حَدِيثَةٍ تَعْلَقَ بِاَدَعَاءِ الْيَهُودِ إِبَادَةِ الْمُلَائِكَةِ مِنْهُمْ فِي خَضْمِ
الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ.^(۲)

(۱) انظر: روْجِيْه غَارُودِيِّ. *الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيليَّة*. - ط٣. - ترجمة:
حافظ الجمالى وصيَّاح الجheim. - بيروت: دار عطية، ۱۹۹۷م. - ص٣٧٣.

(۲) انظر: رضا هلال. *المسيح اليهودي ونهاية العالم: المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا*. - القاهرة: مكتبة الشرق، ۱۴۲۲هـ/ ۲۰۰۱م. -
ص٢٧٢.



ولأنَّ العالم، بما في ذلك المسلمين، يعلم طبع اليهود، تظهر التفرقة بين العالم واليهود، وتنعكس هذه التفرقة على العلاقة بين المسلمين والغرب، ويتعارض من يحدُّ من ذلك للمضايقة والتجاهل. والسياسة في الغرب تغلب جانب المصالح على أي معنى آخر من المعاني الإنسانية القائمة على الموضوعية والحقوق، إلا في الشأن اليهودي فإنَّ دعم اليهود في فلسطين المحتلة يتعارض مع المصالح العليا للشعوب الغربية.^(١)

هذا على المستوى المعلن الذي تترَّبُ عليه قراراتٌ ومصائرٌ، أما غير المعلن رسميًا والمتروك للمجالس الخاصة فإنَّ الغرب أفراداً ومؤسسات يدرك الهوية اليهودية والطبع اليهودي المخادع، ولا يصرّح بهذا الإدراك شخصٌ إلا فقد مكانته السياسية أو العلمية، حتى لو جاء التصرِّيف على سبيل الظرفة واللطفة. ويدرك في هذا المقام ما حلَّ بوزير البيئة جيمس وات في بداية ولاية رونالد ريجن في مطلع الأربعينيات والألف الهجرية - الثمانينات الميلادية، عندما لمز اليهود بتصرِّيف كانت نتيجته أنْ أجبرَ على تقديم استقالته من الوزارة.^(٢) ومن خلال

(١) انظر: غريس هالسل. يد الله: لماذا تضحي الولايات المتحدة بمصالحها من أجل إسرائيل / ترجمة محمد السمك. - ط٢. - القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. - ص١٢٢.

(٢) انظر: بول فندي. من يجرؤ على الكلام: الشعب والمؤسسات في مواجهة اللوبي الإسرائيلي. - ط١٥. - بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ٢٠٠٢م. - ص٦٢٢.

حوادث أخرى متفرقة صرّح بها بعض الأشخاص البعض عن موقفهم من اليهود فقدوا مكانتهم، وتكمّل الآخرون على هذا الإدراك وجعلوه خارج نطاق حرّية الرأي وحرّية التعبير وحرّية الفكر.^(١)

والشائع الآن أنَّ اليهود في الغرب يسيّرون معظم المجتمع على ما يرون من مفهوم للحياة. ولم يقتصرُوا في تسييرهم هذا على الغرب، بل سعوا إلى انتشار نفوذهم على البلاد والمجتمعات الأخرى التي أفادت من الحضارة الغربية، على حساب حضارتها وثقافتها ومبادئها ومُثلها. وهذا ظاهر واضح في شرق آسيا وجنوب شرق آسيا وضوحاً تاماً.

والعقبة الكباداء التي وقفت في طريق تنفيذ الرغبة اليهودية رغم كل شيء هي الإسلام وأتباعه المسلمين الذين يبنّي عليه دينهم - على ما هم عليه من إضعاف - مع ما يبنّي عليه من فهمحقيقة اليهود ونطّلعتهم في الحياة وموافقهم من الأمم السابقة ومن الأنبياء والرُّسُل من قبل.

ويحاول عبد الوهاب المؤدب مرّة أخرى الاعتذار لليهود بالتفريق بين اليهود زمن المصطفى محمد ﷺ الذين نزل بهم القرآن الكريم ويهدون اليوم، ويرى أنَّ هناك من «ينظر إلى يهود

(١) انظر من ذلك: أحمس حسن صبحي. المسلمين والمسيحيون تحت الحصار اليهودي. - القاهرة: مكتبة مدبلولي، ٢٠٠٢م. - ص ٢٥٣.



المدينة (من معاصري النبي محمد) وإلى يهود إسرائيل المتحاربين مع الفلسطينيين والعرب النطرة نفسها، أي أن العداء لليهودية يختلط بالعداء للصهيونية، ثم يتطور عداءً للسامية دون التثبت إلى أن هذا الأخير من مستورات الغرب». ^(١) وهذه إشكالية لا تفتأ تردد حول التفريق بين اليهودية والصهيونية، ^(٢) لا سيما في ما له علاقة باليهود في فلسطين المحتلة وقيام دولتهم على البُعد الديني والقومي. ^(٣)

ويدرك اليهودُ هذا الموقف من الإسلام، وُعرف عنهم أنهم يقرأون النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التي تبيّن هذه الحقيقة، كما تبيّن مصير اليهود على أيدي المسلمين، ولذا نجدهم ينفقون أغلب جهودهم في تأخير هذا المصير.

(٤) الشرخ الأسطوري

ومن الكتب التي أعطت موضوع اليهود اعتباراً مناسباً لهذه المحددات كتاب حديث ألفه جورج قرم بعنوان: شرق وغرب:

(١) انظر: عبد الوهاب المؤدب. أوهام الإسلام السياسي. - مرجع سابق. - ص ١٣٧.

(٢) انظر في هذه المسألة: عبدالرحمن بن محمد الدوسري. يهود الأسس: سلف سبع لخلف أسوأ / راجعه وخَرج نصوصه وعلق عليه: مصطفى بن أبو النصر الشلبي. - جدة: مكتبة السوادي، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م. - ص ٢٨٠.

(٣) انظر في تنظيم الصهيونية: أسعد عبدالرحمن. المنظمة الصهيونية العالمية ١٨٨٢ - ١٩٨٢ . - ط ٢ . - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠ . - ص ٢٧٢.

الشيخ الأسطوري . ولم يكن هذا هو الكتاب الأول للمؤلف ، فقد سبقه عشرة أخرى منذ سنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، وزاد عليه بعد ذلك ، وكلها إسهامات يغلب عليها طابع الفكر السياسي .^(١) هذا الكتاب مليء بالمعلومات المؤثرة بالمراجع الحديثة حول موضوع الشرق والغرب .

ولا يخلو الحديث عن الشرق والغرب أبداً من التعرُّض لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين المحتلة ، ذلك الموقف الذي بانت آثاره إلى اليوم على العلاقة بين الشرق والغرب ، لا سيما ما يسمى بالشرق الأوسط الذي يدين معظم قاطنيه بالإسلام ، وتتبئ غالبية القاطنين فيه من غير المسلمين داخل المجتمع المسلم الثقافة الإسلامية ، حتى يهود هذه المنطقة العربية قبل الاحتلال كانوا يتبعون الثقافة الإسلامية ، دون أن يؤمنوا بالإسلام ديناً ، إذ إنَّ لهم دينهم الذي يؤمنون به .

ولا يخلو الحديث عن الشرق والغرب وإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين المحتلة ، لا سيما من المفكرين الغربيين والمستعربين ، من الحديث عن المحرقة ، التي تعرَّض لها اليهود في ألمانيا النازية إبان الحرب العالمية الثانية التي بدأت سنة ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٩ م وانتهت سنة ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٥ م . ومن

(١) انظر : جورج قرم . المسألة الدينية في القرن الواحد والعشرين . - بيروت : دار الفارابي ، ٢٠٠٧ م . - ص ٤٠٧ .



ذلك الحديث عن معاداة السامية وأسباب هذه المعاداة، فكانت هناك «محاكبات ثقافية عديدة عن طبيعة النازية، وجنون معاداة السامية وأسبابه، فقد تحولت إلى مشاجنات مزقت العالمين الأكاديمي والإعلامي لسنوات، من دون أن يتم الاتفاق حول المسؤولية المنسوبة إلى هذا العامل أو ذاك فيما جرى، وبالأشخاص المسؤولية التي تقع على عاتق الألمان بشكل جماعي». ^(١) وما أثاره كتاب دانيال ج. جولدهاجن بعنوان: *الجلادون المتطوعون لهتلر: الألمان العاديون والهولوكست*، باريس ١٩٩٧ / ١٤١٧. وكتاب نورمان فنكلشتاين بعنوان: *صناعة الهولوكوست: تأملات في استغلال عذابات اليهود*، باريس ٢٠٠١ / ١٤٢١، حيث يرى أنَّ ما قام به الألمان في المحرقة أوجد نوعاً من الطقوس أخذت طابع القدسيَّة. ^(٢)

يقول جورج قُرم: «إنَّ صورة اليهودي «النائِه» صورة خلقتها الثقافة الغربية. لذا من الخطأ القول إنَّ معاداة السامية ترقى إلى أقدم الأزمنة، بل إنَّ رفض التعددية والفردانية وإثارة ما يجمع ويوحد في إضمار الأنْحُوا الشاملة في المسيحية، هي التي أدَّت

(١) انظر: جورج قُرم. شرق وغرب: الشرخ الأسطوري. - مرجع سابق. - ص ٨٦ - ٨٧.

(٢) انظر: نورمان فنكلشتاين. *كيف صنع اليهود الهولوكوست؟/ ترجمة ماري شهرستان. - دمشق: دار الأوائل، ٢٠٠٣م.*



إلى نبذ كل الذين لا يعترفون بال المسيح، واضطهادهم في أزمنة القلاقل والمحروب. لكن هذا النبذ كان يلائم المحافظين والمتشدّدين من اليهود، الذين بدا لهم عالم «المشركين» مدنّساً. مما ساهم في تعزيز عقلية الغيتو». ^(١) ويُعرّف الغيتو بالهاشم على أنها كلمة «تشير إلى الأحياء التي أنكفاً إليها اليهود في المدن الغربية، لتجنّب الاضطهاد، وكذلك لتجنّب الحياة المشتركة مع «الكافر» من غير اليهود». ^(٢)

ورغم المحاولات لدمج اليهود في المساق الوطني كما فعلت فرنسا، ورفع شعور اليهود بالدونية، إلا أنَّ اليهودية لا تزال تعيش نوعاً من الانقصام العقائدي، «وتتنازعها التيارات المتعارضة». فكان أنْ أنشئت دولة يهودية أو أُنشئَ وطن قومي لليهود في فلسطين المحتلة باسم دولة إسرائيل، التي وصفها المؤلف جورج قرم بـ«طفل الأنابيب»، لا عيّاً بـ«طفل الأنابيب»، ولكن المراد أعمق من ذلك فلقد «بذلت الدول الغربية جهوداً خارقة لإرساء دولة إسرائيل، بل سعت بكمال وعيها إلى إيجاد هذه الدولة مسخرةً كُلَّ طاقاتها الممكنة». ^(٣)

(١) انظر: جورج قرم. شرق وغرب: الشرخ الأسطوري. - المرجع السابق. - ص ٨٧.

(٢) انظر: جورج قرم. شرق وغرب: الشرخ الأسطوري. - المرجع السابق. - ص ٨٧.

(٣) انظر: جورج قرم. شرق وغرب: الشرخ الأسطوري. - المرجع السابق. - ص ٨٧ - ٨٨.



ثم يتساءل المؤلف تساوياً منطقياً: «كيف يمكن أن يكون الغرب علمانياً وجمهورياً ويساهم في الوقت نفسه من دون تحفظ في إيجاد دولة مصطنعة تطالب بـ«حقها» في الوجود استناداً إلى نصٍّ ديني؟ إذا كان التبرير الأخلاقي الذي شرع وجودها بنظر الغرب هو اضطهاد الذي أُلحق باليهود على يد شعب آخر (أي الألمان)، فإنما تمَّ ذلك بمصادرة أرضٍ شعِب آخر، أي الفلسطينيين، لا علاقة له بما حصل من اضطهاد في أوروباً للجماعات اليهودية». (١)

والسؤال منطقي والمسوغ غير منطقي. ويبدو أنَّ هذه القضية التي أثارت ما أثارت في المنطقة، بحيث تكون سبباً رئيسياً فيما يجري في المنطقة، هذه القضية لم تخضع للمنطق، بل إنها دليل «صارخ» على الكيل بمكيالين، مما هو موضع قناعة تامة من قبل عدد غير قليل من المفكِّرين والمناطقة الغربيين، ويزداد هذا العدد مع مرور الأيام، فهل سيصل ذلك العدد المتزايد من ذوي الاقتناع أو الاقتناعات بعدم منطقية زرع وطن قومي لليهود في فلسطين المحتلة إلى أنْ يكون هناك تأثير ما على هذا الوجود اليهودي في قلب العالم الإسلامي؟ وبالتالي يخفَّف من حدة التوتر في العلاقة بين الشرق والغرب؟

(١) انظر: جورج فرم. شرق وغرب: الشريخ الأسطوري. - المرجع السابق. - ص ٨٨.

(٣) العهود

في العدد (١٣٦١٠) من السنة الخامسة والأربعين لجريدة عكاظ السعودية الصادر يوم الاثنين ٧ شوال ١٤٢٤ هـ الموافق ١ ديسمبر ٢٠٠٣ م. وفي الصفحة السابعة (زاوية ثقافة)، نشرت الجريدة مقالاً مطولاً (شغل الصفحة كلها) عن المفكّر العربي الفلسطيني إدوارد سعيد الذي: «نافح عن قضايا الأمة بلغة يفهمها الغرب»، كما تقول الصحيفة. والمقال لم يكن لكاتب واحد، إلا أنّ المحرّر الأستاذ جمال المجايدة استعرض أقوال مجموعة من المفكّرين العرب أمثال الأستاذ شفيق الحوت والدكتور محسن الموسوي والدكتور يوسف الحسن والأستاذ فواز الطرابلسي والأستاذة إبراهيم سلطان وغيرهم، وذلك بمناسبة الاحتفاء بالمفكّر العربي الراحل إدوارد سعيد.

ولقد كانت لي سياحة فكرية مع المفكّر الراحل إدوارد سعيد في هذه الوقفات تحت محدّد: الاستشراق، عرضت فيها سيرته الذاتية التي كتبها بأسلوبه المعتمد بعنوان خارج المكان. وقد ترجمت سيرته شعوره بأنه لم يكن يقيم في أمريكا إلا بصفته لاجئاً يقيم خارج موطنه الذي عاد إليه لا بصفته متصرّاً، ولكن أيضاً بصفته لاجئاً في بلده الأصلي.

ولا إطالة في هذا، فقد كُتب عن الرجل من الكتابات الصحفية وال الفكرية ما يستحقه من الإشادة، وسيُكتب عنه كذلك



كتابات فكرية وعلمية ناقدة. لأنَّ الرجل قد أكَّدَ أننا أقوياء إذا وثقنا بأنفسنا، كما يقول فواز الطرابلسي .^(١)

وربما يُترك الخوض في هذا الموضوع إلى الصفحة نفسها التي تُشرَّفُ فيها الاستطلاع والتحقيق الصحفى، إذ بُرِزَ في أسفل الصفحة من جريدة عكاظ صورة لقبة الصخرة في القدس الشريف، ويُعبَّرُ بها عادة عن المسجد الأقصى وليس هي المسجد الأقصى .

والصورة الثانية التي تسترعى التوقف طويلاً جداً والتأمل والاعتبار، هو أنَّ وقعها لا يقلُّ عن وقع الصورة الحية لمقتل الصبي محمد الدرة - غفر الله له - من حيث شناعة المنظر، والإساءة إلى حقِّ من حقوق الإنسان، وهو الحياة أو النفس التي تُعدُّها إحدى الضرورات الخمس:

الصورة كما وردت في الجريدة تمثل امرأة مسلمة فلسطينية عليها الحجاب الأبيض بين مجموعة من اليهود الجنود، وامرأة أخرى خلفها لا يبدو أنها مسلمة، بل ربما كانت يهودية ، تسحب حجاب المرأة الفلسطينية من الخلف، بينما يقوم طفل (صبي) يهودي يلبس غطاء الرأس المميز

(١) عقد الباحث ملحوظاً عن إدوارد سعيد. - ص ١٢١ - ١٢٩ . . . في كتاب بعنوان: الانتفاف على الاستشراق: محاولة التناصل من المصطلح . - الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م . - ص ١٨٢ .



لليهود بركل المرأة المسلمة من خلفها، وجنود يهود واقعون يتضرّجون، وأقرب اعتذار لهم لمن أرد أنْ يعتذر لهم أنَّ حالهم يقول: «لم أرِدُها ولم تُسْتَنِ»، ذلك أنهم مطالبون أمام آلات التصوير بالحفظ على الأمان من وجهة نظرهم، ولكنهم على ما يبدو يحافظون عليه فعلًا من وجهة نظرهم التي تسمح لهم بالإساءة إلى كرامة الإنسان أي إنسان.

تلك المحافظة التي سمحت لهم أنْ يبول أحدهم على رأس أسير فلسطيني في أحد السجون اليهودية أمام آلة التصوير المتحرك، من دون أنْ يكون لهذا الفعل رد فعل على أيٍّ صعيد من الصعيد، ولو على صعيد منظمات حقوق الإنسان، وحقوق أسرى الحرب، على اعتبار أنَّ الفلسطينيين يعذبون في حال حرب مع اليهود منذ أن اغتصب اليهود أرضهم.

والصورة ليست جديدة في حق المرأة المسلمة، فقد اعتدى عليها يهود بنى قينقاع في سوقهم، مما أدى إلى نشوب حرب انتصاراً للمرأة المسلمة، وربما كانت سبباً من أسباب إجلاء اليهود عن المدينة المنورة.^(١) وأهينت امرأة في العصر العباسي (القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي) أيام الخليفة المعتصم فاستنجدت به «وامعتصماه»، فما كان منه إلا أنْ نجدها في

(١) انظر: محمد بن فارس الجميل. الهجرة إلى الحبشة: دراسة مقارنة للروايات. ط ٢ . - الرياض: دار الفيصل الثقافية، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م . - ص ٧٠ - ٨٠ .



معركة عمُورية التي قال فيها أبو تمام قصيده المشهورة التي مطلعها:

السَّيْفُ أَصْدِقُ إِنْبَاءَ مِنَ الْكُتُبِ في حَدُّهُ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدْ وَاللَّعِبِ
وبالتالي فإنه أصبح لزاماً على جميع المسلمين الانتصار بأيّ
لغة مناسبة غير لغة العنف والإرهاب، لأيّ شخص ذكرًا كان أم
أنثى يتعرّض للإهانة في كرامته من قبل أعداء الأمة.

ولعلَّ في تصور الصورة مع هذه الوقفة ما يكفي عن المزيد
من التعليق الذي قد يُسَاء فهمه، في وقت نحن في أمس الحاجة
فيه إلى عدم ترك أيّ مجال لسوء الفهم، الذي قد يوظَّف ضدَّ
القضية التي نحن بصددها، وهي الانتصار لكل من يتعرّض
للإساءة، بسبب هويته الدينية أو الثقافية.

ولا يظهر أنَّ هذه الصورة المعبِّرة لا تستحقُّ قدراً من العناية
والاهتمام لدى المعنيين المخوَّلين القادرين على العمل على
تلafi الصورة أو الصور المتكرّرة بحسب معطيات الزمان
والظروف.

المحدث السابع

الاحتلال

(١) المصطلح

لا يرضي بعض الباحثين مصطلح الاستعمار، ويفضل المصطلح البديل الاحتلال، بل لقد ظهر علينا مصطلح جديد بديل للاستعمار، وهو نقشه: الاستخراج أو الاستدمار؛ لأنه هو الذي يعبر عن الحال التي جثم فيها الغرب على الشرق فلم يعمره، وإنما سعى إلى هدمه وخرابه والقضاء عليه.^(١) إلا أنَّ مصطلح الاستعمار قد طغى وصار ممِيزاً لهذا الحديث، بحيث ينصرف الذهن إلى مفهوم الاحتلال عندما يطلق مصطلح الاستعمار. **ويفضل الباحث استخدام مصطلح «الاحتلال» بدليلاً لـ«الاستعمار»**

(١) انظر: عبدالحليم عويس، عرض ودراسة. في العمل الإسلامي: ظاهرة الاستشراق: مناقشات في المفهوم والارتباطات... حصاد الفكر. - ع ١٤٦ (ربيع الآخر ١٤٢٥هـ/يونيو ٢٠٠٤م). - ص ٦٣ - ٦٨.

من دون ربطه بالمبدل منه «الاستعمار» كُلّما ورد.^(١)
وقبل الدخول في مفهوم الاحتلال محدّداً من محددات العلاقة بين الشرق، المسلمين هنا، والغرب لا بدّ من احتمال هذا المصطلح لزمن، تحدّد خلاله العلاقة بين الاستشراق والاحتلال من جهة والتنصير والاحتلال من جهة أخرى، مع الاعتراف بالتدخل بين هذه العوامل الثلاثة، المحدّدة للعلاقة على التفصيل القادم عند الحديث عن التنصير ثم الاستشراق ثم العلاقة بين التنصير والاستشراق.

وأثبتت البحث العلمي أنّ هناك علاقة قوية بين كل من الاستشراق والاحتلال،^(٢) ذلك أنّ الاحتلال قد أفاد كثيراً من الاستشراق، واستخدم بعض المستشرقين مساندين للمحتلين في وجوه:

الوجه الأول : أنّ المستشرقين قد استخدموا مستشارين في وزارات الحربية ووزارات الاحتلال، وكانت هناك وزارات للاحتلال ثم وزارات الخارجية. وكان بعض المستشرقين موظفين في هذه الوزارات في وظائف استشارية.

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. إشكالية المصطلح في الفكر العربي. - مرجع سابق. - ص ٢٥٠.

(٢) انظر الفصل الأول من الباب الثاني: العلاقة بين الاستشراق والاستعمار. - ص ٧٩ - ١٠٣ . - في: علي بن إبراهيم الحمد النملة. ظاهرة الاستشراق: دراسة في المفهوم والارتباطات. - مرجع سابق. - ص ٢١٠ .

الوجه الثاني : أنَّ بعض المستشرقين قد رافقوا المحتلين في حملاتهم الاحتلالية وأعانوهم على الوصول إلى المناطق التي عرفوها قبل وصول المحتلين إليها، بل إنَّ من المستشرقين من صاغ البيانات الاحتلالية في البلاد العربية المحتلة وباللغة العربية، ومنهم من أذاع هذه البيانات الاحتلالية في الإذاعات الاحتلالية، التي قامت حال وصول المحتل إلى الأرض المحتلة .

الوجه الثالث : أنَّ بعض المستشرقين كانوا قد سبقو المحتلين إلى الأراضي التي سيطر عليها المحتلون، بل إنَّ منهم من ولد في هذه الأراضي، لا سيما في الشام العربي والشمال الأفريقي العربي وشبه الجزيرة الهندية . وسيَرَ بعض المستشرقين تؤكِّد على ذلك، إذ إنَّ ولادة بعضهم كانت على الأراضي العربية أو الإسلامية .^(١)

والوجه الرابع : أنَّ بعض المستشرقين عملوا وكأنهم قواعد معلومات، يستهدي بهم المحتلون، من دون أن يكونوا بالضرورة جميعهم عاملين متفرِّجين في تلك الوزارات .

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون . - ٣ مع . - ط ٥ . - القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٦ م . - ١١٠ : ١٢٥ .



والوجه الخامس: أن الاستشراق كان دافعاً قوياً للاحتلال، بما قدّمه من معلومات سابقة لم تكن مقصودة بالضرورة لفرضاحتلالي بعينه، ولكنها كانت معلومات جاهزة فيها دعوة غير صريحة لاحتلال تلك الديار، لما يتظر منها أو فيها من معادن وثروات طبيعية، وبما يمكن أن يستفاد من أهلها في بناء المجتمعات الغربية، لاسيما البنية الأساسية لتلك المجتمعات باستخدام ما يسمى خطأ لغويًا بالعملة الرخيصة، أي العمال الرخيصين التي ظهرت أخيراً، هم بشر غير رخيصين، إلا أن المقصود أنهم غير مهرة في الغالب فتكون أجورهم قليلة، بل ربما ذهبتا إلى أبعد من ذلك عندما نلتفت إلى أفريقيا، - في مسألة أخذ الرقيق (العبد) منها يخدمون في البيوت والمزارع «الإقطاعيات» والمحظائر وغيرها.

وهناك وجوه أخرى اتضحت فيها جهود بعض المستشرقيين في مؤازرة الاحتلال الذي هاجم على العالم الإسلامي حيّاً من الدهر، على ما سيأتي بيانه في وقفة لاحقة بإذن الله تعالى.

ومع هذا كله فإن هذه الوقفة ركزت على التبعيض وتعتمدت الابتعاد عن التعميم، فلم يكن جميع المستشرقيين على هذه الشاكلة، بل إنّ منهم من نأى بنفسه عن الاحتلال ومؤسساته.

كما نأى غيرُهم بأنفسهم عن الولوج في غيابات التنصير، واكتفت هذه الثلة من المستشرين بالبحث والدراسة والإنتاج العلمي، من نشر ودراسة وتحقيق وفهرسة وتكثيف وغيرها من الأنشطة العلمية. ومن العدل إثبات ذلك والوقوف عنده. كما أنه من العدل أيضاً إبراز جهود المنصّرين في مؤازرة الاحتلال.

(إعادة قراءة)

(٢) تبادل المنافع

كما قامت علاقة وطيدة بين الاحتلال والاستشراق، قامت علاقة أيضاً بين الاحتلال والتنصير، حتى عَدَ الباحثون كثيراً من المنصّرين على أنهم محظوظون.

ودعا التنصير الاحتلال إلى البلاد العربية والإسلامية ليسهل له الحملات التنصيرية، التي كانت تواجه رفضاً رسمياً من بعض حُكَّام البلاد العربية والإسلامية آنذاك، فكان من الأنسب للمنصّرين أن ينضوي هؤلاء الحُكَّام تحت الحماية الغربية؛ ليخلو الجوًّ لأرباب الحملات التنصيرية للتتوغل في المجتمع المسلم باسم المسيح عيسى بن مريم - عليهم السلام - أو باسم العِلم أو الطب أو الإغاثة أو التدريب أو التنمية أو غيرها من الوسائل الخفية للتنصير. (١) هذا من وجه.

(١) انظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة. التنصير: المفهوم - الوسائل - المواجهة. - مرجع سابق. - ص ٢٩٥.



وفي الوجه الثاني استخدم المحتلون المنصّرين ممهدّين لهم للولوج في الفكر العربي الإسلامي للناس البسطاء في عمومهم آنذاك، عندما أوهّم المنصّرون المسلمين أنَّ الاحتلال إنما يقصد رفع مستوى المسلمين المعيشي وعمارة بلادهم وأنفسهم والارتقاء بهم إلى مستوى حضاري بعيداً قطعاً عن الانتماء الديني للإسلام، بل إنَّ هذا الاحتلال كما يصوّره المنصّرون إنما جاء بسبب بَرَكة المسيح عيسى بن مريم - عليهما السلام - ودعوته المستمرة للمنصّرين أنْ يقذوا الناس في المشرق ويخلّصوهم من الظلام والضلالة الذي هم فيه.

ومن وجه ثالث ربّما استُخدِّم المنصّرون من المحتلين، من دون أنْ يدرك المنصّرون هذا الاستخدام ومغزاه، ذلك أنَّ من المنصّرين من كان بعيداً عن السياسة، ومنهم كذلك من أخذ التنصير بجدية لا تحمل خلفها أيَّ مغزى آخر، سوى زعمهم بأنَّهم إنما يلْبُون تعاليم النصرانية في نقل الناس من الضلال إلى الهدى.

وكان هذا هو مبلغ علمهم، لا سيما أنَّ هذه الفئة لم تكن تتعرّف على الإسلام على أنه دين سماوي، وإنما تعرّفت عليه بإيحاء من الاستشراق على أنه تعالیٰ محمّدية جاء بها ذلك الرجل في مكّة، وألَّف كتاباً لقومه سمّاه القرآن، جمع فيه من تعاليم اليهودية والنصرانية والفارسية والهنديّة والرومانية واليونانية^(١)!

(١) انظر: الفصل الأول المستشرقون والقرآن الكريم. - ص ٧٩ - ١٤٤ . - من كتاب الباحث: نقد الفكر الاستشرافي: الإسلام - القرآن الكريم - والرسالة. - الرياض: المؤلف، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م. - ص ٢٨٠ .



ولذا نجد أنَّ بعض فرسان هذه الفتنة من المنصّرين يتخلُّون عن التنصير، عندما يتبيَّن لهم خلاف ذلك، فيقيبون في دورهم وديارهم ينَصِّرون بني قومهم، وقد يعتنقون الإسلام ويصبحون دعاة له بين أبناء جلدتهم! وهذه الفتنة التي أسلمت شكلت تهديداً واضحاً وقوياً، لا للحملات التنصيرية فحسب، بل للحملات الاحتلالية كذلك، إلا أنهم إعلامياً لم يظهروا على الساحتين التنصيرية والاحتلالية، وهذا أمر واضح ومعلوم بالضرورة والممارسة الإعلامية التي لا تُظهر إلا ما تريد هي إظهاره.

وكان بعض المنصّرين من ذوي الفتنة بعيدة عن السياسة على قدر من السذاجة والطيبة، بحيث أصبحوا نهباً للأطماع الاحتلالية، بحجة أنَّ الاحتلال إنما هو امتداد للجهود التي ينبغي أنْ توجد في المجتمعات الضالة، ليقوم التنصير على هداتها والرفع بها من الظلام إلى النور، أي من ظلام الدين الذي هي عليه، وهو الإسلام هنا، إلى النور الذي عليه المنصّرون، وهو النصرانية أو المسيحية، وهم كما سبق، إنما جاؤوا لهذا.

ويتأخر تبيئهم التوابيا واكتشافهم الحقائق من وراء استغلال الاحتلال لسذاجتهم، عندها تكون ردود الأفعال لديهم قويةً وعنيفة، ولكنها تأتي متأخرة، وقد ينساق بعضهم وراء هذه المؤامرة عليهم من بني جلدتهم، فيتركون التنصير الذي جاؤوا من أجله وينخرطون في ما يمكن أنْ نسميه بتسليس التنصير، لا



سيّما إذا كانوا يحملون للمجتمع المسلم شحنةً وبغضّاً مترسبةً من خلفيةٍ صليبيةٍ لا تزال تطغى على كثيرٍ من العقول والأذهان. ^(١)

ولعله في هذه الوقفة، والوقفة التي سبقتها، اتضحت الرؤية في العلاقة بين الاستشراق والاحتلال من جهة وبين التنصير والاحتلال من جهة ثانية، وعندها يمكن لنا الولوج في الاحتلال، من حيث كونه محدداً من المحددات الرئيسية التي قامت عليها العلاقة بين المسلمين والغرب، وهو من المحددات التي يصعب علينا نحن المسلمين إغفالها ولو في عقولنا الباطنة عند الحديث عن الحوار بين المحورين الشرق والغرب.

(٣) التبعية

مررت وقفتان عن الاحتلال، من حيث كونه محدداً من محددات العلاقة بين الشرق والغرب، وكانتا قد ركّزتا على العلاقة بين الاستشراق والاحتلال، من جهة، والتنصير والاحتلال من جهة أخرى، حتى عدّت هذه المحددات الثلاثة أهمّ ركائز البُعد بين المسلمين والغرب، بل الأبعاد بين المسلمين والغرب. ويُتجاوز الحديث هنا عن التاريخ الدقيق للاحتلال والدول المحتلة.

(١) انظر: زينب عبد العزيز. حرب صليبية بكل المقاييس. - مرجع سابق. -

. ١٨٤



لم يأل الاحتلال عبر تاريخه الطويل للبلاد العربية والإسلامية جهداً في تغريب المجتمع المسلم، بنزع الإسلام نزعاً من نفوس المسلمين؛ رغبةً في ضمان التبعية السياسية والثقافية والاقتصادية وغيرها من مناحي الحياة، التي يراد بها أنْ تسير بهدي من الإسلام.

ليس المقصود هنا إلقاء اللوم على الغرب وحده في هذا، وتحميله كل ما حلَّ بالمجتمع المسلم نتيجةً للاحتلال؛ لأنَّ الغرب في هذا إنما يسعى إلى ترسيخ مصالحه في هذا المجتمع وغيره، ويسعى إلى إبعاد أيِّ عامل من عوامل التغيير لهذا الترسيخ. ويؤيد ذلك ما ذهب إليه المفكِّر الجزائري مالك بنُ نبيٍّ - رحمة الله عليه - من أنَّ الاحتلال قد وجد قابليةً لدى المسلمين له، فريض بينهم عقوداً طويلاً لم ينفصَّ وجوده إلا تلك الأصوات العاقلة التي نبهت إلى خطأه ودعت إلى مقاومته والوقوف في وجهه.

الذين يدرسون الاحتلال ومقاومته يعلمون أنَّ الذين وقفوا في وجهه هم - في الغالب - المسلمين القادة الذين خلَّدتهم التاريخ، وإنْ كانوا قد عانوا في سبيل إخراج المحتلَّ حسناً وروحاً.

وظلت التبعية للاحتلال والمحتلَّ قائمةً حتى مع مرور عقود عديدة من السنين على أ Fowler نجم الاحتلال. ولا تزال المجتمعات المسلمة تعاني من آثار الاحتلال التي تمثلت في وسائلٍ شتىٌ؛ منها:

أولاً : محاولة القضاء على اللغة العربية، لغة القرآن الكريم التي تربط المسلم بمقومات وجوده، وقصرها على المعابد، أي دور العبادة، وهي المساجد هنا، وإبعادها عن المعاهد، أي الجامعات والمؤسسات البحثية والمؤسسات التنموية الأخرى. ولا تزال يبتنا مؤسسات علمية وتعليمية تصر على التعليم بلغة أخرى غير اللغة العربية في بلاد العرب وهي في واقع الحال تزيد عدداً ورقعةً.

ثانياً : السعي إلى فصل الدين عن الدولة وإبعاد علماء الدين عن التأثير في السياسة في كثير من الدول الإسلامية، وليس بالضرورة في جميع البلاد الإسلامية، وقصر الدين على السلوكيات الخاصة والأحوال الشخصية مما يطلق عليه العلمانية الجزئية،^(١) وبالتالي يتولى أمور الدولة أشخاص ليسوا متخصصين لإدخال الفكرة الدينية في السياسة، وإن كانوا قد انطلقوا في البداية من الدين. وليس هذا مجالاً للتشهير والتشفّي والنياحة، بل الأمر هنا يعمد إلى التحليل العلمي الهدائى الذي يشخص واقعاً مَرَّاً على هذه الأمة وهي تحاول الخروج منه إلى الأفضل. وربما عمدت قيادات مسلمة إلى عزل الدين

(١) انظر: عبد الوهاب المسيري. العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة. - ٢ معج.

- القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م. - ٦: ١.



عن الحياة، وليس فقط فصل الدين عن الدولة، في ما يطلق عليه العلمانية الشاملة.^(١)

ثالثاً : إبعاد الدين عن الاقتصاد والسعى إلى زج المجتمع المسلم في نظمتين اقتصاديين كانا قائمين هما الاشتراكية والرأسمالية، بل كلنا يذكر أنَّ بلدًا قياديًّا من بلاد المسلمين عندما تبني الاشتراكية جعل الإسلام هو دين الاشتراكية، وجعل محمداً ﷺ وصحابه ﷺ اشتراكيين، وتغتَّلت المغنية بأنَّ النبي محمداً - عليه الصلاة والسلام - هو إمام الاشتراكيين، ووصف أحدُ الكتَّاب - غفر الله له - أبو ذر الغفارى رضي الله عنه بأنه ذلك الاشتراكي الزاهد.^(٢) وكتب آخر - غفر الله له - عن اشتراكية الإسلام أو الاشتراكية في الإسلام.^(٣) وسعت كتابات أخرى إلى

(١) انظر: عبد الوهاب المسيري. العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة. - المرجع السابق. - ١٦: ١.

(٢) انظر: عبدالحميد جودة السحّار. أبو ذر الغفارى: الاشتراكي الزاهد. - القاهرة: دار الهلال، ١٩٦٥هـ/١٣٨٥م. - ص ٢٠١. - (سلسلة كتاب الهلال؛ ١٧٨). وانظر أيضًا: عبدالحميد جودة السحّار. أبو ذر الغفارى صاحب رسول الله: مصدر بحث «الاشتراكية في الإسلام». - ط ١٠. - القاهرة: مكتبة مصر، د. ت. - ص ٢٠٨. ويرد الدكتور عبدالحليم محمود على هذا التوجُّه عن أبي ذر الغفارى - رضي الله عنه - في: أبو ذر الغفارى والشيوخية. - ط ٤. - القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٥م. - ص ٨٧.

(٣) انظر: مصطفى السباعي. اشتراكية الإسلام. - ط ٢. - دمشق: دار المطبوعات العربية، ١٩٦٠هـ/١٣٧٩م. - ص ٤٢٥.



«مركسية الإسلام»^(١) و«مركسية البعثة»^(٢) وإن لم تصرّح بذلك. وكانت على هذا التوجّه ردود مختلفة لعلّ أفضلها ما كتبه شيخ الأزهر عبدالحليم محمود - رحمه الله تعالى - عن الشيوعية والاشتراكية وموقف الإسلام منها.^(٣)

رابعاً : تبّي الثقافة والأداب الدخيلة، بل تلك التي سئمها أصحابها فصدّروها إلى من تلقّفها، ورأى فيها مخرجاً للمأزق الثقافي الذي عاشته الأمة في فترة تغييبها عن الوعي ، تلك الفترة الاحتلالية وما سبقها. ظهرت على المجتمع ظاهرة الحداثة التي تبّت - على ما ظهر من بعض أطروحتها - الحرب على التراث ، وكان هناك صراع مفتعل بين التراث والمعاصرة وحرب التراث في سبيل النهوض بالحداثة،^(٤) وأهينت أوعية معلومات التراث من الكتب والمخطوطات وصارت تدعى

(١) انظر: منصور أبو شافعي. مرکسة الإسلام. - القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٩٩م. - ص ٨٠. - (سلسلة في التویر الإسلامي؛ ٣٩).

(٢) انظر: منصور أبو شافعي. مرکسة التاريخ النبوی. - القاهرة: دار نهضة مصر، ٢٠٠٠م. - ٩٦ ص. - (سلسلة في التویر الإسلامي؛ ٥٤).

(٣) انظر: عبدالحليم محمود. أبو ذر الغفاری والشيوعیة. - ط ٤. - مرجع سابق. - ص ٨٧.

(٤) انظر: عبدالإله بلقزيز، محاور. الإسلام والحداثة والمجتمع السياسي: حوارات فكرية. - مرجع سابق. - ص ١٤٧.



بالكتب الصفراء التي تعيد الناس إلى «الماضوية»، وصارت العناية بالتراث توحّي بالتخلف والرجعيّة.

خامسًا: دعوة المرأة إلى التمرُّد على الأوضاع التي تعيشها. وهنا يدور خلطٌ بين الأوضاع السيئة التي تعيشها المرأة العربيّة والمسلمة بسبب تقاليد وعادات محلية لا تحترم بالضرورة المرأة ولا تنطلق من منطلق ديني، وبين نظرة الإسلام الواضحة للمرأة، بل ربما كان هناك تعمُّدٌ بلصق هذه العادات والتقاليد بالإسلام، وأنه لم يعطِ المرأة حقوقها التي حصلت عليها نظيراتها في المجتمعات المتقدمة، إنْ كانت قد حصلت عليها فعلاً، مما يعني الثورة على هذا الوضع وتبني النموذج الغربي في التعامل مع المرأة، من دون النظر إلى سلبيات هذا النموذج على المرأة نفسها وبالتالي على المجتمع والأمة.

سادسًا: بذر الشقاق بين المسلمين على المستويات الرسمية بالمحاجات في رسم الحدود بين الدول وإيجاد تداخلات فيما بينها، بحيث تبقى المنطقة في قلق دائم ومنازعات مستمرة، مما يرسّخ الحاجة الدائمة إلى الآخر في فضّ النزاعات، واللجوء إلى التحكيم الدولي، بل التزوع إلى المؤسسات الدوليّة في الحكم على نزاعات تُعدُّها سطحية، وإنْ كانت العزيمة المعلنة قائمةً على التفاهم والود ونبذ



الخلاف والتلاقي عند نقاط اللقاء، وغير هذه العوامل التي يطول بذكرها المقام.

ويظلُّ الاحتلال ، برغم أفوله ، عاملاً مهمّاً ومؤثّراً من محددات العلاقة بين الشرق والغرب ، مما يستحقُّ معه إطالة الوقوف مع هذا العامل الذي ترك آثاراً سلبيّة على المجتمع المسلم ما يزال المسلمون يعانون منها ، وقد يحتاجون إلى زمن طويل قبل الخروج من هذه المؤثّرات لهذا المحدّد الواحد .



المحدث الثامن

التنصير

(١) المفهوم

من محددات العلاقة بين الشرق والغرب التنصير، الذي كان وما يزال موجّهاً إلى المسلمين وغير المسلمين بصور مختلفة تتقلب بحسب الحال ويحسب البيئة، بل ويحسب الزمان والمكان. فالحملة التنصيرية الموجّهة إلى مجتمع مسلم تختلف عن الحملة إلى مجتمع غير مسلم بعيد عن الإسلام في عقيدته، وتختلف عن الحملة التنصيرية الموجّهة إلى مجتمع مسلم قوي في عقيدته بوضوح أكثر. ومع عدم الادعاء التام بالبعد عن العقيدة وقوتها في نفوس المسلمين، نجد أنَّ الحملات التنصيرية الموجّهة إلى المسلمين جنوب الصحراء الكبرى تختلف عن الحملات التنصيرية الموجّهة إلى منطقة الخليج العربية.

وسواء أكان الدافع الأول للحملات الصليبية هو الدين أم أنَّ



هناك دوافع أخرى احتلالية واقتصادية وسياسية،^(١) إلا أنه يمكن أن يقال إنَّ الحملات الصليبية كانت في ظاهرها على الأقل حملاتٌ تنصيريةً أخذت صورة التنصير القسري بالغزو المسلح واحتلال الأرض وإخراج المسلمين منها.^(٢)

وحيث لم تنجع هذه الصورة عِمَد التنصير إلى الدراسة والتحليل للمجتمعات المسلمة، فواجهها بما تحتاجه من تعليم وتدريب أو علاج أو هبات مالية على شكل مشروعات تنمية. هذا في الوقت الذي استعان به المنصرون بالمستشارين في الدخول في عمق المعتقد الإسلامي وامتهان مهمَّة الاستشراق القديم في التشكيك في هذا الدين بجميع مقوِّماته ورموزه.

وحيث لم تنجع هذه الصورة أيضًا بالشكل الذي يوازي الجهود البشرية والمالية المبذولة، عِمَد التنصير إلى اتّباع الصور الأخرى التي اتفق على تسميتها بالوسائل الخفية للتنصير التي تظهر شيئاً غير التنصير، فجاء التنصير مع العاملين النصارى في المجتمعات المسلمة، سواءً أكان هؤلاء العاملون مهنيين فنيين خبراء أم كانوا عَمَالاً غير مؤهَّلين مهنياً.

وتبع هذا وجودُ مؤسَّساتٍ تُظْهِرُ أنها تقومُ بمهمَّاتٍ رسميَّةٍ

(١) انظر: أيوب أيوب دية. حروب الفرنج حروب لا صلبة. - مرجع سابق. -
ص ١٨٢.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. التنصير القسري وأثره في التعدي على
الحرّيات الدينية. - الرياض: هيئة حقوق الإنسان، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م. -
ص ٤٧.

وأعمال خدمية مدنية ولكنها تخدم التنصير مباشرة، كبعض البعثات الدبلوماسية والملحقيات الثقافية والتجارية والإعلامية والشركات وغيرها. ومن المهم التوكيد أنَّ هذا الاتهام لا ينصحب على الجميع ولكن التنصير ظهر في بعض هذه المؤسسات. ^(١)

ومع هذا كله ومع هذه الجهود كلُّها، فشل التنصير في تحقيق هدفه الظاهر والقريب، وهو أول ما يتبارى إلى الذهن من مصطلح التنصير الذي يوحى بإدخال غير النصارى في النصرانية، فقد تنازل التنصير عن هذا الهدف مرحلياً، لا سيما في المجتمعات المسلمة، وأضحت مهمة التنصير العمل على إخراج المسلمين من الإسلام.

ولم يتحقق هذا الهدف أو هذه المهمة، بالسهولة المتوقعة؛ إذ إنَّ الإسلام يقوم على عقيدة التوحيد التي تتماشى مع فطرة الإنسان. هذا بالإضافة إلى أنَّ الإسلام بقى نقياً محفوظاً من كل محاولات التغلغل فيه لتوسيع دعائمه، ذلك أنَّ الله تعالى قد تكفل بحفظه مادام على هذه الدنيا نفسُ تعطش للأمان الروحي وتسعى إلى توطيد علاقة المخلوق مع الخالق. قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا نَحْنُ نَرْزَقُنَا الْذِكْرَ وَإِنَّمَا لَهُ حَفْظُهُونَ﴾ [سورة الحجر: ٩].

وهنا عاد المنصرون إلى المستشرقين في مسألة التشويه

(١) انظر: علي بن ابراهيم الحمد النملة. التنصير: المفهوم - الوسائل - المواجهة . - مرجع سابق . - ص ٢٩٥ .

والدخول في عمق العقل البشري المسلم وتشكيكه في عقيدته من خلال استخدام الأسلوب الاستشرافي في التشويه من لدن بعض قدامي المستشرقين، الذي لم يُعد بحق مقبولاً حتى من مستشرقي اليوم أنفسهم.

ولمَّا لم تُجِد هذه الوسيلة، عمِد التنصيرُ الموجَّه للمجتمع المسلم إلى إدخال أفكار غريبة على المفهومات الإسلامية في الممارسات وفي الأفكار مما نسميه اليوم بالدعوة إلى التغريب، الأمر الذي دعا المسلمين إلى التحذير من هذه الحملة التنصيرية، والتصدِّي لها بالتأصيل أو الأصالة وأسلامة العلوم وتوجيهها الوجهة الإسلامية.

وهذه وقفة أخرى من الوقفات التي تحدُّ من هذا التيار الذي أسهם في تحديد العلاقة بين الشرق والغرب. على أنَّ موضوع التنصير موضوع طويل، لا يزال الفكر العربي والإسلامي يكتب عنه الكتب والمقالات وتدرسُه الجامعات ومراكم البحث،^(١) مما يستدعي إطالة الوقوف معه في الوقفات القادمة.

(٢) البدایات

عندما قَدِمَ وفد من نصارى نجران إلى المصطفى محمد ﷺ كانت بينه وبينهم مناقشات وحوار وحجاج، انصرف الوفد بعدها

(١) انظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة. التنصير في المراجع العربية: دراسة ورصد ورافي للمنطبوع. - ط ٢. - الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م. - ص ٤١٩.

فاختلقو في قبول الرسالة، فمنهم من عاد وأمن بسيدينا محمد ﷺ، ومنهم من بقي على نصرانيته. ^(١)

ويُعد هذا الموقف والموقف الذي تم في الجبعة بين النجاشي أصحمة، ومهاجرة المسلمين نواة العلاقة بين النصرانية والإسلام، التي تجسدت في هذا الحوار والنقاش الذي دار حول طبيعة المسيح عيسى بن مريم - عليهما السلام -. ^(٢)

منذ ذلك الحين والحوار بين المسلمين وغيرهم قائم مصداقاً لأمر الله تعالى المسلمين إلى الحوار في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَاوَنُوا إِلَى كَلَمْبَرْ سَوَّامَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً﴾ [سورة آل عمران: ٦٤].

ومن أشكال الحوار بين النصرانية والإسلام ذلك المفهوم القديم المتجلّد في دعوة غير النصارى إلى النصرانية، واصطلح عليه باسم التنصير ويسميه البعض بالتبشير، ولكنه إلى التنصير أصلق. ^(٣)

فقام لهذا رجال ونساء منصرون يجوبون البلدان مدنها

(١) انظر: ابن قيم الجوزية، الإمام المحدث شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعبي الدمشقي. زاد المعاد في هدي خير العباد / حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط. - ٥ مجل - بيروت» مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م. - ٣: ٦٢٩ - ٦٣٨.

(٢) انظر: محمد بن فارس الجميل. الهجرة إلى العبرة: دراسة مقارنة للروايات. - مرجع سابق. - ص ٧٠ - ٨٠.

(٣) انظر: محمد عثمان صالح. النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير: دراسة مقارنة حول المصطلحات والدلائل. - المدينة المنورة: مكتبة ابن القم، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م. - ص ٦٩.



وَقُرَاهَا وَأَرْيَافِهَا، يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى أَتَبَاعِ يَسُوعَ الْمَسِيحَ بْنَ مُرِيمَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - عَلَى أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ أَوْ أَنَّهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ أَوْ أَنَّهُ هُوَ إِلَهُ الْمُخْلُصِ الشَّافِيِّ، يَدْعُونَ إِلَى ذَلِكَ مِنْ دُونِ أَنْ يَكُونُوا جَمِيعًا فِي عُمْقِ إِيمَانِهِمْ عَلَى اقْتِنَاعٍ تَامًّا بِمَا يَدْعُونَ إِلَيْهِ.

وَعِنْدَمَا يَعْمَلُونَ فِي هَذَا الْمَجَالِ فِي مَجَمِعِ مُسْلِمٍ يَتَعَرَّفُونَ عَلَى عِقِيدَةِ الْمُسْلِمِينَ الْقَائِمَةِ عَلَى التَّوْحِيدِ - وَلَيْسَ الْإِتْهَادُ - فَيَجِدُونَ الْأَمَانَ الرُّوحِيَّ الَّذِي يَبْحَثُونَ عَنْهُ، فَلَا تَبْلُغُ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ طَوِيلًا فِي الْبَحْثِ وَالدُّرْسِ وَالْقِرَاءَاتِ حَتَّى يَعْلَمُوْنَ إِسْلَامَهُمْ وَيَتَخلَّوْنَ عَنِ الْحَمْلَاتِ الَّتِي يَقْوِدُونَهَا أَوْ يَشَارِكُونَ فِيهَا. وَمَنْ هُؤُلَاءِ مَنْ يَتَحَوَّلُ إِلَى دَاعِيَةِ إِلَيْهِ إِسْلَامًا مُحَاوِلًا بِنَهْجِهِ الْجَدِيدِ أَنْ يَكُفُّرَ عَنِ جَهُودِهِ فِي التَّنْصِيرِ بَعْدَ أَنْ تَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ.

وَلَمْ تَعُدْ هَذِهِ الْفَكْرَةُ فِي التَّحَوُّلِ تَمَثِّلُ حَالَاتٍ فَرْدِيَّةً، وَلَكِنَّهَا أَصْبَحَتْ ظَاهِرَةً يُمْكِنُ رَصْدُهَا وَبِحُثُّهَا وَالْكِتَابَةِ عَنْهَا. وَلَا يَقْتَصِرُ الْأَمْرُ عَلَى الْمُنْصَرِّينَ الْعَادِيْنَ، بَلْ إِنَّ الْقُسْسَى أَنفَسَهُمْ أَقْبَلُوا عَلَى إِسْلَامٍ لَيْسَ فِي الْمَاضِيِّ فَحَسْبٍ، بَلْ إِنَّ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ تَجَدَّدُ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا. وَلَا يَكْتَفِي الْقُسْسَى بِالتَّحَوُّلِ إِلَى إِسْلَامٍ وَنِبْذِ النَّصْرَانِيَّةِ، وَلَكِنَّهُمْ بِحُكْمِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ مَرْتَبَةٍ دِينِيَّةٍ يَسْعُونَ إِلَى كَشْفِ بَعْضِ أَسْرَارِ النَّصْرَانِيَّةِ، وَمَا يَدْوِرُ فِي مَجَمِعِ الرَّهَبَانِ وَالْكَهَانَ وَالرَّاهِبَاتِ، مَمَّا يَزِيدُ الْمُتَسَبِّبُونَ

من الابتعاد عن النصرانية وبالتالي الاقتراب من الإسلام.^(١)

ويستمر هذا الشكل من أشكال الحوار، الذي تتجلى فيه هداية الحيارى إلى الدين الحق إذا ما لاحظنا أنَّ ارتداد المسلمين من خلال هذا الحوار يكاد يكون معدوماً؛ نظراً لقوة السلاح العقدي لدى المسلمين، الذي يحيرون به محاورיהם بما في ذلك إيمانهم بال المسيح عيسى بن مرريم - عليهما السلام - وبرميم الصدقية - عليها السلام - وبالنصرانية ديناً متزلاً على عيسى بن مرريم - عليهما السلام - وبالإنجيل كتاباً متزلاً على عيسى بن مرريم - عليهما السلام - وأنَّ القرآن الكريم قد أفرد سورة باسم مرريم - عليها السلام - وأنَّه قد ورد ذكر لعيسى - عليه السلام - في القرآن الكريم أكثر من ورود محمد ﷺ. يقدم المسلمون هذا السلاح العقدي دون أن يتأثرروا هم بما لدى الآخر من مقدّمات خطاطة، تقوم عليها نتائج خطاطة، مما يؤدي إلى تخلي الآخر عن هذه المقدّمات والنتائج والوصول إلى الأمان العقدي باعتناق الإسلام.

ولا بدَّ من التركيز على هذا الحوار والإكثار منه؛ لما فيه من فوائد عديدة، يأتي منها تجلية الإسلام وتخلصه مما ألم به

(١) انظر: محمد بن ناصر الطويل. إسلام القساوة والحاخامات. - الرياض: دار طويق، ١٤٢٤هـ. - ص. وانظر أيضاً: محمد عزَّ الطهطاوي. لماذا أسلم هؤلاء؟: قساوة ورهبان وأخبار مستشرقون وفلسفيون وعلماء. - القاهرة: مكتبة النافذة، ٢٠٠٥م. - ص ١٩٤.



الآخر وبعضاً أهله من تشويه، ثم يأتي منها هداية الآخر إلى دين الله إنْ هو رغب في ذلك.

(٣) إحصائيات

نشرت مجلة «الكواثر» التي يصدرها الدكتور عبد الرحمن بن حمود السميط إحصائية عن التنصير لعام ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م،^(١) ذكرت فيه أنَّ محمل التبرُّعات للأغراض التنصيرية بلغت ثلاثة وعشرين مليار (٣٢٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) دولار للعام ١٩٧٠هـ / ١٣٩٠م. وكانت قد بلغت عام ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م. وبعدين مليار (٧٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) دولار، وبلغت عام ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م مئتين وسبعين مليار (٢٧٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) دولار، ويتوقع أن تبلغ سنة ١٤٤٥هـ / ٢٠٢٥م ثمانين مئة وسبعين مليار (٨٧٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) دولار.

وسيبلغ عدد المنظمات والجمعيات التي ترسل منصريين، أربعة آلاف ومائة وخمسين (٤١٥٠) منظمة وجمعية، وكانت قد بلغت سنة ١٩٧٠هـ / ١٣٩٠م، ألفين ومئتي (٢٢٠٠) منظمة وجمعية، وبلغت سنة ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، أربعة آلاف (٤,٠٠٠) منظمة وجمعية. ويتوقع أن تبلغ سنة ١٤٤٥هـ / ٢٠٢٥م ستة آلاف (٦,٠٠٠) منظمة وجمعية للتنصير المباشر. أما الجمعيات

(١) انظر: التحرير. إحصائية التنصير لعام ٢٠٠٣م. - مجلة الكواثر. - ع ٤٢ (محرم وصفر ١٤٢٤هـ / أبريل ٢٠٠٣م). - ص ٣٤.

والهيئات والمنظمات التي تعمل على التنصير غير المباشر فتزيد عن خمسة وعشرين ألف (٢٥,٠٠٠) جمعية وهيئة ومنظمة.

وذكرت مجلة «الكونغرس» نقلًا عن النشرة الدولية للأبحاث التنصير،^(١) أنَّ عدد المنصرين المفترضين من المحليين والأجانب بلغ للعام ٢٠٠٣هـ / ١٤٢٤م خمسة ملايين وسبعين مئة وتسعة وثمانين ألف (٥,٧٨٩,٠٠٠) منصِّر ومنصَّرة، وأنَّ عدد الأنجليل التي طُبعت في منتصف ذلك العام قد وصل إلى إثنين وستين مليون (٦٢,٠٠٠,٠٠٠) نسخة، وأنَّ عدد محطَّات الإذاعة والتلفزيون التنصيريَّة وصل في المدة نفسها إلى أربعة آلاف وخمس وسبعين (٤٠٧٥) محطة إذاعة وتلفزيون يستمع إليها ويشاهدها ما لا يقلُّ عن ست مئة وثمانية وخمسين مليون (٦٥٨,٠٠٠,٠٠٠) مستمع ومستمعة ومشاهد ومشاهدة.

وقد أعدَّ هذه الدراسة الإحصائية للنشرة الدولية للأبحاث التنصير كلُّ من الأستاذ الدكتور ديفيد باريت المتخصص في إحصاءات التنصير بجامعة ريخت في فرجينيا ورئيس مركز أبحاث التنصير في مدينة ريتشارموند بفرجينيا كذلك، والأستاذ الدكتور نود جونسون أستاذ اللاهوت في كلية دير فيلد بولاية إلينوي.

وذكرت صحيفة «الكونغرس» أنَّ عدد الحاسوبات الآلية

. انظر: (١) International Bulletin of Missionary Research



المستخدمة في التنصير قد بلغ أربع مئة مليون (٤٠٠,٠٠٠,٠٠٠)، وأتَّضحت صحة هذا الرقم الفلكي بعد التحقق منه من مصدره الأصلي في النشرة الدولية لأبحاث التنصير، إلا أنه يشير إلى عدد استخدامات الحاسوب الآلي التي كانت صفرًا سنة ١٩٠٠م، ثم بلغت ألفاً (١,٠٠٠) فقط سنة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ثم ارتفعت إلى ثلاثة وعشرين وثلاثين مليون (٣٣٢,٠٠٠,٠٠٠) استخدام سنة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م لتصل إلى أربع مئة مليون (٤٠٠,٠٠٠,٠٠٠) استخدام لسنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ثم يتوقع أن تصل إلى مليار وخمس مئة مليون (١,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠) استخدام بحلول عام ١٤٤٥هـ/٢٠٢٥م.

وتحت كلمة «تبشير» يوجد على الشبكة العنكبوتية تحديداً أكثر من مئة وسبعين ألف (١٧٠,٠٠٠) مادة على شبكة جوجل وواحد وثلاثين ألف ومئة (٣١,١٠٠) مادة على شبكة «ياهو» للتنصير والمنظمات والهيئات والمعاهد التنصيرية.^(١)

وقد بلغت الكتب المنشورة حول التنصير في عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م مئة وثمانية وعشرين ألف (١٢٨,٠٠٠) كتاب، وستبلغ سنة ١٤٤٥هـ/٢٠٢٥م مئة وخمسة وتسعين ألف (١٩٥,٠٠٠).

(١) انظر: زينب عبدالعزيز. حرب صلبة بكل المقاييس. - مرجع سابق. -

كتاب. أما الصحف (المجلات، والدوريات) فتبلغ تسعة عشر ألف (١٩,٠٠٠) دورية، وستصل إلى ثمانين ألف (٨٠,٠٠٠) مجلة ودورية بحلول عام ١٤٤٥هـ/٢٠٢٥م.

أما الخطط التصديرية فقد بلغت في العام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ألفاً وست مئة وعشرين (١,٦١٠) خططاً، وستصل سنة ١٤٤٥هـ/٢٠٢٥م إلى ثلاثة آلاف (٣,٠٠٠) خطة.

توضّع هذه الأرقام الحديثة أمام ناظري القارئ والقارئة الكريمين دون أدنى تعليق، سوى أنها أرقام تشير من حيث ضخامتها الاستغراب. ويحتمّ هذا مواصلة تحديث المعلومة، بما في ذلك توقع ما ستكون عليه المعلومة، وإيجاد مجال للتخطيط في ما يتعلّق بمواجهة هذه الحالات التي لم تسلم منها المجتمعات المسلمة، إذ إنها مستهدفة من ذلك.

(٤) الأم تيريزا

توفّيت في الهند الراهبة تيريزا في ٢/٥/١٤١٨هـ الموافق ٩/١٩٩٧م، في الوقت الذي شغل فيه الناس بوفاة الأميرة ديانا مع عماد الفايد (٢٦/٤/١٤١٨هـ الموافق ٣١/٨/١٩٩٧م). ومع هذا فلم يخلّ موت الراهبة «الأم» تيريزا من تأيين كبير من المسؤولين في العالم الغربي من رؤساء الدول والحكومات والمؤسسات الدينية والثقافية وبعض المؤسسات الشرقية كذلك. وقد سبق لهذه الراهبة الحصول على جائزة نوبيل للخدمات الاجتماعية (١٤١٧هـ/٢٠٠١م).



(١٩٩٧م)، التي قامت بها في كلكتا وما حولها من الهند.

وهي التي رَكَّزَتْ حياتها ورسختها كلّها (١٩١٠ - ١٩٩٧م) للتنصير في هذه المنطقة، واستطاعت تحقيق قدرٍ عالٍ من النجاح، بحيث تمكّنت من إيجاد مؤسسة تنصيرية في تلك المنطقة وخارجها، ثم توَّزَّعت جهودها في المنطقة العربية وفي منطقة البلقان، إبان الحرب بين المسلمين والصرب في البوسنة والهرسك. وكانت تعمل بصمت بعيداً عن الأضواء وتقوم بجهودها وأتصالاتها بالمؤسسات التنصيرية في الغرب، للحصول على الدعم المادي والمعنوي بهدوء تامًّ.

كما كانت تظهر في الأماكن العامة، وهي على قدر عالٍ من الهدوء والسماعة متقدمةً كثيراً من العادات الهندية في السلام واللباس، حتّى كسبت ثقة الناس هناك وأوجدت شكلاً من اللباس يتوافق مع خلفيتها الدينية الكاثوليكية والمجتمع الذي تخدم فيه وتقوم بجهودها بكل اقتدار. واستطاعت بذلك تحقيق كثير من التوصيات التي أصدرتها مؤتمرات التنصير المتابعة في الشرق والغرب، ومن ذلك إيجاد منصرين محليين، يكون القبول منهم أكثر من القبول من المنصرين الوافدين. (١)

(١) تذكر زينب عبد العزيز أن العقد الأول من الألفية الثالثة قد جعل عقد التنصير. وقد تم تكليف أربعة كراذلة بعمل مشروع جماعي خاص بعقد التنصير، من خلال الإعداد لمؤتمرات سنوية تمهيدية. انظر: زينب عبد العزيز. حرب صالية بكل المقاييس. - مرجع سابق. - ص ١٥٢.

وأوجدت في مؤسستها هذه منصّرات محليات يحملن رسالتها كما حملتها من قبل . وسيكون تأثيرهن على مجتمعهن أقوى مما كانت هي عليه . وقد بلغت فروعها عند وفاتها (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) ست مئة وعشرون إرساليات (٦١٠) في مئة وثلاثة وعشرين (١٢٣) بلدًا .^(١)

وهذه من الحالات القليلة التي تزداد فيها الجهود ويتكثّف التأثير عند رحيل الشخص ، الذي كان يُعدُّ المحرّك الأوّل لهذه الجهود ولهذا التأثير . ولا يظهر أنَّ وفاة الراهبة تيريزا سيوقف الحملة التنصيرية التي كانت تقوم بها ، بل إنها ستزداد حفاظاً على رغباتها التي كانت تملّيها على جملة من التابعات من الأخوات الهندبيات .

ونحن ننظر إليها من هذا المنطلق ، وننظر كذلك إلى أنها قد أُتيح لها هذا التأثير في غياب البديل الإسلامي ، والناس هناك وفي كل مكان بحاجة ملحة إلى من يحميهم من الفقل العقدي الذي يعيشون فيه . ومتى ما وفّقوا إلى الدعوة بكل ما يحمله مفهوم الدعوة من معنى شامل ، فلن يرحبوا بتلك الدعوات التي تتعارض مع الدعوة الصادقة التي تنقل الناس من الظلمات إلى النور .

(١) انظر : موسوعة ويكيبيديا الحرة . - ٢٤ / ٩ / ١٤٣٠هـ - ٩ / ٩ / ٢٠٠٩م .

وانظر أيضًا : Kathryn Spin. Mother Teresa: A Complete Authorized Biography-. San Francisco: Harper 1997.



ولا نؤخذ نحن بما تناقلته الأنباء ورَكَّزَ عليه الإعلام من جهود الأم تيريزا في خدمة ذلك المجتمع أو غيره، فقد كانت منصّرة تنصيرًا صريحًا لم تخفه بتعليم أو تطبيب أو تدريب، ولكنها بنت لها كنيسةً وانطلقت في خدماتها منها وأنهت حياتها فيها. ومهما كان تأثير الإعلام فإننا مطالبون بأن نضع الأمور في موضعها، من خلال منظورنا نحن لهذه الأمور، ثم ننظر بعد ذلك إلى ما كان ينبغي منا وما كان لا ينبغي كذلك.

ولا يُستبعد قيام مؤسسة علمية تنصيرية باسم هذه الراحلة؛ تخليداً لجهودها في التنصير، كما قامت مؤسسة علمية باسم السموأل «صوموئيل» زويمر في لوس أنجلوس بكاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية؛ تخليداً لجهوده في التنصير في منطقة الخليج العربية.^(١) وهذا متوقعٌ لما تناوله جهود أولئك من تشمين.

(١) انظر في مجال التنصير في منطقة الخليج العربية: عبدالمالك خلف التميمي. التبشير في منطقة الخليج العربي: دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي. - العين: مركز زايد للتراث والتاريخ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م. - ص ٣٣٥. وخالد البسام، معد ومتّرجم. صدمة الاختراك: حكاية الإرساليات الأمريكية في الخليج والجزيرة العربية ١٩٨٢ - ١٩٢٥ م. - بيروت: دار الساقى، ١٩٩٨ م. - ص ٢٠٣. وخالد البسام، معد ومتّرجم. القوافل: رحلات الإرساليات الأمريكية في مدن الخليج والجزيرة العربية ١٩٠١ - ١٩٦٦ م. - البحرين: مؤسسة الأيام للصحافة والنشر)، ١٩٩٢ م. - ص ٢٠٦. وعبدالعزيز بن إبراهيم العسكر. التنصير ومحاولاته في بلاد الخليج العربي. - الرياض: مكتبة العيكان، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م. - ص ٩٨. وهـ. كونري زيقـلر. أصول التنصير في الخليج العربي: دراسة ميدانية وثائقية/ ترجمة: مازن صلاح مطبقاني. - المدينة المنورة: مكتبة ابن القيم، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م. - ص ١٩٥.



(٥) الإعجاب

كانت الوقفة السابقة قد رَكِّزت على وفاة المنصّرة المشهورة في الشمال الشرقي من شبه الجزيرة الهندية «الأم» تيريزا (١٩١٠ - ١٩٩٧)، التي امتدّت نشاطاتها إلى بريطانيا وألبانيا والبوسنة والهرسك ولبنان، وربما غيرها، لأنّ مهمّتها ممتدة ولا تخضع للمكان، وإنّ كانت قد رَكِّزت نشاطها في الهند واتّخذت لذلك الأسلوب الهندي في التحية واللباس حتى اللهجة التي تتحدّث بها الإنجليزية. وهذه من توصيات مؤتمرات المنصّرين في تقصُّص شخصية العجّة المستهدفة للتنصير.^(١) وقد تمّ دفنهما بعد أسبوع من وفاتها:

وكان هناك عتاب من بعض القراء على الموقف من هذه المنصّرة، حينما وصفتها بالسماحة والرقّة، وإنما كنت أصف حالها وهي تمارس دورها، وهي بهذا تتحقّق هدفين تنصيريّين؛ أولهما أنها تطابق تعاليم المسيح عيسى بن مریم - عليهما السلام - فيما توارثه عنه النصارى من قولهم عنه عبارة مشهورة: «إذا صفعك أحدهم على خدك الأيمن فأدار له خدك الأيسر». وهل حقّاً قالها عيسى بن مریم - عليهما السلام - أم لم يقلها؟ فإنّ بعض النصارى يرددونها ويتمثلونها ظاهراً في حملاتهم التنصيرية وإنّ لم يحرصوا على ترديدها بالنصّ، وإنّ اضطروا إلى

(١) انظر: دون م. ماكورى. التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي. - د. م. د. ن. ، (١٩٧٨م). - ص ٩١٥.



تصنّعها. والهدف الثاني من هذا السلوك أنها تذكّر الهندو بزعيمهم الراحل المهاجماً غاندي (١٨٦٩/١٠/٢ - ١٩٤٨م)، الذي وقف في وجه الاحتلال البريطاني بالفلسفة والهدوء ونبذ العنف.

ليس هناك من داع لإغفال وصف الشخص بما ظهر عنه، وإن كان يبني وبينه خلاف جذري، كالاختلاف الديني والعقدي والفكري؛ إذ إنَّ الوصف له بما يظهر منه لا يتعارض مع الاختلاف معه، ولا يعني الإضفاء عليه من الإيجابيات ما يطغى على الموقف منه. وذاك السلوك كان دين «الأُم» تيريزا.

وليست هذه نقطة مهمَّة جدًا، إلا أنَّي رغبت أولاً في تجلية هذا الموقف مني، إذ إنَّي متابع لنشاط هذه المرأة التنصيري إلى حدٍ يتيح لي الكتابة عنها، وبيان تركيتها الشخصية التي تخدم من خلالها أهدافها التنصيرية. ثم رغبت ثانيةً في تذكير الجميع أنها امرأة منصّرة أقامت مؤسَّسة تنصيرية تحْرَجَت منها منصّرات محلّيات، وقد خلَّفت وراءها بعد وفاتها (١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ست مئة وعشرين (٦١٠) إرساليات في مئة وثلاثة وعشرين (١٢٣) بلدًا – كما مر ذكره... (١) وذلك تفيًداً أيضًا لتوصيات مؤتمرات التنصير المتلاحقة. (٢)

(١) انظر: موسوعة ويكيبيديا الحرة. - ١٤٣٠/٩/١٤ - ٢٤/٩/٢٠٠٩م.
وانظر أيضًا: Kathryn Spin. Mother Teresa: A Complete Authorized Biography-. San Francisco: Harper 1997.

(٢) انظر: زينب عبدالعزيز. حرب صلبيّة بكل المقاييس. - مرجع سابق. -
ص ٨٧ - ١١٣.



ولا بدّ من التوكيد على ذلك في وقت ينظر فيه الإعلام إلى هذه المنصّرة على أنها شخصية خيّرة، تسعى إلى فعل الخير وجر العثرات من منطلق إنساني بحث لا علاقة للانتماءات العقدية فيه، كما يريد لها البعض أن تكون من أولئك الذين لا يتصرّرون أنَّ العالم الحديث يقبل الحملات التنصيرية. وربما كان هذا الموقف نابعاً من انهزامية تجاه هذه الحملات القادمة من الغرب، اعتذاراً من هؤلاء المنهزمين للغرب الذي لا يقدم في زعمهم إلا الخير للإنسانية، من منطلقات حضارية بحتة، تغفل الجوانب العرقية والعنصرية والعقدية والجنسية وغيرها.^(١)

هذا وإن انتهت حياة هذه المنصّرة، فالمنصّرون والمنصّرات يُعدُّون بمئات الآلاف^(٢) وسيظهر على السطح منصّرون ومنصّرات لا يقلُّون خطراً على المسلمين من هذه

(١) ذكرت مريم نور أنها معجبة كثيراً بهذه المنصّرة، وأنها التقى بها لأول مرة في السبعينيات الميلادية، تقول: «وصرت ألحقها في كل رحلاتها الخبرية كالمحاجنة، لأنّعلم منها، ولأعرفها عن كثب، ولأخدم معها من يحتاج إلى العون، وتابعتها خلال العشرين عاماً الأخيرة من حياتها، وخدمت في عدة أديرة بأميريكا ولبنان، ولم أفرق في خدمتي الإنسانية بين مسلم ومسحي وبودي؛ لأنّي أؤمن بالتوحيد، وبأنّالرب واحد في كل الأديان؛ وهو الله سبحانه وتعالى». انظر: سميرة حسنين. بداية مشوار. - اليمامة. - ع ١٨١٢ (١٤٢٥ـ٢٠٠٤/٦/٢٦م). - ص ٣٢ - ٣٤.

(٢) انظر الورقة الخاصة بالإحصائيات في هذا المجلد، التنصير (٣: إحصائيات)، حيث بلغ عدد المنصّرين والمنصّرات لعام ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م خمسة ملايين وسبعين ألف وتسعة وثمانين ألف (٥,٧٨٩,١٠٠) منصّر ومنصّرة.



المنصّرة، بل لا يقلُّون تطرُّفاً من بعض السابقين من المنصّرين. وربما يضرّب المثل بذكر يا بطرس صاحب فضائية «الحياة» الذي يكيل السباب والشتائم لكل المسلمين ولرموز الإسلام، ويوظّف أشخاصاً يسمّهم بأسماء إسلامية ليعينوه على ما هو عليه من ضلال لا يقرّه عليه بعض القسس والأفراد من أهل ملة.

ويظلُّ هذا جزءاً من الصراع بين الحق والباطل وبين المخير والشرّ. والمسؤولية برمتها تقع على أهل الحق والخير في سدّ الطريق على أهل الباطل والشرّ في نشر أباطيلهم وشرورهم. فالبدليل الذي يفتقده شبه مغبيّ تماماً في تلك المجتمعات القابلة للتأثير بأيّ جهد يحمل طابع السماحة والرفقة.

(٦) المسؤولية

يتعرّض الطلبة الدارسون في الخارج إلى حملات التنصير بشكل واضح جداً. تبدأ الحملات غالباً في معاهد اللغة، أو ربما بدأت في المكاتب المخصصة لرعاية الطلبة الأجانب في الكلية أو الجامعة. هذا عدا عن أفراد يقرعون أبواب المنازل ويسرون بال المسيح عيسى بن مریم - عليهما السلام - وربما كانوا أبعد من غيرهم عن تعاليم المسيح ابن مریم - عليهما السلام - مع ما اعتبرى تعاليم المسيح بن مریم - عليهما السلام - من تدخلات البشر.

وكنت في شقّي الصغيرة بالولايات المتحدة الأمريكية يوماً عندما قرّع على الباب مجموعة من الرجال. نظرت إليهم من

منظار الباب فوجدت أشخاصاً عليهم سيماء طيبة وثياب مألوفة فعلمت أنَّ هؤلاء مسلمون. فتحت الباب ورحبَت بهم وكانوا من الأخوة الهندو والباكستانيين وبعض المقيمين من مسلمي الولايات المتحدة الأمريكية يجوبون البلاد ويذكرون الناس مبلغين إياهم ضرورة التمسُّك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ.

وكان من بينهم رجل يلبس الثياب الهندية ولكنه من الأميركيين، فدفعني الفضول إلى سؤاله عن الطريق الذي وضل منه إلى الإسلام، فأجابني الرجل أنه دخل الإسلام عن طريق التنصير، فعجبت كثيراً. وبدا علىي العجب، وقد عجبني فقصَّ عليَّ خطواته الأولى نحو التعرُّف على الإسلام. ^(١)

هذه ليست هي الحال الوحيدة التي يهتدى فيها منصرون إلى الإسلام ثم يتحولون إلى دعاء، فقد حدث هذا في أفريقيا ويحدث الآن في أماكن كثيرة. وتکاد تكون هذه المسألة هنا ظاهرة تستحق الدراسة والمتابعة، فاهتداء النصارى واليهود، وغيرهم أمرٌ ليس غريباً أو عجيباً، ولكن اهتداء من حملوا على عواتقهم مهمة الدعوة إلى دينهم أمر يستحق التوقف حقاً. ^(٢)

(١) ذكرت هذه القصة في كتاب: التنصير: المفهوم - الوسائل - المواجهة. - مرجع سابق. - ص ٦٠.

(٢) انظر: محمد بن ناصر الطويل. إسلام القساوة والخاخمات. - مرجع سابق. - ص. وانظر أيضاً: محمد عزت الطهطاوي. لماذا أسلم هؤلاء؟: قساوة ورهبان وأخبار مستشرقون وفلسفيون وعلماء. - مرجع سابق. - ص ١٩٤.



المراد من ذكر هذه الظاهرة في إسلام المنصّرين والقسس الوصول إلى نتيجة قد تكون قابلة للتعميم، فنحن نتحدث عن الوسائل التي يستعين بها المنصّرون في حملاتهم، ومن هذه الوسائل نذكر الحقد المكين والتقليدي على الإسلام، من قبل أولئك الذين يدرسون الحروب الصليبية، ثم ي يريدون لها أن تتمّدّ حرباً صليبية تأخذ أشكالاً أخرى من السلاح غير الشكل الذي كانت عليه الحروب الصليبية السابقة.

وندرس ضمن هذه الوسيلة الاستعداد الذاتي لدى المنصّرين، ورغبتهم في السفر والاختلاط بالأمم الأخرى التي يُراد لها أن تتنّصّر، وما يتبع هذا الاختلاط من التخلّي عن سبل الرفاهية التي عاشت عليها الأمة الغربية، وندرس ضمن هذه الوسيلة أيضاً إيمان بعض المنصّرين بما يدعون إليه إيماناً عقدياً.

ثم تأتي هذه الظاهرة على صورة حالات متشابهة لتبينها إلى أنّ علينا عدم التعميم في الأحكام، فليس كل من يشترك في حملات التنصير مؤمناً بما يقوم به، وليس كل من يشترك في حملات التنصير حاقداً على الإسلام والمسلمين، ولكنّ جماعةً من هؤلاء مضلّلون لديهم الرغبة في نشر الخير، فلم يجدوا وسيلة أمامهم إلا حملات التنصير، فلما يتبيّن لهم الحق يتركون ما هم عليه ويَتّبعون الحقّ.

يلقي هذا عبّاً آخر على الدعاء إلى الله في أن يجدوا في اتباع السبل الحديثة المشروعة في الدعوة إلى الله، وأن تكون



هناك لقاءات مع مجموعات المنصرين، تكون فيها حوارات ومناظرات وحجاج ونقاش. ولا يستغرب المرء أن تتحول هذه الجهود والإمكانات التي يقوم بها المنصرون في مصلحة الإسلام، ولا يستغرب المرء كذلك أن تتحول مجموعات من الأعضاء في الجمعيات التنصيرية إلى الإسلام إذا ما اتّضاع الإسلام لهذه الجمعيات والمجموعات.

وعليه فإنَّ مجرد التوعية بخطر الجمعيات التنصيرية المنتشرة اليوم قد لا يكون كافياً، بقدر ما تكون البدائل متوافرة. ومن هذه البدائل التوجُّه إلى هذه الجمعيات والجماعات وانتزاع المضلَّل منهم والتشكيك في المصمِّمين منهم، وتشكيكهم هم بجدوى ما يقومون به على المستويين الدنيوي والأخروي، لا سيما أنهم يعانون من ضحالة الاستجابة إلى جهودهم.

وهذه مسؤولية تضاف إلى المسؤوليات المناطة بالقيادات السياسية في العالم الإسلامي وبالدعوة إلى الله تعالى الذين آتوا على أنفسهم مزاحمة الباطل بالحق، وإنقاذ الأمم الأخرى من الضلال ومن الدعاة إلى الضلال. وتبقى المقومات والإمكانات الأخرى المطلوبة في سيل القيام بهذه المسؤوليات تحتاج إلى التنبُّه لها، فتكون للدعاة مصادر للدعم والتمويل والعون وتذليل الصعاب.



المحدد التاسع

الاستشراق

(١) المصطلح

تُعد ظاهرة الاستشراق محدّداً من محدّدات العلاقات بين الشرق والغرب، إلا أنّ المستشرقين المعاصرین يحاولون التهرب من هذا المصطلح. فلماذا يتهرّب المستشرقون الجدد من مصطلح الاستشراق؟ ولماذا وبالتالي، لا يرغبون في أنّ يقال عنهم إنّهم مستشرقون، ويجدّدون أنّ يقال عنهم أيّ شيء سوى ذلك؟ ولماذا توجّه بعض الاستشراقيين الجدد أو الحديث أو ما بعد الاستشراق، إلى علم الإنسان أو الأشروبولوجيا؟^(١) أسئلة تحتاج إلى عدد من الوقفات، ذلك أنّ مصطلح «الاستشراق»

(١) انظر إلى البحوث المستفيضة التي نشرتها مجلة «الاجتهداد» عن التحول من الاستشراق إلى الأشروبولوجيا في الأعداد ٤٧ و٤٨ و٤٩ و٥٠ في صيف وخريف العام ٢٠٠٠م/١٤٢١هـ وشتاء العام ٢٠٠١م/١٤٢٢هـ، وربيع ٢٠٠١م/١٤٢٢هـ.

كان يلقى رواجاً في انتلقة النهضة الفكرية العربية وإنشاء وزارات المعارف والثقافة ومجامع اللغة العربية والمجامع العلمية ومراكز البحث العلمي وانتشار الطباعة والكتاب والدوريات والمجلة والصحيفة، فكان لهم أثر في ذلك كله مسجلٌ في الوثائق، وكان بهم انبهار فاق الحدّ والعقل، وكانوا محلّ عنابة وترحيب، وافتتن بهم مفكرون عرب؛ لأنهم مستشرقون وليس لأنهم أي شيء سوى كونهم مستشرقين.

وما دام هذا الأمر في خبر كان، كما هو واضح من هذا الطرح في هذه المقدمة، فإنّ هناك فكرةً قد تكون مقبولة للتناضل من المصطلح. هذا هو الطرح القائم الآن ولا يعرف الآن إلا عددٌ قليلٌ من المستشرقين ممن يفضلون تصنيفهم أو نعتهم بالمستشرقين.

فهذا أندرية ميكيل يرفض هذا التصنيف، ويردّ على من أدخله في زمرة المستشرقين بقوله: «أنا لست مستشرقاً وأرفض هذه الكنية. أنا عروبي سحرني الأدب العربي فانكبت عليه بحثاً ودراسة». ^(١) ويقول في مقام آخر: «لست مستشرقاً، اهتمامي يدور حول اللغة والأدب العربين، وبصفة خاصة الكلاسيكي، أي حتى القرن التاسع عشر، فأنا متخصص في اللغة والأدب

(١) انظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة. الالتفاف على الاستشراق. - مرجع سابق. - ص ١٧٣.



العربين». ^(١) وكذلك المستشرق الأمريكي جون أسبوزيتو رفض هذا التصنيف وفضل أن يُدعى بعالم الإسلاميات.

وهذا المستشرق الفرنسي دومينيك شوفالييه ينكر المصطلح ويحمله تبعاتٍ تاريخيةً ليست إيجابية، ولذلك نراه يقول: «أن تكون مستشرقاً يعني أن تكون مهتماً بالشرق. وأنا مؤرخ لتاريخ العرب المعاصر». ^(٢)

والمستشرق الفرنسي مكسيم رودنсон ^(٣) يرى أنَّ الكلمة الاستشراق لم تُعد تعني شيئاً، ويقول: «إنني لا أستطيع أن أتحدث وأستفيض في ما ليس موجوداً. كذلك أقول بأنه لا يوجد شرق، وإنما شعوب مجتمعات ثقافات، وبالتالي لا يوجد استشراق أيضاً، وإنما توجد أنظمة علمية لها موضوعاتها وإشكالياتها النوعية، مثل علم الاجتماع والاقتصاد السياسي والألسنية والإنسنة والفروع المختلفة للتاريخ». ^(٤)

(١) انظر: أحمد الشيخ. من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: حوار الاستشراق. - القاهرة: المركز العربي للدراسات الغربية، ١٩٩٩م. - ص ٨١-٨٨.

(٢) انظر: أحمد الشيخ. من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: حوار الاستشراق. - المرجع السابق. - ص ١٠٥-١١١.

(٣) توفي المستشرق الفرنسي مكسيم رودنсон في ربيع الأول ١٤٣٥ هـ مايو من عام ٢٠٠٤م. انظر آخر مقابلة معه في: جيلبر أشقر. المستشرق الفرنسي الراحل مكسيم رودنсон وشئون الإسلام السياسي والأصولية. - الشرق الأوسط. - ع ١٥١٣٦ / ٥/٩-٢٠٠٤م).

(٤) انظر: أحمد الشيخ. من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: حوار الاستشراق. - مرجع سابق. - ص ٣٧-٤٥.



والمستشرق الفرنسي كذلك، جاك توببي، يؤكّد على أنه مؤرّخ للشرق وليس مستشارًا. وعندما سأله أحمد الشيخ على أنه مستشرق قال: «مستشرق لا، كما لا أعرف إذا كان ما يزال هناك وجود لبعض المستشرقين أم لا. هذا مصطلح قديم». (١)

وهذه المستشرقة الرومانية ناديا أنجيليسكو تهرب من المصطلح وتقول: «خلال زيارتي إلى البلدان العربية قدّمتني الصحف أكثر من مرّة بالمستشرقة الرومانية ناديا أنجيليسكو، واحتجّت أكثر من مرّة على هذه التسمية. طبعاً كان من أهم الأسباب لاحتجاجي أنَّ شخصية المستشرق أصبحت مشتورة إلى حدّ ما في الوطن العربي». (٢)

سابع هؤلاء هو برنارد لويس الذي يمقت مصطلح الاستشراق ويدعو إلى رميء في زبالة التاريخ، (٣) حيث يقول: «لقد أصبحت كلمة «مستشرق» منذ الآن فضاعداً ملوثةً». (٤) ويقول أيضاً: «وهكذا تمَّ رمي مصطلح «المستشرق» في مزبلة

(١) انظر: أحمد الشيخ. من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: حوار الاستشراق. - المرجع السابق. - ص ١٥٧ - ١٦٧.

(٢) انظر: ناديا أنجيليسكو. الاستشراق وال الحوار الثقافي. - الشارقة: دار الثقافة والإعلام، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م. - ص ٧٢، ٣٤.

(٣) انظر: أسرة تحرير التسامُح. العرب والإسلام والغرب والظروف الراهنة: مقابلة مع برنارد لويس. - التسامُح. - مرجع سابق. - ص ٢٦٣ - ٢٧٢.

(٤) انظر: برنارد لويس. مسألة الاستشراق. - ص ١٥٩ - ١٨٢. - في: هاشم صالح / معد ومتّرجم. الاستشراق بين دعاته ومعارضيه. - ط ٢. - بيروت: دار الساقِي، ٢٠٠٠ م. - ص ٢٦١.



التاريخ. ولكن المزاييل ليست أماكن مضمونة ولا نهائية. فالواقع أنَّ كلمتي «مستشرق» و«استشراق» اللتين رميتا من قبل العلماء بصفتهما لا جدوى منها قد استعيدتا من جديد ووظفتا ضمن معنى مختلف: أيَّ ككلمتين تدلانَ على الشتيمة والمحاكمة الجdaleلية^(١). ويقول كذلك في مقام آخر: «لقد أصبحت كلمة «مستشرق» منذ الآن فصاعداً ملوثةٌ هي الأخرى أيضاً، وليس هناك أيُّ أمل في الخلاص. ولكن الضرر هنا أقلُّ: لأنَّ هذه الكلمة كانت قد فقدت قيمتها، وحتى أولئك الذين كانت تدل عليهم تخلوا عنها، وقد تجلَّى هذا التخلُّي رسميَاً في المؤتمر الدولي التاسع والعشرين للمستشرقين الذي عقد في باريس صيف ١٣٩٤هـ/١٩٧٣م. وكان ذلك التاريخ يصادف الذكرى المئوية لأول مؤتمر دولي للمستشرقين المجتمعين في المدينة نفسها». (٢) وليس هذا هو موقف المستشرق برنارد لويس الثابت، إذ سبق له تعريف الاستشراق بتفصيل أكثر التفصاماً بالنظرية العلمية. (٣)

(١) انظر: برنارد لويس. مسألة الاستشراق. - ص ١٥٩ - ١٨٢. - في: هاشم صالح / معد ومتجمِّم. الاستشراق بين دعاته ومعارضيه. - المرجع السابق. - ص ٢٦١.

(٢) انظر: برنارد لويس. مسألة الاستشراق. - في: هاشم صالح / معد ومتجمِّم. الاستشراق بين دعاته ومعارضيه. - المرجع السابق. - ص ١٦٣.

(٣) انظر: عبدالله علي العليان. الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف. - الدار البيضاء: المركز العربي الثقافي، ٢٠٠٣م. - ص ١٢.

ويمثل برنارد لويس مثالاً حيّاً للمستشرق المتطرف الذي يمقته بعض المستشرقين والمفكّرين الغربيين، ولذا عقدت له وقفةٌ لاحقةً يتبيّن فيها مدى تطرّفه وتطرّف من يفيد منه.

(٢) المفهوم المشؤوم

لعلَّ المستشرقة ناديا أنجليسيسكيو قد أجبت على التساؤلات التي طُرحت في مطلع هذه الوقفة، إذ إنَّ القدرة على التمييز والتمحيص، التي اتسم بها الفكر العربي والإسلامي قد وفقت إلى تعرية الاستشراق وبيان ما حمل من ضرر على الفكر في إجماليه، وبالتالي كانت هناك أطروحات قوية وفدت في وجه الاستشراق والمستشرقين، كان من ضمنها المناظرات والمحاورات، مما أدى في ضوء ذلك إلى تقليل النفوذ الاستشرافي، ثم توجّه المستشرقين إلى العلوم الأخرى بجانبها الإعلامي، والرغبة في الظهور الإعلامي تعليقاً على الأحداث المتالية التي تعصف بالمنطقة من وجهة نظر تظلُّ استشراقيّة، مما يولّد مصطلحاً جديداً، قد يصدق عليه الاستشراق الإعلامي أو الصحفي، وربما الإعلام الاستشرافي.

وفي هذا التوجّه الأخير خروج قد لا يكون مرغوباً فيه من قبل المستشرقين الذين لا يزالون يتمسّكون بالمصطلح المطلق «الاستشراق»، دونما تقييده بأيّ صفة، حتى تلك الصفة التي يراد منها الإبقاء عليه متميّزاً عن أيّ طرح سطحي للحاضر، بما



يكتنفه من أحداث متسرعة طفى عليها البُعد السياسي ، وإن تكن في أصلها موجّهة إلى البُعد العقدي .

فقد ظهر من ينعت الاستشراق الأصيل بالاستشراق التقليدي ، أو ربما يعبر عنه بالاستشراق الكلاسيكي ،^(١) ويرى أنه « لا يزال الكثير من المستشرقين سجناء الاستشراق . إنهم منغلقون على أنفسهم داخل غيتور ، وهم سعداء في ذلك غالباً ! بل إنَّ مفهوم الاستشراق نفسه ناتج عن ضرورات عملية عابرة التقى عندها العلماء الأوروبيون المتمرسون بدراسة الثقافات الأخرى . وقد تدعَّم هذا المفهوم بواسطة هيمنة مجتمعهم على المجتمعات الأخرى ، وشوّهت هذه الحالة بقوَّة رؤيتهم للأشياء ». ^(٢)

وكذا التوجُّه إلى تحوير المصطلح إلى أيِّ مصطلح آخر قد يكون مقبولاً في هذا الزمان بدِيلًا عن مصطلح الاستشراق ، ولكنه قد يتحول إلى أنْ يكون العاملون فيه شخصيات مشوّومة في الوطن العربي والعالم الإسلامي في ما يأتي من الزمان .

(١) انظر: مكسيم رودنسون . وضع الاستشراق المختص بالإسلاميات : مكتسباته ومشاكله . - ص ٨٥ - ٩٧ . - في : هاشم صالح ، معذ ومتترجم . الاستشراق بين دعاته ومعارضيه . - مرجع سابق . - ص ٢٦١ .

(٢) انظر: مكسيم رودنسون . الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا . - ص ٣٩ - ٨٣ . في : هاشم صالح / معذ ومتترجم . الاستشراق بين دعاته ومعارضيه . - المرجع السابق . - ص ٢٦١ .



والتهرب من المصطلح لا يعفي من استمرار التمسك بالمضمون، وهو، أو منه، النظر إلى ثقافةٍ بعيون ثقافةٍ أخرى وعدم القدرة على تلبيس الثقافة المنظور إليها، في ضوء التمسك بالثقافة الناظرة، بما تحمله هذه الثقافة المنظور منها تجاه الثقافة المنظور إليها من منطلقات دينية وتاريخية وسياسة واقتصادية، ثم أخيراً اجتماعية وأنثروبولوجية.^(١)

على أنه من المهم هنا ألا يُفهم هذا الطرح على أنه توجّه أو رغبة في وسد الباب أمام الآخر، ليتعاطى الثقافة الإسلامية والعربية، فهذه رغبة لا تحصل ولم تحصل ولن تحصل، إذ إنَّ هذه الثقافة مثار جدل ونقاش طويل عريض، طويل من حيث المدى التاريخي والمستقبلبي،^(٢) وعریض من حيث الاهتمامات وتفرُّع هذه الثقافة مع ترابطها.

وإذا كان الاستشراق من محددات العلاقة بين الشرق والغرب فإنَّ الملحوظ هو تقهقر وجود المستشرقين في المحافل الفكرية والأدبية والثقافية في العالمين الغربي والشرقي الإسلامي، بينما كانوا من قبل محطَّ الاهتمام المبني على الانبهار بما أتقنوه من الثقافة الإسلامية واللغة العربية، حتى لقد

(١) انظر: رضوان السيد. الصراع على الإسلام من الاستشراق إلى الأنثروبولوجيا. - التسامح. - مرجع سابق. - ص ٧١ - ٨١.

(٢) انظر: محمد محفوظ. الإسلام، الغرب وحوار المستقبل. - الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م. - ص ٢٣٠.



قال أحدهم عنهم: إنهم فهموا هذا الدين أفضل من فهم أهله له،^(١) وقال أحدهم عنهم عند النقاش عن الفتن والضرر: إن نفعهم أكثر من ضررهم،^(٢) فرد عليه من قال عنهم: إنَّ ضررَهم أكثرُ من نفعِهم.^(٣)

(٤) الاستشراق الصحفى

منذ انطلاق الاستشراق من الأديرة والمعابد في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي على يد البابا سلفستر الثاني، كما يفضل الدكتور محمد ياسين عرببي، والحوار بين الشرق والغرب لا يزال مستمراً. إلا أنَّ انطلاق الاستشراق هذه جاءت تعضيداً للحملات التنصيرية.^(٤)

يقول محمد محمد ياسين عرببي في كتابه المهم الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي: «ويغْضُن النظر عن التفاصيل والخوض في شتى العلوم العربية التي نقلت إلى الغرب عن

(١) انظر: محمود محمد شاكر. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا. ... القاهرة: دار الهلال، ١٩٨٧هـ/١٤٠٨م. - ص ٢٥٨. - (سلسلة: كتاب الهلال: ٤٢٢)..

(٢) انظر: زكي مبارك. نفعهم أكثر من ضررهم. - الهلال. - ع ٤٢ مج ٢/١٢٣٣هـ/١٩٣٣م. - ص ٣٢٥ - ٣٢٨.

(٣) انظر: حسين الهواري. ضررهم أكثر من نفعهم. - الهلال. - ع ٤٢ مج ١٢/١٣٥٢هـ/١٩٣٣م. - ص ٣٢٤.

(٤) انظر: محمد ياسين عرببي. الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي: نقد العقل التاريخي. - الرباط: المجلس القومي للثقافة العربية، ١٩٩٩م. - ص ١٤٢.



طريق مدارس جنوب إيطاليا كالطب والصيدلة والزراعة والكيمياء والميكانيكا والعلوم الطبيعية بصورة عامة والصناعة والفلسفة بفروعها، فإن الدافع الأساسي لنقل هذا التراث هو التبشير الذي اتّخذ من الاستشراق وسيلةً تحقّق الغاية؛ إذ إنَّ معرفة الحضارة الإسلامية هي الأساس لانتصار الصليب على الهلال. وإذا كان الصليبيون قد ولوا الأدبار بعد صراع دام أكثر من مئتي سنة فإنَّ الغرب قد انتصر بالفعل في هذا الصراع من خلال سلبه لحضارة الشرق. وهذا ما يفسِّر نشاط الترجمة في القرنين الثاني والثالث عشر». (١)

ثم يقول في الصفحة التالية: «وإذا كانت الأفكار أسبق من الظواهر فإنَّ استعمار البلاد العربية الإسلامية في (ق ١٩ - ٢٠ م) في طرف الغرب لم يكن إلا نتيجة لاستلاطم الفكر العربي الإسلامي في القرنين السابقين، من ديكارت إلى كانت. وقد خططَ التبشير والاستشراق لمثل هذا الاستعمار منذ البداية. ولعلَّ أوضح صورة لهذا التخطيط ما نلمسه في مدارس الترجمة بالجناح الشمالي الغربي من الزاوية المنكسة، وخاصةً في مدرسة طليطلة». (٢)

(١) انظر: محمد ياسين عربي. الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي: نقد العقل التاريخي. - المرجع السابق. - ص ١٤٢ . وانظر في مجال تأثير النقل والترجمة: علي ابن إبراهيم الحمد النملة. النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية. - ط ٣ . - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م. - ص ٢٠٤ .

(٢) انظر: محمد ياسين عربي. الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي. - مرجع سابق. - ص ١٤٣ .

بقراءة هذا الكتاب يجد القارئ مادة علمية غنية جديرة بالمتابعة. على أنَّ الكاتب مثل غيره لا يخلو من ملحوظات في طرحة من حيث انطلاقته الفكرية. هذا الطرح ما هو إلا امتداد للحوار بين الشرق والغرب، وإنَّ هذا الحوار يصطبغ اليوم بقدر لا يستهان به من السطحية، حتى في مفهوم الاستشراق الذي يُعتقد على نطاق واسع أنه سيعود إلى الأضواء بعد الذي حلَّ بالعالم العام ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م. ومن ذلك زيادة التحامل على العرب والمسلمين وعلى الإسلام نفسه بطريقة تتناسب مع الزمان إلى درجة التدخل في فهم الإسلام وإفهماته للأجيال القادمة، كما تفعل بعض مراكز البحوث الغربية مثل مؤسسة راند بالولايات المتحدة الأمريكية. وهذا شيء خطير ينبغي التنبه له وإعداد العدة الفكرية لمواجهة من المختصين في الاستشراق.

من هذا الطرح السريع ما ظهرت به الكاتبة والصحفية الإيطالية أوريانا فلاتشي في كتابها «الغضب والاعتزاز». والكاتبة فلاتشي ليست مستشرقة بالمفهوم الدقيق للاستشراق، ولكنها روائية وصحفية تجسد تحول الاستشراق إلى الإعلام والصحافة. وهي كانت مقيمة في نيويورك. ومع هذا صدر كتابها بالإيطالية وترجم إلى الفرنسية.^(١) ورَكِّزت فيه على الجالية العربية المسلمة في الغرب، ووصفتهم بأنهم قوم يلُوثون

(١) انظر: فنسان جيسيير. الإسلاموفobia. - مرجع سابق. - ص ٦٦ - ٧٣.



القارأة، فهم نفایات مغتصبون، وعهرة حاملون لمرض الأیدز، أینما حلوا ورحلوا. وهم يقومون بالتكاڭر بیننا كالجرذان. وتنصح صویحاتها الأوروپیات برفس المهاجرين بالأقدام على قفاهم، كما قامت به هي، وتهين الإسلام إهانة مباشرة، وترى أنه هو سبب هذا الوضع للجالية.^(١)

وكانت فلاشی تنشر مقالاتها هذه التي جمعتها في هذا الكتاب «الغضب والاعتراض» في صحیفة بانوراما الإيطالية الواسعة الانتشار لمالكها برسکوني، كما تذكر صحیفة الشرق الأوسط.

تذکر صحیفة الشرق الأوسط (الاثنين ٢٢/٣/١٤٢٢هـ) أنه يبغ من هذا الكتاب، في ايطاليا الموافق ٢٠٠٢/٦/٣ أنه يبيع من هذا الكتاب، في ايطاليا وحدها مئة ألف (١٠٠,٠٠٠) نسخة في أقل من شهرين، ومثل هذا الرقم بالفرنسية. وعملت الكاتبة على ترجمته إلى اللغة الانجليزية.

تذکر هذه الصحافیة بتلك الممثلة الفرنسية بريجيت باردو التي أطلقت كلمات ووصفاً مقيتاً لل المسلمين وطالبت بإخراج المهاجرين المسلمين من فرنسا، باعتبارهم ملوثين للثقافة الفرنسية فأقامت الجالية المسلمة دعوى ضدّها اضطررت معها للاعتذار.

(١) ستكون هناك وقفة أخرى مع الكاتبة الصحفية الروائية أوريانا فلاشی، عند الحديث عن المحدد السادس عشر: الإعلام.



أعان الله العرب والمسلمين على التعامل الموضوعي تجاه هذه الأوصاف التي تكالبت عليهم، فمرة هم ثعابين واليوم هم جرذان. وأعان الله المعنيين في التصدي العلمي لمثل هذه الاتهامات التي لا تخلو من فائدة، لا سيما أنها أظهرت قدرًا واضحًا من الجنائية على العرب والمسلمين، جعلت غيرهم ينظر إليهم نظرة أخرى فيها خير للناظر والمنظر، إذ تأثر بعض منقرأ قراءة موضوعية لفلاتشي، واستخفّ بها ويفكرها هذا الذي يعيّد نبش التاريخ الذي تسعى حضارة اليوم إلى تجاوزه؛ لأنّ في نبشه مضرّةً للغرب أكثرَ من كونه مضرّةً للشرق.

(٤) الاستشراق والتنصير

إذا كان من محددات العلاقة بين الغرب والشرق المسلمين هنا قيام ظاهرة الاستشراق واستمرار ظاهرة التنصير، فإنّ هناك رابطًا قويًا بين الاستشراق والتنصير من حيث التقاء الأهداف، وإنّ اختلفت الوسائل. وإذا كانت هذه العلاقة القوية تحفّت مع الزمن فإنّ ذلك عائد إلى وضوح فكرة الاستشراق لدى المسلمين، والحادي من قبولها بعدما تبيّن ارتباطها بالتنصير من جهة وبالتالييات الأخرى الموجّهة إلى المسلمين من جهة أخرى، تلك التيات مثل الاحتلال المنقسم والتغريب المستمر والصهيونية وال MASONIّة.

يمكن القول إنّ كل منصرٌ موجّه إلى المسلمين يُعدُّ



مستشرقاً، وليس بالضرورة العكس، فليس كل مستشرق منصراً. وحيث كتب نجيب العقيقي موسوعته العلمية حول المستشرقين، أدرج معهم المنصرين، أمثال السموأل (صوموئيل) زويمر ولو شاتليه، بل إنَّ طلائع المستشرقين بحسب تصنيف نجيب العقيقي قد انطلقوا من الكنائس والأديرة.^(١)

من المستشرقين الأوائل والمتاخرين من هم ذوي مراتب دينية كالآباء لويس شيخو والأباء لوبي ماسينيون وغيرهما. وهكذا تتضح العلاقة بين التنصير والاستشراق في تحديد العلاقة بين الغرب والشرق الإسلامي.^(٢) ولا تتضح العلاقة بمجرد إيراد هذه النماذج من الأسماء، ولكنها تتضح أكثر من ذلك بمتابعة الموسوعة المذكورة.^(٣)

وقد استفاد المنصرون من المستشرقين كثيراً واستفاد المستشرقون من المنصرين قليلاً، ذلك أنَّ فائدة المستشرقين جاءت من خلال الجهود «العلمية» التي قاموا بها، لا سيما الدراسات التي قاموا بها حول الإسلام وتراث المسلمين وواقعهم المعاصر. وينبغي وضع كلمة (العلمية) باعتبارها وصفاً

(١) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. - مرجع سابق. - ١١٠ - ١٢٥.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة. المستشرقون والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهرتين، مع نماذج من المستشرقين المنصرين. - الرياض: مكتبة التوبية، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م. - ص ١٧٨.

(٣) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. - مرجع سابق.



للمجهد بين معقوفتين؟ قصداً إلى التنبيه إلى أنَّ جهود المستشرقين ليست كلها علمية بالمفهوم الذي يراد من هذه الكلمة.

واستفاد المستشرقون من المنصّرين الميدانيين من خلال انطباعاتهم التي سجّلوها وتصيّدواها عن المجتمع المسلم الذي عايشوه، فخرجو منه بهذه الصور التي لا تعبّر عن الإسلام بقدر ما هي تعبّر عن الخرافات عن الإسلام في المجتمع المسلم، فعدُّوها من الإسلام وجعلوا الناس حجّةً على الدين أخذوا بالنظريّة الاجتماعيّة التي تقول إنَّ الدين يؤخذ بقدر ما يأخذ الناس منه، الأمر الذي أدى إلى تصنیف الدين إلى جملة من الأديان، فالإسلام عندهم وعند من تأثّر بهم إسلامات وليس إسلاماً واحداً، إذ إنَّ هناك عندهم الإسلام الشعبي والإسلام التقليدي والإسلام السياسي والإسلام اليساري والإسلام اليميني والإسلام الوسط والإسلام المتطرف والإسلام العلماني.^(١)

وأخذ بعض المفكّرين العرب بهذه التقييمات، وأشاعوها بين الناس، ودعّوهم إلى تصنیف إسلام الأشخاص بحسب ما يظهر عليهم من قرب أو بعد عن هذا الإسلام أو ذاك. وقد تبنّى الأستاذ عبد الجليل الشرفي من دار الجنوب بتونس نشر أعمال

(١) انظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة. الاستشراق والدراسات الإسلامية: مصادر المستشرقين ومصادرتهم. - الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م. - ص ٢٦٢.



عَدَّةٌ حَوْلِ الْإِسْلَامِ الْمُصْنَفَ إِلَى إِسْلامَاتٍ فِي سَلْسَلَةٍ سَمَّاهاً:
 «الْإِسْلَامُ وَاحِدًا وَمُتَعَدِّدًا»، وَتَبَيَّنَتْ رَابِطَةُ الْعَقَلَانِيَّنَ الْعَرَبِ وَدَارِ
 الْطَّبِيعَةِ بِبَيْرُوتِ نَشَرَ هَذِهِ الْأَعْمَالِ وَمَا يَأْتِي بَعْدَهَا.^(١)

وَلَمْ يَقْفِ هَذَا التَّأْثِيرُ عَلَى الْمُفَكِّرِينَ الْعَرَبِ الَّذِينَ أَخْذُوا
 هَذَا التَّصْنِيفَ أَيْضًا مُحَدِّدًا فِي الْعَلَاقَةِ بَيْنِ الشَّرْقِ وَالْغَربِ، بَلْ
 إِنَّ الْمُؤَسَّسَاتِ الْفَرَابِيَّيَّةِ الْأُخْرَى قَدْ أَخْذَتْ هَذَا التَّصْنِيفَ مُأْخَذَ
 الْجَدِّ وَبَيَّنَتْ عَلَيْهِ قَرَارَاهَا، لَا سِيمَّا الْمُؤَسَّسَاتِ السِّيَاسِيَّةِ الَّتِي
 تَتَضَعَّفُ فِيهَا وَجْهَةُ الْعَلَاقَةِ وَضُوْحًا قَوِيًّا.

وَلَمْ تَقْتَصِرْ تَأْثِيرَاتُ التَّنْصِيرِ وَالْإِسْتِشَارَقِ عَلَى الشَّرْقِ وَعَلَى
 النَّظَرَةِ الْعَامَّةِ إِلَيْهِ، بَلْ إِنَّهَا تَعَدَّتْ إِلَى أَنَّهَا أَصْبَحَتْ مُحَدِّدًا فِي
 الْعَلَاقَةِ تَقْوِيمُهَا قَرَاراتٌ مُصِيرِيَّةٌ تُؤَثِّرُ فِي حَيَاةِ الْغَربِ وَحَيَاةِ
 الشَّرْقِ مَعًا. وَتَأْثِيرُهَا فِي حَيَاةِ الْغَربِ جَاءَ مِنَ الْعَمَلِ عَلَى الْحَدِّ
 مِنْ اِنْتَشَارِ الدِّعَوَةِ إِسْلَامِيَّةٍ، وَتَأْثِيرُهَا عَلَى حَيَاةِ الشَّرْقِ جَاءَ مِنْ
 عَدَمِ ثَقَةِ الْغَربِ فِي الشَّرْقِ وَالْخُوفِ مِنْهُ، أَخَدَّا فِي الْحِسْبَانِ أَنَّ
 الْحَدِيثُ الْآنِ يَدُورُ حَوْلِ الْعَدُوِّ الْجَدِيدِ لِلْغَربِ وَلِلْحَضَارَةِ الْفَرَابِيَّةِ
 الْمُتَمَثَّلِ فِي إِسْلَامٍ.^(٢)

(١) انظر قائمة بهذه الإسلامات في: محمد حمزة. إسلام المجددين. - بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٧م. - ص ١٧٥ - ١٧٦.

(٢) انظر: لأن غريش. الإسلاموفوبيا/ ترجمة وتعليق إدريس هاني: - الكلمة. ع ٤٠، مع ١٠ (صيف ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ). - ص ١٠٤ - ١٢٠.

(٥) الفهم الصحيح

تُطْرَقُ العرْضُ فِي الْمَحْدُّ الثَّامِنِ ذِي الْعَلَاقَةِ بِالتَّصْبِيرِ إِلَى أَنَّ الْغَرْبَ بِعَلَاقَتِهِ بِالشَّرْقِ الْمُسْلِمِينَ هُنَّا يَقُولُونَ عَلَى فَكْرَةِ اسْتِشَارَاتِيَّةِ قَدِيمَةٍ تَعْجَدَدَ قَامَتْ عَلَى تَشْوِيهِ الإِسْلَامِ، وَذَلِكَ نَاتِجٌ عَنْ عَدْدٍ مِنَ الْمَوَافِقِ بَيْنِ الْطَّرَفَيْنِ، وَمِنْهَا مَوْقِفُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْحَرْبَ الْأَصْلِيَّةِ وَعَدْمِ سَماحَهُمْ لِهَذِهِ الْحَمْلَاتِ بِالنِّجَاحِ عَلَى أَكْتَافِ الْمُسْلِمِينَ وَأَرْوَاهُمْ.

عَلَى أَنَّ هُنَاكَ مِنْ يَعِدُ الْفَكْرَةَ الْاسْتِشَارَاتِيَّةَ إِلَى مَا قَبْلَ ذَلِكَ بِزَمْنٍ، عَنْدَمَا دَخَلَ الْمُسْلِمُونَ الْأَنْدَلُسَ وَبِدَأُتِ الْعَلَاقَةُ الْعَلْمِيَّةُ بَيْنِهِمْ وَبَيْنِ نَصَارَى أُورُوبَا مَا أَدَى إِلَى تَعْلُمِ الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَيَقُولُ إِنَّ هَذَا التَّلْقَيُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ كَانَ بِقَصْدِ إِخْرَاجِهِمْ مِنَ الْأَنْدَلُسِ وَقَدْ كَانَ ذَاكُ، إِلَّا أَنَّ الْقَصْدَ لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ، بَلْ إِنَّ الْفَكْرَةَ الْاسْتِشَارَاتِيَّةَ يَمْكُنُ أَنْ تُعَادَ إِلَى هَدَفَيْنِ أَسَاسِيَّيْنِ:

أَحَدُهُمَا حِمَايَةُ النَّصَارَى مِنَ الدُّخُولِ فِي الإِسْلَامِ، وَالثَّانِي الْمَحْدُّ مِنْ انتِشَارِ الإِسْلَامِ فِي دِيَارِ النَّصَارَى وَفِي دِيَارِ أَخْرَى يَطْمَعُ النَّصَارَى فِي أَنْ يَكُونُ لَهُمْ فِيهَا قَدْمٌ، عَنْ طَرِيقِ الْحَمْلَاتِ التَّصْبِيرِيَّةِ، وَيَرْغَبُونَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ فِي أَلَّا يَصْلِهَا الإِسْلَامُ.

وَعَلَى أَيِّ حَالٍ قَامَ الْاسْتِشَرَاقُ فِي بِدَائِيَّاتِهِ لِيَدْرِسَ الإِسْلَامَ مِنْ قَبْلِ عُلَمَاءِ نَصَارَى ثُمَّ يَهُودَ كَانَ مَوْقِعُهُمُ الْجَغرَافِيُّ بِالنِّسْبَةِ لِدَارِ الإِسْلَامِ فِي الْغَرْبِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، إِلَّا أَنَّهُ مَعَ مَرْوَرِ الأَيَّامِ

وانتشار الإسلام، وبالتالي انتشار الاستشراق لم يُعد للجهة الجغرافية معنى في إطلاق الشرق والغرب، بل أصبح الغرب يمثل فكراً وأصبح الشرق يعني شيئاً فكرياً غير الفكر الغربي، بما في ذلك الفكر الفارسي والهندي والصيني ونحوها.

وأصبح الاستشراق بالنسبة للمسلمين هو اشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين وعاداتهم وتقاليدهم وأدابهم وأساطيرهم. وهذا الإطلاق إطلاق اصطلاحي إجرائي، إذ لا يعني هذا التناوش المعنى الأشمل للاستشراق الذي يشمل الشرق كله، لا سيما أن هناك في الشرق من يدرس الإسلام ويُعَدُّ من المستشرقين، كالاستشراق الروسي في الجانب الآسيوي منه والاستشراق الصيني والاستشراق الياباني أخيراً، الذي يحتاج وحده إلى دراسة مستقلة؛ نظراً لكونه ظاهرةً فريدة.

ومنذ انتشار الإسلام في الأنجلترا إلى اليوم والاستشراق يُعدُّ عاملاً مهماً من عوامل تحديد العلاقة وطبيعتها بين الشرق والغرب، إذ إن غالبية الاستشراق وليس كلها كان سبباً ولا يزال في قيام فجوة بين الشرق والغرب.

وزاد في هذه الفجوة اعتماد المتأخرين من المستشرقين على المتقدمين منهم، مما أدى إلى تراكم الأخطاء وزيادة سوء الفهم مع الزمن، برغم وجود محاولات جادة منهم لفهم الإسلام بمنأى عن الاستشراق، كما فعل إدوارد سعيد في أعماله المعلومة مثل «الاستشراق وتخطيئة الإسلام»، وغيرها من الكتب



والمقالات الثقافية التي ينشرها في الصحف والدوريات الغربية، لاسيما الأمريكية، ويُعدُّ هذا المؤلّف نموذجاً حقاً للمحاولات التي بُرِزَت في ظاهرة الاستشراف، والتي تمرّدت عليه - كما سيأتي ذكره في وقفة خاصة -، مثله في ذلك مثل عالم الإسلاميات جون إسبوزيتو الذي بات لا يقبل أن يُقال عنه إنه مستشرق لما توحّي الكلمة به من معنى غير مقبول في الأوساط العلمية والفكرية العربية والإسلامية - كما مرّ ذكره - .^(١)

ومع وجود هذه الظاهرة داخل ظاهرة الاستشراف يظلُّ الاستشراف في عمومه تياراً يسيء إلى الإسلام وسيء تقاديمه للآخرين بقصد غالباً، ومن دون قصد في حالات خاصة. والذين سعوا إلى فهم الإسلام من الغربيين فهمّا صحيحاً لم يفهموه عن طريق الاستشراف، بل إنهم ربما تجنبوا إسهامات المستشرقين، علمًا منهم أنَّ الاستشراف عاملٌ سلبيٌّ من عوامل تحديد العلاقة بين المسلمين والغرب، بل من عوامل تحديد العلاقة بين الشرق والغرب .

(٦) برنارد لويس

في سبيل التمثيل للمستشرق الذي يسعى إلى توسيع الفجوة

(١) انظر: جون إسبوزيتو وداليا. من يتحدّث باسم الإسلام: كيف يفكّر - حقاً - مليار مسلم؟ نتائج أكبر استطلاع رأي عالمي حتى الآن / ترجمة عزّت شعلان، تقديم فهمي هويدى. - القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٩ م. - ص ٢٣٩ .



بين الشرق والغرب، يُرد الحديث عن مستشرق متطرف هو هنا برنارد لويس المستشرق التركي الجذور البريطاني الأصل اليهودي المعتقد الصهيوني الفكر الأمريكي الجنسية والإقامة. له إسهامات كثيرة في مجال الاستشراق، نزع في البداية إلى دراسة الفرق التي انبثقت عن الإسلام، فكتب عن الحشاشين، وكتب عن أصول الإسماعيلية والفاطمية والقراطمة،^(١) وكتب في التاريخ الحديث كتابات ليست في مستوى البحوث التي قدّمها في الكتابات التاريخية،^(٢) ذلك أنَّ النزعة الصهيونية التي يصرّح بها هو وبؤْكدها بعد انتقاله إلى الولايات المتحدة الأمريكية سيطرت على كتاباته في التاريخ الحديث، فظهرت أقرب إلى الكتابات الإعلامية منها إلى الكتابات العلمية المنهجية، فكتب

(١) انظر: . برنارد لويس. الحشاشون A Radical Sect in Islam-. London: Al Saqi Books, p1985 - 166.

وانظر أيضًا: - Bernard Lewis. The Political Language of Islam. - Chicago: The University of Chicago, 1988 - p168.

وقد ترجمه إلى اللغة العربية إبراهيم شتا بعنوان: لغة السياسة في الإسلام. - قبرص: دار قرطبة، ١٩٩٣ م. - ص ١٧٣ .

(٢) انظر: Bernard Lewis. What Went Wrong: Western Impact and middle Eastern Response-. London: Author, p.200 - 202.

وقد ترجمه إلى اللغة العربية محمد عناني بعنوان: أين الخطأ؟: التأثير الغربي واستجابة المسلمين. - تقديم ودراسة: رؤوف عباسى. - القاهرة: سطور، ٢٠٠٣ م. - ص ٢٦٩ .

وانظر أيضًا: Bernard Lewis. The Crisis of Islam: Holy War and Unholy terror. - London: Author, 2003. - p175.

عن الإسلام والغرب، وعن صدام الحضارات صدّى لما كتبه زميله المسؤول «صموئيل» هنريتون، وكان العنوان الفرعي لهذا الكتاب: «المسيحيون والمسلمون والميهود في عصر الاكتشافات»، مع أنه أسبق من هنريتون في فكرة الصدام الحضاري هذه، وربما أنَّ هنريتون أخذها عنه، وكتب عن الشرق الأوسط: ألفا سنة من التاريخ من فجر المسيحية حتى يومنا هذا.

وكتب عن الساميين وغير الساميين، ولجأ إلى تركيا وسمّاها في أحد كتبه تركيا الحديثة، وجعلها في كتابه الأخير: مستقبل الشرق الأوسط، هي القوَّة القادمة في هذه المنطقة في العقود الخمسة المقبلة، وهي «المرشحة للعب الدور الأول مع إسرائيل في الشرق الأوسط»، خلال هذه العقود المقبلة.^(١)

وهو متأثِّر بحركة مصطفى كمال أتا تورك التي يُعدُّها انطلاقة تركيا الحديثة، ويعوّل عليها في أن تكون البديل الذي يريده، من خلال منطقه الفكري والعقدي، ذلك أنه يرى ما لم يصرُّ به، وهو أنَّ البلاد الأخرى المشمولة في مصطلح الشرق الأوسط جغرافياً كلها تميل إلى تطبيق الدين في قضيتها مع اليهود في فلسطين المحتلة.

(١) انظر: برنارد لويس. مستقبل الشرق الأوسط: تنبؤات. - بيروت: رياض الريس، ٢٠٠٠م. - ص ١٤٠.



وهو لا ي يريد هذا البعض أن يكون هو الدافع للتعامل مع اليهود. ولذا وجد في غير البلاد المجاورة لفلسطين بدليلاً مناسباً، فهم هم منه أنه سيقبل بالأمر الواقع ويتعامل مع اليهود من هذا الواقع.

وهذه هي النظرة الإعلامية التي وقع فيها برنارد لويس في إيجاد البديل؛ لأنَّ من رشحه بدليلاً ليس بالضرورة قانعاً في هذا الواقع، إذ تظلُّ تركيا بلدًا مسلماً قادت العالم الإسلامي قرونًا، ومعظمها ذات عاطفة قوية نحو الإسلام والمسلمين، لا سيما مع استقلال جمهوريات الاتحاد السوفياتي: أذربيجان وقازاخستان وقرقازستان وتركمانستان وأوزبكستان وطاجيكستان، وهي دول إسلامية، وجورجيا وأرمينيا وهما دولتان مسيحيتان في أغلبهما.

والدول الإسلامية السُّتُّ المستقلة عن الاتحاد السوفياتي السابق ذات ارتباط بالتركية والأتراء لغةً وثقافةً، وارتباط آخر بالفارسية لغةً وثقافةً كذلك، ولكنه ليس في مستوى الارتباط بالتركية.

وتظلُّ تطلعات برنارد لويس إنما هي أمانٍ وتوقعاتٍ، جاءت في عنوان كتابه *تنبؤات برنارد لويس*. والترجمة العربية غير دقيقة، والأولى أن تكون توقعات؛ لأنها تناسب مقابلتها الأجنبية (Predictions). (١)

(١) انظر: برنارد لويس. مستقبل الشرق الأوسط: تنبؤات. - المرجع السابق. -
ص. ١٤٠.



وكان هذا المستشرق هو محور البحث الذي قام به الدكتور مازن بن صلاح المطبياني، وهو بحث مستفيض نال عليه الباحث درجة الدكتوراه من كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بفرع المدينة المنورة، وهو حجّة في أعمال برنارد لويس، فقد ذهب إليه بنفسه وحاوره وناقشه وضاق المستشرق من الباحث. ويظهر أنَّ الباحث قد زوَّد المستشرق لويس بنسخة من بحثه الذي نشرته مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض باللغة العربية،^(١) وإن لم يكن قد زوَّد بهذا البحث فإنه ربما قد حصل عليه بطريق آخر. وهو بحث جدير بالاطلاع.

وستظلُّ الكتابات عن هذه المنطقة تترى. وكلَّ يؤخذ من كلامه ويردُّ،^(٢) وهناك من يؤخذ من كلامه أكثر مما يردُّ، وهناك من يردُّ من كلامه أكثر مما يؤخذ وربما أنَّ هناك من يردُّ كلامه ولا يؤخذ منه شيء، إلا الأنبياء فإنَّ كلامهم يؤخذ كله ولا يردُّ منه شيء؛ إنَّ هو إلا وحيٌ يوحى.

(١) انظر: مازن بن صلاح مطبياني. الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي: دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس. - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٦/٥/١٩٩٥ م. - ص ٦١٤.

(٢) يؤثر هذا القول عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهم -، ونقله عنه مجاهد - رحمه الله -، ونقله عن مجاهد الإمام مالك بن أنس - رحمه الله -، ونقله عن مالك الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله -. انظر: محمد ناصر الدين الألباني. صفة صلاة النبي ﷺ من التكبير إلى التسليم، كأنك تراها. - ط ١٣. - بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. - ص ٢٧ - ٢٦.



وعندما يكتب عن المستشرق المعاصر أستاذ دراسات تاريخ الشرق الأدنى المتتقاعد في جامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية برنارد لويس تجد من المتخصصين في الاستشراق ومن الذين بحثوا كثيراً في إسهامات هذا المستشرق من يُعدُّه دخيلاً على هذا المستشرق بعينه، ولعله تدخلٌ يرضي الباحثين المتعمّقين؛ لأنَّه يبيّن مدى علمهم بالمستشرق وفكره وميوله في مقابل جهل الآخرين به ممن يكتبون عنه، لا سيَّما أولئك الذين قرأوا له كتاباً أو كتابين من إنتاجه الغزير.

وكتابة لويس ممتعة ولغتها بسيطة، وتحليله ممتع لكثير من الناس الذين يلتقطون معه في نظرته إلى الشرق الأدنى وشعوبه - كما يُقال - . ومن هنا جاء التأثير بالآخرين من الذين يكتبون عن المنطقة والدين الذي نؤمن به، والفكر الذي يسيِّر الناس ويسيِّر الناس من خلاله، لا سيَّما أولئك الذين لديهم الرغبة في التغيير أيَّاً كان هذا التغيير.

وهذا شعور ليس محدثاً، بل هو قديم قدم هذه الإسهامات الخارجية، حتى قيل من سنين عديدة تصل إلى خمسة عقود مضت إنَّ المستشرقين قد فهموا الإسلام أفضل من فهم أهله له،^(١) وحتى قيل إنَّ بعض المناطق الإسلامية ليست إسلامية

(١) انظر: محمود محمد شاكر. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا. - مرجع سابق. - ص ٢٥٨.



الروح، بقدر ما هي أوروبية الهوى وينبغي أن تكون كذلك. وهذا ناتج عن قراءات سريعة غير تحليلية لكتابات ممتعة في أسلوبها ولغتها بسيطة. وناتج كذلك عن قدر من الجمود في الفكر في مرحلة من المراحل التي تهمّش فيها ما يسمى اليوم بالفلك الإسلامي.

وليس كل المستشرقين يبيّنون ذلك في كتاباتهم وتعليقاتهم حتى أصبحى من الصعب على الباحثين في الاستشراق استخلاص هذا الانتماء الديني والفكري إلا بمزيد من تحليل الكتابات. وهذا يحتاج إلى المزيد من التخصص في الأفراد من المستشرقين على غرار ما قام به الدكتور مازن المطّبّقاني الذي درس برنارد لويس دراسة علمية أظهرت فيها انتماءه الديني والفكري، وهذا من حقّه، كما هو حقّ قد أعطي للمدرس فلم لا يُعطى للدارس!

ولم ينل عمل مازن المطّبّقاني الانتشار المتوقع له لأسباب عدّة، لعلّ منها أنه تعرّض لمفكّر صهيوني «محميّ». على أنّ هناك مفكّرين «محميّن» لا يصلهم النقد، وإنّ وصل فإنه لا يتشرّر.

ومهما يكن من أمر فإنّ وفتني مع كتاب برنارد لويس الأخير مستقبل الشرق الأوسط قد أثبتت في تحليلاته نقاطاً عدّة، أكّدت الموقف منه في توجّهه إلى التاريخ الحديث ولجوئه إلى التحليل الإعلامي السريع الذي لم يكن معهوداً عنه في إسهاماته



في تاريخ الشرق الأدنى. وهو بهذا يحقق من الغايات لدinya ومعتقده وفكرة أكثر مما يتحققه أو حققه لهما في مسيرته الأولى، وإن ضحّى بسمعته العلمية وبعمق البحث العلمي وقدر يسيراً جدّاً من التحليل الموضوعي.

(٧) إدوارد وديع سعيد

وفي سبيل التمثيل لنموذج ممن تصدّى للاستشراق في بعض وجهاته يبرز علم عربي تتبع الاستشراق الإمبريالي وكتب عنه في أكثر من كتاب. وهو إدوارد وديع إبراهيم سعيد المولود في القدس الشريف سنة ١٣٥٦ هـ تقريباً ١٩٣٥ ميلادية، من عائلة عربية اللسان إسلامية الثقافة نصرانية التدين، وأراد له والده أن يحمل الاسم إدوارد ثمّيناً باسم أمير بلاد الغال إدوارد وارث العرش البريطاني الذي كان نجمةً لامعةً في تلك السنة التي ولد فيها إدوارد وديع إبراهيم سعيد.

هو عربي اللسان لأنّه يتّمّي إلى هذا اللسان، حيث انقسم نصارى العرب من قديم الزمان إلى النساطرة واليعاقبة، والانقسام كان بسبب كُثُر المسيح عيسى بن مريم - عليهما السلام - بين الناسوتية واللاهوتية، فقالت طائفة إنّه ناسوتٍ وقالت الأخرى إنّه لا هوٌتي،^(١) ومنذ ذلك التاريخ والجدل قائم

(١) انظر: سالم عبدالله سالم التوبدي. المسيحية والإسلام بين حوار الفكر وحرب المبشرين . - بيروت: دار الأمر، ٢٠٠١ م. - ص ١٤٤ .

حول طبيعة مَن نعتقد نحن المسلمين جازمين أنه عبدالله ورسوله آتاه الله الكتاب والحكمة وجعله نبِيًّا وجعله مباركًا أينما كان وأوصاه بالصلة والزكاة ما دام حيًّا ويرأبُ بوالدته ولم يجعله جَبَارًا شقيًّا، والسلام عليه يوم ولد ويوم يموتُ ويوم يُبعثُ حيًّا. (١)

نشأ إدوارد سعيد في وسط الثقافة الإسلامية، حيث احترم الإسلام والمسلمون النصارى واليهود وأيقوهُم على دينهم وتسامحوُم معهم، ظهر ذلك واضحًا في القرون الأولى منذ أن انطلق الخليفة الثاني عمر بن الخطاب إلى القدس الشريف واحترم كنيسة القيامة، بل قبل ذلك حينما هاجر المسلمون الأوائل إلى الحبشة واستقبلهم النجاشي وجادلهم في طبيعة المسيح عيسى بن مریم - عليهما السلام - وقال عنه رسول الله ﷺ ما قال، ثم ورود وفد من النصارى العرب إلى الرسول - عليه الصلاة والسلام - وما دار من نقاشٍ حول هذا المفهوم. وكل هذا مثُورٌ مبُثُوثٌ في كتب السيرة وكتب التاريخ.

موقف السماحة من قبل المسلمين موقف مبدئي جعل من يعيشون بينهم يتتفقون بثقافة الإسلام من دون أن يعتقدوا الإسلام بالضرورة. وفي هذه البيئة التي يؤكد عليها النصارى أنفسهم نشأ إدوارد سعيد الذي لم يكن راضيًّا بحكم هذا العيش بالاسم

(١) انظر في هذا منطوق الآيات الكريمة، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مَبَاركًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكُوْنَهُ مَا دَمَتْ حَيًّا وَبَرَأَ بُوَالَّهِي وَكَمْ يَعْلَمُنِي جَبَارًا شَقِيًّا وَالْسَّلَامُ عَلَى يَوْمِ وُلْدَتُ وَيَوْمَ أَمْوَاتُ وَيَوْمَ أُبَعْثَتُ حَيًّا﴾، [سورة مریم: ٣٢ - ٣١].



إدوارد مقرؤنَا بالاسم سعيد، لا سيّما أنَّ اسم أبيه كان وديعًا وأسم جدّه كان إبراهيم. ولذا انعكس هذا الموقف على إدوارد وديع إبراهيم سعيد في موقفه هو من الثقافة الإسلامية، فكانت بعض كتبه تعكس هذا الاتماء الثقافي، وإنْ كان قد استخدم مسيحيته لأسباب ربما أنه لم يفصح عنها، ولكنَّ الذي يظهر أنها قربته كثيراً في المجتمع الغربي الذي احتضنه وفتح له قاعات المحاضرات في جامعة من الجامعات العريقة في الولايات المتحدة الأمريكية؛ جامعة كولومبيا بنيويورك المدينة.

ويحكي إدوارد سعيد كلَّ هذا في كتاب عنوانه يكفي ترجمة ما كان عليه، وما لا يزال عليه الشعب الفلسطيني حينما وضع قسراً خارج المكان، وهو عنوان مذكراته،^(١) وكانت قد صدرت باللغة الإنجليزية سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م. وفيها تفصيل طويل للمشاعر قبل الحقائق في حياة هذا الرجل الذي يظهر أنه دافع عن الإسلام دفاعاً عكِسَ انتماءه الثقافي للإسلام، وإنْ لم يتحدث بلغة المسلم المتميِّز للعقيدة الإسلامية ولا يتوقع منه ذلك؛ لأنَّه لم يؤمن بالإسلام عقيدة.

ظهر دفاعه عن هذا الدين وعن الثقافة الإسلامية واشتهر عندما أصدر كتابه المشهور «الاستشراق» باللغة الإنجليزية سنة

(١) انظر: إدوارد سعيد. خارج المكان: مذكرات / ترجمة فواز طرابلسي. - بيروت: دار الآداب، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٣م. - ص ٣٥٩.



١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ثم تمت ترجمته إلى اللغة العربية سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م، حيث نقله إلى العربية كمال أبو ديب، باسم: الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، وظهرت له طبعات عدّة بعد هذه الطبعة التي صدرت عن مؤسسة الأبحاث العربية في بيروت. (١)

ويُغضّ النظر عن الأسلوب الطليسي الذي تُقلّل فيه كتاب الاستشراق ابتداءً إلى اللغة العربية مما حفّه بالغموض؛ بسبب أنَّ المترجم كمال أبو ديب أتبع أسلوب «التعجيم» foreignsation في الترجمة مما جعل الرجوع إلى الأصل باللغة الإنجليزية أولى وأوضح لمن يستطيع ذلك، بالرغم من ذلك فإنَّ الكتاب يؤكد أنَّ الفكرة العامة له يُغضّ النظر عن التفاصيل تصبُّ في الدفاع عن الثقافة الإسلامية، بأبعاد سياسية وعلمية وأدبية فكرية.

ثم ظهرت بمصر ترجمة جديدة قد تكون أوضحت من الترجمة السابقة، لأنَّ المترجم محمد عتاني أتبع في ترجمته أسلوب «التدجين أو التأنيس» domestication في الترجمة. (٢)

ومنذ صدور هذا الكتاب بلغته الإنجليزية تعرّض إدوارد سعيد لهجوم ودفاع من الكُتاب الغربيين والعرب، وما يزال مثار نقاش

(١) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء. - مرجع سابق. - ص ٣٦٧.

(٢) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق. - مرجع سابق. - ص ٥٦٠.



وجدال وهجوم ودفاع مما جعل إدوارد سعيد نفسه يصدر كتاباً في التعقيب على كتابه الاستشراق سماه: تعقيبات على الاستشراق.^(١)

ثم الكتاب الآخر الذي دافع فيه إدوارد سعيد عن الإسلام هو ما تَمَّ ترجمته أو نقله إلى اللغة العربية بعنوان «تغطية الإسلام» الذي صدر سنة ١٩٨١ هـ / ١٤٠١ م،^(٢) وأظن أنَّ كلمة تغطية في العنوان لم تعطِ المدلول الدقيق لما يقابلها باللغة الإنجليزية Covering Islam، إذ إنها تُفهم على أنَّ أفضل كلمة تعطي المدلول هي: تعمية الإسلام، ذلك أنَّ الكلمة تغطية بالمفهوم الإعلامي الصحافي تعني خلاف ما قصده المؤلِّف، على ما يظهر، إذ يتداول في الإعلام أنَّ التغطية تعني الإظهار أو الإشهار أو الإعلام عن الشيء، بينما الذي أراده المؤلِّف هو ما جاءت عليه أصل الكلمة في اللغة الإنجليزية التي قد تعود جذورها إلى اللغة العربية، التي تعني الستر والتعمية «في ليلة كَفَرَ الظلام نجومها»، مما يطول بحثه.

هذا بالإضافة إلى مؤلفاته الأخرى التي جُمعت فيها مقالاته في الدوريات العربية والأجنبية من منطلق تكريمه والاعتراف بإسهاماته في مجال نصرة القضية التي تبناها في داخله، ولم يتخلَّ

(١) انظر: إدوارد سعيد. تعقيبات على الاستشراق/ ترجمة وتحرير صبحي حليدي. - بيروت: دار الفارس، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م. - ص ٦٠.

(٢) انظر: إدوارد سعيد. تغطية الإسلام/ ترجمة محمد عناني. - القاهرة: دار رؤية، ٢٠٠٥ م. - ص ٣٥٢.



عنها اعتذاراً للآخرين أو رغبة في الاستقرار المعيشي كما هي حال بعض من يتاجرون بالقضية ويزايدون عليها.

وتتسارع دور النشر العربية إلى إخراجها؛ نظراً للإقبال عليها من مفكري العربية، ويتبّع من عرضها هنا أبرز داري نشر أسهمتا في إشهار إسهامات إدوارد سعيد بنقلها إلى اللغة العربية، ومنها؛ تأملات حول المنفي،^(١) وصور المثقف،^(٢) والمثقف والسلطة،^(٣) وإسرائيل - العراق - الولايات المتحدة،^(٤) ونهاية عملية السلام: أوسלו وما بعدها،^(٥) وغزة وأريحا: سلام أمريكي،^(٦) والقضية الفلسطينية والمجتمع الأمريكي،^(٧) والقلم

(١) انظر: إدوارد سعيد. تأملات حول المنفي ومقالات أخرى (١) / ترجمة ثائر ديب. - بيروت: دار الآداب، ٢٠٠٤ م. - ص ٣٨٣.

(٢) انظر: إدوارد سعيد. صورة المثقف: محاضرات ريث، ١٩٩٣م / نقله إلى العربية غسان غصن، راجعته مني أنيس. - ط ٣. - بيروت: دار النهار، ١٩٩٧م. - ص ١٢٢.

(٣) انظر: إدوارد سعيد. المثقف والسلطة / ترجمة محمد عناني. - القاهرة: دار رؤية، ٢٠٠٦ م. - ص ١٩٩.

(٤) انظر: إدوارد سعيد. إسرائيل، العراق، الولايات المتحدة. - بيروت: دار الآداب، ٢٠٠٤ م. - ص ٣١٢.

(٥) انظر: إدوارد سعيد. نهاية عملية السلام: أوسلو وما بعدها. - بيروت: دار الآداب، ٢٠٠٢ م. - ص ٣٨٤.

(٦) انظر: إدوارد سعيد. غزة - أريحا: سلام أمريكي / تقديم محمد حسين هيكل. - القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٩٤م. - ص ١٥٢.

(٧) انظر: إدوارد سعيد. القضية الفلسطينية والمجتمع الأمريكي. - بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٠م. - ص ٣٢. - (سلسلة أوراق مؤسسة الدراسات الفلسطينية؛ ١) ..



والسيف،^(١) وفرويد وغير الأوروبيين،^(٢) والثقافة والإمبريالية،^(٣) والآلهة التي تفشل دائمًا.^(٤) وهذا الكتاب الأخير تكرار لكتاب صور المثقف في المحاضرة التي حملت العنوان نفسه مع إضافة لمقالات أخرى.

وكتب بالاشتراك مع برنارد لويس الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية.^(٥) وكتب مع دانيال بارنبويم نظائر ومفارقات: استكشافات في الموسيقى والمجتمع.^(٦) وكتب مع إعجاز أحمد الاستشراق وما بعده.^(٧)

(١) انظر: إدوارد سعيد. القلم والسيف/ حوارات مع دافيد بارساميان/ ترجمة توفيق الأسدي. - ط. ٢. - دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر، ١٩٩٤م. - ص ١٥٣.

(٢) انظر: إدوارد سعيد. فرويد وغير الأوروبيين. - بيروت: دار الآداب، ٢٠٠٤م. - ص ١٠٩.

(٣) انظر: إدوارد سعيد. الثقافة والإمبريالية. - نقله إلى العربية وقدم له: كمال أبو ديب. - بيروت: دار الآداب، ١٩٩٧م. - ص ٤١.

(٤) انظر: إدوارد سعيد. الآلهة التي تفشل دائمًا. - مرجع سابق. - ص ١٣٩.
وأعيدت طباعته بعنوان: آلهة تفشل دائمًا/ ترجمة حسام الدين خضور. - ط. ٢. - دمشق: دار التكوير، ٢٠٠٦م. - ص ١٥٠.

(٥) انظر: برنارد لويس وإدوارد سعيد. الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية. - بيروت: دار الجيل، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م. - ص ١٣٣.

(٦) انظر: إدوارد سعيد ودانيال بارنبويم. نظائر ومفارقات: استكشافات في الموسيقى والمجتمع/ تناقض وتقديم آرا غوزيليميان، ترجمة نائلة قلقيلي حجازي. - بيروت: دار الآداب، ٢٠٠٥م. - ص ١٩٩.

(٧) انظر: إعجاز أحمد وإدوارد سعيد. الاستشراق وما بعده: إدوارد سعيد من منظور النقد الماركسي/ ترجمة وتقديم ثائر ديب. - دمشق: دار ورد، ٢٠٠٤م. - ص ٢٤٢.



والذي يظهر في هذه الكتب الثلاثة الأخيرة التي يشارك فيها إدوارد سعيد غيره من المؤلفين أنها من تجميعات الناشرين أو المعدّين والمحرّرين، وليس بالضرورة مشاركة بالمفهوم العلمي للمشاركة في التأليف.

وعلى أي حال فقد رحل إدوارد بديم إبراهيم سعيد المولود في الطالية في القدس حيث كان حيًّا يقطنه الموسرون العرب، وترك وراءه إرثًا أدبيًّا وفكريًّا، كان له تأثيره على الساحة الفكرية الأدبية. وكان رحيله في ٢٨/٧/١٤٢٤ هـ الموافق ٢٥ سبتمبر من سنة ٢٠٠٣ م. ولم تعرَّض هذه الوفاة إلى أثره في السياسة وشخصيته من هذا المنطلق، إذ إنَّ لهذا الجانب من يملك زمامه.

ويحتاج هذا الأستاذ إلى مزيد من الاعتراف بما له من إسهامات في هذا المجال الذي ركَّزَتْ عليه هنا على اعتبار أنه مثلُ غيره يؤخذ من كلامه ويُردُّ. والذي ظهر لي أنَّ ما يؤخذ من كلامه أكثر مما يُردُّ.

ولقد وددت أنْ يتَسَعَ المقام للمزيد من النقاش حول هذا الموضوع مرورًا ببعض ما كُتِبَ عنه من كتب وبحوث ومقالات وكتَّابه هو غير ما نُشرَ، مثل: دفاعًا عن إدوارد سعيد،^(١)

(١) انظر: فخري صالح. دفاعًا عن إدوارد سعيد. - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٠ م. - ص ١٢١ .



إضافات على كتاب الاستشراق،^(١) وإدوارد سعيد ومفارقة الهوية،^(٢) وإدوارد سعيد: أسفار في عالم الثقافة،^(٣) وإدوارد سعيد: رواية للأجيال،^(٤) وإدوارد سعيد: مقالات وحوارات،^(٥) وهل القلب للشرق والعقل للغرب؟: ماركس في استشراق إدوارد سعيد،^(٦) وإدوارد سعيد: آخر العمالقة جاء من فلسطين،^(٧) وغيرها مما كتبه هو أو يكتب عنه.

ولعلَّ المجال يسمح بذلك في مستقبل الأيام - إنْ شاء الله تعالى - للغوص بقدر من العمق في محاولة مستقلة في كتاب

(١) انظر: باقر بري. إضافات على كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد. - بيروت: دار الهادي، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م. - ص ١٢٠.

(٢) انظر: بيل أشكروفت وبالهولوبيا. إدوارد سعيد: مفارقة الهوية/ ترجمة سهيل نجم، مراجعة حيدر سعيد. - دمشق: نينوى للدراسات والترجمة والنشر، ٢٠٠٢ م. - ص ٢٣٥.

(٣) انظر: محمد شاهين. إدوارد سعيد: أسفار في عالم الثقافة. - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٧ م. - ص ٧١.

(٤) انظر: محمد شاهين. إدوارد سعيد: رواية للأجيال. - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥ م. - ص ٢٠٧.

(٥) انظر: محمد شاهين / مقدمة ومحرر. إدوارد سعيد: مقالات وحوارات. - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤ م. - ص ٢١٦.

(٦) انظر: مهدي عامل. هل القلب للشرق والعقل للغرب؟: ماركس في استشراق إدوارد سعيد. - ط ٣. - بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٦ م. - ص ١١١.

(٧) انظر: سلطان الخطّاب. إدوارد سعيد: آخر العمالقة جاء من فلسطين. - عمان: دار العروبة، ٢٠٠٣ م. - ص ٢٩٤.



حول رحلة الأستاذ الدكتور إدوارد وديع إبراهيم سعيد في المجال الفكري من حياته. ^(١)

(٨) الانسلاخ

وكما ناقشت بعض الأطروحات العربية صورة العربي في الدراسات الاستشرافية الحديثة وكذلك في الطرح الإعلامي السريع القائم غالباً على الإثارة، فإنَّ بعض الغربيين يعاني كذلك من الطرح العربي لصورة الغربي في الدراسات التي تصدَّت للاستشراف كما تصدَّت لصورة العربي في الإعلام الغربي، مما أدى إلى محاولة الإساءة للإنسان الغربي، الذي يبني اليوم حضارة قائمة على العلم والتقانة ويسعى إلى التخلُّص من خلفياته الدينية والذاتية. ومثل هذا الطرح هو ما يمكن أنْ يصدق عليه بأنه نواة للاستغراب الذي ستأتي مناقشته في وقفات لاحقة.

واللافت أنَّ بعضاً من دارسي العربية والإسلام من أمثال دومينيك شوفالييه وهو مستشرق فرنسي، يدعون العرب إلى

(١) انظر: من آخر الاحتفائيات بالراحل إدوارد سعيد، وقبل صدور هذا الكتاب، ما دعت إليه منظمة الجالية الفلسطينية في بريطانيا، بالتعاون مع جمعية التضامن مع فلسطين في معهد الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن، من تنظيم يوم إدوارد سعيد، يُشارك فيه نخبة من الأكاديميين من الجامعات البريطانية والأمريكية والعربية، وذلك في الثالث من أكتوبر ٢٠٠٤م. ذكرت ذلك صحيفة الشرق الأوسط في عددها ٩٤٣٢ في ٢٤/٩/٢٠٠٤م. -

. ٢٣ ص



التخلّي عن تراثهم ودينهم في سبيل تبنّي هذه الحضارة المادّية القائمة على العلوم والتقانة.^(١)

والمتوقع هنا أنَّ العربي وغير العربي لن يتمكّن من التخلّي عن تراثه ودينه والاستعاضة عنه بحضارة العلوم والتقانة، وإن دعا إلى ذلك بعض الداعين، فلقد طالعتنا الكتب التي نشرها مركز دراسات الوحدة العربية عن الأبعاد الدينية في السياسات الغربية، لا سيَّما في الولايات المتَّحدة الأمريكية.^(٢) مما يعني توظيف الدين ولو لم يُعلن توظيفه.

ولا يظهر أنَّ العرب سوف ينسليخون من دينهم وحضارتهم التي قامت على هذا الدين ليتبَّعوا حضارة العلوم والتقانة، ذلك أنَّ العرب المسلمين يدركون أنَّ الدين هو الذي يدعو إلى حضارة العلوم والتقانة، بخلاف فهم بعض المتدَّينين الغربيين لدينهم، الذي رأوا فيه مانعاً من العلوم والتقانة، وهذا ما حذَّرنا منه موريس بوكيي من أنَّ يسري بيتنا هذا الفهم، لا سيَّما المسلمين الذين يدرسون في الغرب أيَّ نوع من

(١) انظر: أحمد الشيخ. من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: حوار الاستشراق. - القاهرة: المركز العربي للدراسات الغربية، ١٩٩٩م. - ص ١٠٣ - ١١١.

(٢) انظر: يوسف الحسن. البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي - الصهيوني: دراسة في الحركة المسيحيةالأصولية الأمريكية. - ط ٢. - بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧م. - ص ٢٢٢.



الدراسات، حتى لو كانت علمية تطبيقية أو تقنية بحثة. (١)

ومن هنا يأتي الفرق بين دين يدعو إلى العلوم والتقانة ويفرض على أتباعه التعلم والعمل والاحتراف ويجعل ذلك بين فرض العين وفرض الكفاية، وبين دين عُرِفَ عنه أنه يحارب العلوم والتقانة ويجعلهما شكلاً من أشكال الهبرطقة التي لا تتفق والتوجُّه الديني.

ولعلَّ من أسباب دعوة بعض المستشرقين إلى التخلُّي عن الدين والتراث لدى العرب، والمقصود هنا المسلمين، هو فهم الدين الإسلامي بالفهم الغربي للدين.

وعلى أيّ حال فإنَّ هذا الطرح حول الاستشراق في كونه محدداً من محددات العلاقة بين الشرق والغرب لا يلغى ما لبعض المستشرقين المنصفين الجادين من جهود محمودة في الإسهام في حفظ التراث العربي الإسلامي ودراسته ونشره وتحقيقه وترجمته، مما يؤكّد النظرة المنصفة في دراسة الاستشراق. «إنه مهما وجّهت من تُهم للاستشراق والمستشرقين لا بدَّ من إنصاف بعضهم، وخصوصاً أولئك الذين أدوا للتراث العربي الإسلامي خدمات جليلة، سواء بأبحاثهم العلمية القيمة

(١) انظر: موريس بوكي. التوراة والإنجيل والقرآن والعلم. - Maurice Bucalem. The Bible the Qur'an and Science. - translated from French by: Alastair D. Pannell and the Author - . Indianapolis: North American Trust, 1978. - p253.



وتحقيقاتهم للتراث واكتشاف مصادره ووضع فهارس مهمّة يستفيد منها القارئ العربي والغربي في أبحاثه ودراساته».^(١)

وعند الدخول في تحليل هذا الفهم فإنه يقود إلى نواة الاستغراب التي يدعو إليها بعض العرب والمسلمين،^(٢) كما يدعو إليها بعض المستشرقين ومنهم المستعربون والمهتمّون بالحضارة العربية والثقافة الإسلامية.

(١) انظر: محمد القاضي. الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف. - التاريخ العربي. - ع ٢٦ (ربيع ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م). - ص ١٧٩ - ٢٠٨.

(٢) انظر: حسن حنفي. مقدمة في علم الاستغراب. - بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م. - ص ٩١.



المحدث العاشر

الاستغراب

(١) المفهوم

الاستغراب محدث آخر من محدثات العلاقة بين الشرق والغرب. والذي يظهر أنَّ العلاقة بين الشرق والغرب قد انطلقت بقوَّة واضحة مع بعثة سيدنا رسول الله محمد بن عبد الله (حينما أرسل الوفود إلى الملوك والأباطرة والحكَّام يدعوهم إلى الإسلام، فكان حوار بين الوفود وهرقل إمبراطور الروم، ثم انطلقت العلاقة بين أخذ ورد، كان فيها نقاش وحجاج وجدال وحوار ما يزال قائماً إلى يومنا هذا. وأخذ الحوار أشكالاً متعددة، منها العلمي والسياسي والحربي والبعثات العلمية والنقل والترجمة.)^(١)

(١) انظر: محمد عبد الحميد الحمد. حوار الأمم: تاريخ الترجمة والإبداع عند العرب والسريان. - دمشق: دار المدى، ٢٠٠١م. - ص٥٣١.



وظهرت الحروب الصليبية شكلًا من أشكال الحوار دام حوالي مئتي سنة، ثم تبعتها حورات أخرى، كان الاستشراق شكلًا آخر من أشكالها، إبان الاحتلال وقبله وبعده، والتنصير كذلك.

حدا هنا كله بعض المفكّرين العرب المعاصرين إلى أن يدعوا إلى قيام علم الاستغراب، فانبرى الدكتور حسن حنفي ونشر كتاباً ضخماً في مجلد واحد سنة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م بعنوان «مقدمة في علم الاستغراب»، وجاء الكتاب في تسع مئة وعشرون (٩١٠) صفحات، ليأتي هذا العلم مواجهًا للتغريب «الذي امتدّ أثره ليس فقط إلى الحياة الثقافية وتصوراتها للعالم، وهدد استقلالنا الحضاري، بل امتدّ إلى أساليب الحياة اليومية ونقاء اللغة ومظاهر الحياة العامة وفن العمارة». (١)

ونبعت الدعوة إلى وجود مثل هذا العلم من الشعور بأنّ الساحة العربية الفكرية تكاد تخلو من معرفة الآخر. وهذا زعم جاء نتيجة للتجاهل في تسبّع التناحر الفكري العربي الإسلامي، الذي لم يدخل في زمن من أزمان ازدهاره من الحوار الفكري مع الآخر، لكن هذا لم يُسمّ علماً أو استغراباً أو نحو ذلك، ولكنه أخذ طابعَ الحوارات والردود على الآخر، وتبيّان الحق في

(١) انظر: حسن حنفي. «مقدمة في علم الاستغراب». - مرجع سابق. - ص ١٨ -



الديانات الثلاث: اليهودية والنصرانية والإسلام بما في ذلك التعرُّض إلى طبيعة عيسى بن مريم - عليهما السلام - من أنه لم يكن إلا عبداً من عباد الله أرسله الله مبشرًا ونذيرًا، فكان ... عليه السلام - مبشرًا اصطفاه الله تعالى بالرسالة ومعجزات مؤيَّدات لرسالته.

وقد يُقال إنَّ هذا جانبٌ واحدٌ من جوانب الحوار وهو الاستغراب مرتكز على البعد الديني، لاسيما الجانب العقدي منه، وهذا صحيح؛ إذ إنَّ الاستشراق في منطلقاته الأولى كان على هذه الشاكلة من التركيز على الأبعاد الدينية للإسلام معرِّجاً على القرآن الكريم والرسول - عليه الصلاة والسلام - والرسالة والسنَّة والصحابة والفتح الإسلامي.^(١)

والجوانب الأخرى للاستغراب، إذا سمح المصطلح، تمثلت في نقل الحضارات الأخرى وعلمها وفكراها المتماشيين مع الإسلام عن طريق النقل والترجمة عن اللغات الأخرى، بما في ذلك ترجمة أعمال دواوين الخلافة عندما تبيَّن أنَّ الإجراءات الإدارية، بما فيها اللغة، قد نقلت من ذوي التجارب السابقة.

وليس النقل والترجمة شكلاً من أشكال الاستغراب الواضح، ولكنها تُسهم من دون شك، في تلقي الأفكار ثم

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. نقد الفكر الاستشرافي: الإسلام - القرآن الكريم - الرسالة. - مرجع سابق. - ص ٢٨٠.



معرفتها من خلال ما ينقل من نتاج القوم العلمي والأدبي والفنى.

وليس الاستغراب أو غريلوجيا هو التعامل مع الآخر بالمنظلق نفسه الذي تعامل فيه الآخر مع المسلمين، ذلك أنَّ منظلات المسلمين نفسها تمنع من ذلك، يُقال هذا ردًا على من قال هذا، إذ إننا مطالبون بالعدل مع الآخر حتى أولئك الذين بيتنا وبينهم عداوة وشنان.

ومهما كان التوجُّه نحو الاستغراب فإنَّ المطلوب دائمًا تجُّب الإثارة واللجوء إلى الطرح الإعلامي السريع في قضايا عميقية جدًّا تحتاج إلى بحث علمي جاد، بعيد تماماً عن القفز إلى التائج، ناهيك عن وضع التائج قبل المقدّمات. ذلك أننا مطالبون بالقسط والعدل مع جميع من نتعامل معهم، والعدل أقرب إلى التقوى، **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوَّمِينَ لِلَّهِ شَهِدَةَ إِلَيْكُمْ وَلَا يَجْرِيَنَّكُمْ شَكَّانَ قَوْمٌ عَلَىٰ أَلَا تَعْدِلُوا أَعْدَلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَأَنَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ حَسِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾** [المائدة: ٨].

ولا يلغى هذا الاستمرار في إيجاد مثل هذا العلم الذي يكشف الآخر كشفاً موضوعياً مبنياً على التحليل العلمي والثقافي والاجتماعي والأنثروبولوجي والإثنوجرافي والسياسي والاقتصادي، وذلك للوصول إلى رؤية واضحة نحو التعامل مع هذا الآخر.



ويمكن قبول الاستغراب من هذا المنطلق؛ سعيًا إلى فهم

الآخر فهمًا مباشرًا من أجل التعامل معه تعاملًا يعود نفعه علينا نحن مباشرة بالدرجة الأولى، ثم يعود نفعه عليه بالدرجة الثانية إذا كان لهذا الأمر درجات! وهذا ما يسعى إليه المسلمون في سيل التعامل مع ما حولهم ومع مَنْ حولهم، فلم يعودوا في معزل عن العالم ولم يَعُد العالَم في معزل عنهم.^(١)

وعليه يمكن أن يُنظر إلى الاستغراب على أنه: «الوجه الآخر والمُقابل»، بل والنقيض من «الاستشراق»، فإذا كان الاستشراق هو رؤية الأنّا (الشرق) من خلال الآخر (الغرب)، يهدف «علم الاستغراب» إذن إلى فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنّا والآخر. والجدل بين مرَكِب النقص عند الأنّا ومرَكِب العظمة عند الآخر^(٢). ويحتاج هذا إلى ما يحتاجه من ترجمته على الواقع العلمي والفكري.

(٢) السماحة

ظهر سنة ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م كتاب عن التسامح بين شرق وغرب: دراسات في النقاش والقبول بالآخر وترجمة إبراهيم العريس.^(٣) وهو خمس مقالات على النحو الآتي:

(١) انظر: مازن مطبقاني. الغرب من الداخل: دراسة للظواهر الاجتماعية. - أبها: نادي أبها الأدبي، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م. - ص ١١٥.

(٢) انظر: حسن حفني. مقدمة في علم الاستغراب. - مرجع سابق. - ص ٢٣.

(٣) انظر: سمير الخليل، وأخرون. التسامح بين شرق وغرب: دراسات في النقاش والقبول بالآخر/ ترجمة إبراهيم العريس. - بيروت: دار الساقى، سنة ١٤١٢م / ١٩٩٢هـ. - ص ١٢٨.



- التسامُح في اللغة العربية لسمير الخليل.
- التسامُح كمثال أخلاقي لبيتر ب. نيكولسون.
- التسامُح والحق في الحرية لتوomas بالمدوين.
- التسامُح والمسؤولية الفكرية لكارل بوير.
- منابع التسامُح لألفريد ج. آير.

يأتي هذا الكتاب في مسيرة الاستغراب التي جرى الحديث عنها في الوقفة السابقة، إذ إنه صدر عن سلسلة الفكر الغربي الحديث، إلا أنَّ مقالاته الخمس المذكورة أعلاه لم ترُكز على الفكر الغربي الحديث، حيث يتحدث المؤلفون عن الفكر الغربي القديم تمهدًا للحديث.

الذي يطُلُّ على مثل هذه الأطروحتات يستطيع الربط المقارن بين ثقافته وثقافة الآخر. إذ الملاحظ أنَّ طرح التسامُح من منطلق غربي يجعل من موروث الماضي الغربي معوقًا لمفهوم التسامُح، بل إنه انطلق من مفهوم «الإباحية» مفهومًا جديداً أو دخيلاً للتسامُح، رغم أنَّ بعض المؤلفين يحذرُ من الانطلاق غير المسؤول باسم التسامُح، ويشددُ على بقاء قدر من الرقابة الدينية والاجتماعية، بل والسياسية والسيادية المتسامحة على بعض المفهومات التي تعكس على السلوكيات العامة والخاصة باسم التسامُح، ومن ذلك الحفاظ على ما تعارف عليه المسلمون من الضرورات الخمس، وهي حفظ الدين والنفس والمال والعقل والنسل.



ويتبَّع أنَّ لهجة المقالات الثلاث الأخيرة ركَّزت على الرغبة في بُثٍ روح التسامُح من خلال الانفراط من عقد الدين الذي يدين به الكتاب الأربعُة؛ لاتهامهم رجال الدين بالتأثير السلبي على مفهوم التسامُح.

ويغوص المؤلِّفون الأربعُة كل حسب أسلوبه وطريقته في هذا المجال ليقدّموا رؤية شخصية للتسامُح جديرة بالتوقف عندها؛ لمعرفة مدى محدودية عقل ابن آدم في النظر إلى القضايا الكبرى التي تحكم الوجود البشري في تعامله مع ذاته ومع خالقه، بما في ذلك محاولات فولتير وميل ولوك حول التسامُح والحرية الطبيعية، ومدى الارتباط بين التسامُح والحرية وحدود التسامُح بل ومفهوم التسامُح بناءً على معطيات ثقافية .^(١)

وعليه فإنَّ هناك مصطلحاتٍ متشابهةً أو مشتركةً بين ثقافات عدَّة، لكنها تختلف باختلاف الثقافة نفسها عن غيرها. ومن ذلك مصطلحات التسامُح والحرّيَّة والأصولية والإرهاب،^(٢) التي لم يُستقرَّ على مفهوماتها وإنْ كثُر تردیدها. ومن ذلك أنَّ مفهوم التسامُح في الإسلام أكثر من مفهومه في الثقافات

(١) انظر: سمير الخليل، وأخرون. التسامُح بين شرق وغرب. - المرجع السابق. - ص ١٢٨.

(٢) انظر: أسامة خليل. الإسلام والأصولية التاريخية: الأصولية بمعنى آخر. - باريس: مركز الدراسات العربي الأوروبي، ٢٠٠٠م. - ص ٢٠٨.



الأخرى،^(١) مما يعني أنَّ استخدام المصطلح «التسامُح» في الفكر العربي فيه إجحاف بالمفهوم الأعمق من مجرد التسامُح إلى السماحة المتمثلة في حسن الخلق، كما يحقق الإمام أبو حامد الغزالى.^(٢) ولن تتأتى معرفة الفروقات إلا بمعرفة ثقافة الآخر.^(٣) ومن هنا يأتي المصطلح الاستغراب الذي يسعى إلى معرفة ما لدى الغرب والتعريف به.

ولم ينل هذا المصطلح «الاستغراب» العناية التي يستحقها، وظلَّ جانبُ معرفة الآخر قاصراً لدى جمع من المثقفين الذين يرغبون في توسيع آفاقهم وفتح مجالات للحوار بين الثقافات.

(٣) نقد الاستغراب

صدر كتاب متميّز في طرحه عن الاستشراق يقوم على حوار مباشر مع ثلاثة من المستشرقين ومن في حكمهم من التغريبيين العرب والمسلمين الذين أقاموا في الغرب وتبثروا الفكر الاستشرافي حول الإسلام والمسلمين.

كما أنهم يدافعون عن أطروحتهم عن الشرق والإسلام

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. إشكالية المصطلح في الفكر العربي. - الرياض: المؤلف، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. - ص ٩٩ - ٩٩.

(٢) انظر: أبو حامد الغزالى. إحياء علوم الدين. - ٣ مجل. - بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٢هـ / ١٤٠٢م. - ٣: ٧٠.

(٣) انظر: ديفيد لانداو. الأصولية اليهودية: العقيدة والقوة/ ترجمة: مجدي عبدالكريم. - القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م. - ٤١٦ ص.



مما يعني أنهم يصدرون عن اقتناع، ويأنفون من الرغبة في إقناعهم من محاور مسلم. رغم أنهم يحاولون التهرب من مصطلح الاستشراق الذي اكتسب مع الوقت سمعةً غيرَ حسنة، كما مرّ بيانه. وذلك في حوار ممتنع مع عدد من المستشرقين أمثال جاك بييرك ومكسيم رومنسون وروجيه أرنالديز وأندريله ميكيل وجان بول شارنيه وهو جوز وديجو وغيرهم

واسم هذا الكتاب «من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: حوار الاستشراق» لمؤلفه أحمد الشيخ، وصدر عن المركز العربي للدراسات الغربية الذي أنشأه المؤلف بالقاهرة مع أخيه صلاح.^(١)

ومن هذا المنطلق يكون العرب قد بدأوا يطرقون أبواب الاستغراب بعد دعوات عدّة لدراسة الغرب في ثقافته وعاداته وتقاليده وأدابه، ومنها دعوة حسن حنفي في كتابه الضخم السابق ذكره، الذي سماه «مقدمة في علم الاستغراب».^(٢)

ولا بدّ من التفريق في المصطلح بين الاستغراب والتغريب، إذ إنّ الاستغراب يعني دراسات علمية وفكريّة وثقافية للغرب، أما التغريب فإنما هو تقمّص الفكر الغربي وأدابه على حساب

(١) انظر: أحمد الشيخ. من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: حوار الاستشراق. - مرجع سابق. - ص ٢٤٠.

(٢) انظر: حسن حنفي. مقدمة في علم الاستغراب. مرجع سابق. - ص ٩١.



الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية والعربية وما نتاج عنها من أداب وفنون واجتماع واقتصاد وسياسة من منطلقات تختلف عن منطلقات الاستشراق والتغريب. فمنطلقات العرب والمسلمين في دراسة الغرب ونقده تقوم على الطرح الموضوعي الذي يبيّن الإيجابيات كما يُظهر السلبيات، ولا يعتمد التعميم أو الجنائية على الحضارة الغربية، فهذا منهج لا يجوز.

ومن هذا المنطلق فإنَّ الاستغراب يدرس الدين السائد في الغرب كذلك، وهو هنا النصرانية أولاً ثم اليهودية، ويأتي الإسلام ليطغى على اليهودية من حيث العدد، وقد يطغى على النصرانية في المستقبل غير البعيد، بحسب إحصائيات السكان التي توحّي بأفول الغرب ديموغرافياً^(١) واستمرار هجرة المسلمين إلى الغرب واستمرار دخول الغربيين في الإسلام. وليس المسلمين بحاجة إلى الاستغراب في دراسة الإسلام!

ولا تعني دراسة هذه الأديان، أو الدينين بتغيير أدق، أنْ نترك نظرتنا نحن المسلمين إليهما من خلال ما نراه في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

على أنَّ هناك أموراً لها دلالاتٍ في الكتاب الكريم والسنّة

(١) انظر: باتريك ج. بوكانن. موت الغرب: أثر شيخوخة السكان وموتهم وغزوات المهاجرين على الغرب / نقله إلى العربية محمد محمود التوبه، راجعه: محمد بن حامد الأحرمي -. الرياض: مكتبة العيikan، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م . ص ٥٢٩.

النبوية يمكن الانطلاق منها في الدراسات، وحيث إنها من حيث تفسيرها تدخل في جانب التحليل بعد اليقين بالكتاب والسنة، فإنَّ هناك مجالاً رحباً للدراسة.

وحيث إننا قد مررنا بنهاية قرن ميلادي ودخول قرن جديد هو بداية للقرن الحادى والعشرين الميلادى، فإنه من الممكن طرح سؤال حول توقيت ميلاد المسيح عيسى بن مريم - عليهما السلام - على سبيل المثال الذى يظهر جلياً من سرد قصته فى القرآن الكريم أنه ولد قريباً، بل في مكان تنبت فيه التخيل: «وَهُرِئَ إِلَيْكَ بِمُجَانِعِ النَّخْلَةِ سُقُطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا» [الآية ٢٥ من سورة مريم]، وأنه - عليه السلام - قد ولد في موسم جني الرطب وليس التمر، وهذا يعني أنه قد ولد في المدة التي يكون فيها طلع التخيل رطباً قابلاً للجني أو الخراف، وهي غالباً من نهاية أغسطس إلى نهاية أكتوبر، بحسب المواقع، مما يوحى بأنَّ ولادته - عليه السلام - كانت في الصيف أو في أواخر الصيف وأوائل الخريف، وليس في الشتاء، كما هو الحال الآن عند الاحتفال بعيد ميلاد المسيح الذي يصادف عند غالبية الطوائف النصرانية ١٢/٢٥ من كل سنة ميلادية، أي بعد دخول فصل الشتاء رسمياً بثلاثة أيام. وهو عند بعض الطوائف الأخرى بعد ذلك بحوالي أسبوع.

ومثل هذا الافتراض يحتاج إلى دراسة علمية معتمدة سبق طرحها علمياً، ولكنها لم تلق الرواج المطلوب، لأنها ستغير



مفاهيم حول مولد المسيح عيسى بن مریم - عليهما السلام -، من حيث المكان والزمان، علمًا أنَّ البابا يوحنا بولس الثاني قد اعترف في ٨/٧/١٤١٤هـ الموافق ٢٢/١٢/١٩٩٣م بأنَّ هذا اليوم الذي يُرْعَم فيه أَنَّ عيسى بن مریم - عليهما السلام - قد ولد يصادف عيًّا وثنيًّا كان الوثنيون يحتفلون فيه بعيد ميلاد الشمس، التي لا تظهر عندهم في ذلك اليوم! ^(١)

كما أَنَّ الفاتيكان قد أقرَّ كتابًا في شعبان من سنة ١٤٢٣هـ الموافق أكتوبر من سنة ٢٠٠٢م - كما تذكر زينب عبدالعزيز - عن الأكاذيب الواردة في الأنجليل، ومنها أَنَّ «يسوع (عليه الصلاة والسلام) لم يولد في ٢٥ ديسمبر، وأنه كان (عليه السلام) قصير القامة». ^(٢) وقد أَكَّد ذلك صحفيان كاثوليكيان في كتاب طبع في إيطاليا، وقدَّم له الأسقف جيفانزا كرو رافاري عضو اللجنة البابوية للممتلكات الثقافية للكنيسة، وزير الثقافة في الفاتيكان. ^(٣)

ومثل هذا يمكن أَنْ يقال عن المعتقد الذي قامت عليه الثقافة الغربية، مهما ظهرت فيها من نظرات تخلَّت عن العقيدة، ولكنها لم تتمكن من التنصُّل عن البُعد الديني وكونه قد صبغ

(١) انظر: زينب عبدالعزيز. حرب صليبية بكل المقاييس. - المرجع السابق. - ص ١١٠.

(٢) انظر: زينب عبدالعزيز. حرب صليبية بكل المقاييس. - المرجع السابق. - ص ١١٢.

(٣) انظر: زينب عبدالعزيز. حرب صليبية بكل المقاييس. - المرجع السابق. - ص ١١٢.



الحياة العامة والخاصة ومنها الحياة السياسية بصبغته الكنسية، مهما حاربته في الظاهر.^(١) ومثل هذه الموضوعات هي التي يمكن أن يُنظر إليها على أنها موضوعات الاستغراب، مع توقيد قوي على الدراسة الموضوعية العلمية ذات الإمكانيّة في القبول في الوقت الراهن.

(٤) الموضوع المكرر

وفي كتاب أحمد الشیخ «حوار الاستشراق» يظهر طرح قوی مع مستشرقین فرنسيین، حول دراستهم للشرق عموماً وللمجتمع المسلم المعاصر بخاصة.

ويبدو أنَّ المحاور أحمد الشیخ قد واجه هؤلاء بقضايا مهمَّة حول موقفهم من الشرق وموقف الشرق منهم، وهو ما يمكن أن يكون نواة للاستغراب، بما في ذلك نقد الاستشراق نفسه الذي لا يزال قائماً، رغم رغبة المستشرقين أنفسهم في التخلُّص من المصطلح، كما مرَّ بيانه في مطلع محدَّد الاستشراق، لما اكتسب من مفهوم سلبي (سلبي) مشئوم لدى العرب والمسلمين والمستشرقين أنفسهم.^(٢)

(١) انظر: يوسف الحسن. البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي - الصهيوني: دراسة في الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية. - مرجع سابق. - ص ٢٢٢. وانظر أيضًا: محمد السمك. الدين في القرار الأمريكي. - بيروت: دار الفتاوى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. - ص ١١٠.

(٢) انظر: أحمد الشیخ. من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: حوار الاستشراق. - مرجع سابق . . . - ص ٢٤٠.



وفي ضوء نقد الاستشراق ومن خلال هذا الحوار المهم استطاع المحاور أحمد الشيخ أن يخرج بنتائج يؤمل منه أن يجعلها محتوىً لعمل قادم؛ لأنه لم يضمّنها نتيجة نهائية في كتابه، وإنْ كانت مثبتة في مقابلاته مع عدد لا بأس به من المستشرقين وبعض العرب التغريبيين المتبنّين للفكر الاستشرافي أو الفكر التغريبي في النّظرة للإسلام دينًا وعقيدةً وفكرةً وتمثلاً. وما استطاع المحاور الخروج به هو نواة لإمكانية بناء نظرية حول موقف المستشرق نفسه من الدراسات التي يقوم بها.

وبعيداً عن التعميم الذي أتّسم به بعض نقاد الاستشراق، هناك من المستشرقين من يحقّق ويقرّ أنَّ بعضهم ينظر إلى دراسة الشرق عموماً والإسلام بخاصة على أنه مادةً مكرورة. ويبدو أنَّ هذه جرأةً في الطرح واعتراف غير مسبوق، إذ ربما يُعدُّ من الأسباب التي أدّت إلى ما وصلت إليه الدراسات الاستشرافية، ليس كلها ولكن معظمها، وبالتالي يمكن القول إنَّ نقد الاستشراق هو نوعٌ من الاستغراب بالمفهوم العلمي للمصطلح، وإنْ كان لم يتبلور بعد.

وهل بالإمكان القول إنَّ نقد الاستشراق قام وبالتالي كذلك على الكره للمستشرقين ودراساتهم؟ هذا الموضوع يحتاج إلى تفصيل يطول، ولكنه يعود بنا إلى دوافع نقد الاستشراق، فإنَّ كان من الدوافع الغيرة على الدين والمجتمع المسلم، فإنَّ عدم الولاء لهذه الدراسات وارد ومطلوب.



ولم تكن الغيرة على الدين هي المسيطرة بالضرورة على نقد الاستشراق، بل إنَّ هناك دارسين علمانيين، أو هكذا يقال عنهم، نقدوا الاستشراق. ومن هؤلاء من نقله رِبِّما لأنَّ الاستشراق تعاطف مع الجانب الديني في المجتمع المسلم، وكان هذا الفريق يوَدُّ من المستشرق أنْ يتتجاهل الدين في المجتمع المدروس، في الوقت الذي يصرُّح فيه المستشرقون أنفسهم بأنه لا يمكن إغفال البُعد الديني في المجتمع المسلم المعاصر، ناهيك عن المجتمعات المسلمة السالفة.

وفي المباحثات التي تضمَّنها الكتاب «حوار الاستشراق» أطروحتُ جيِّدة حول هذا المفهوم، لا يملك المتابع لها أنْ يُخفي إعجابه بها، وإنْ كان قد لا يتفق معها دائمًا، ولكنه الحوار الهادئ العميق الذي يجذب القارئ إليه ويتبع له هامشًا كبيرًا للتأمُّل والتفكير. ولعلَّه لا يخفى على القارئ استمرار المتعة بهذا الطرح، والإفادة منه في ملاحقة ظاهرة الاستشراق؛ للرغبة في الاستزادة من قراءة ما يكتب حوله من نقد له أو عليه.

وهذا الكتاب في غاية الأهمية لمن يعنيهم نقدُ الاستشراق والدعوة إلى الردود عليه، فيما بدأ يُطرح الآن على أنه دعوةٌ إلى قيام علم الاستغراب أو ظاهرة، الاستغراب التي يُرجى ألا تكون مجرد ردًّ فعل لظاهرة الاستشراق، والتي تكونت منذ أكثر من سبع مئة سنة على أقلِّ تقدير وتعرَّضت لتقلبات عديدة، بحسب ما تعرَّض له المجتمع المسلم من تقلبات، بدءًا بالحروب

الصلبية ثم الاحتلال ثم التنصير، ثم الآن عودة الحروب الصليبية في أوروبا بالتطهير العرقي والعقدي أولاً، مما يعني استمرار الاستشراق مهما حاول أقطابه أن ينسخوا من المصطلح، ويعني ذلك فهم الغرب ومنطليقاته في حملاته المتكررة على الشرق، ليس على مستوى الحروب فحسب، ولكن على مستويات أخرى ثقافية وسياسية واقتصادية.

ويدخل في المستويات الثقافية المستوى الإعلامي القوي في تأثيره. وهذا ما يمكن أن يطلق عليه مصطلح الاستغراب الذي يحتاج منا إلى المزيد من التأمل والاعتبار.



المحلّد الحادي عشر

التغريب

من محددات العلاقة بين الشرق والغرب مما يُعدُّ امتداداً لمحدد سابق حول الحقوق سعى الغرب إلى تغريب المسلمين وغير المسلمين. وهناك وقفات مهمة حول توكيد الغرب على تبني الآخرين أفكاره ونظرياته إلى الحياة والإنسان، فليس من المناسب أن ينصب اللوم كله على الغرب في دعوته هذه، لأنَّه يعبر عن موقف يقوم على أنه يرى مصلحته في أنْ يقود العالم وبهيمن عليه، ولن يقود هذا العالم إنْ لم يتمكَّن من صهر مفهومات العالم في بوتقة غربية، ذلك أنَّ في المفهومات الأخرى من الرغبة في الاستقلالية والتميُّز والخصوصية الثقافية ما يحول دون تحقيق هذه الرغبة.^(١)

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. السعوديون والخصوصية الدافعة: وقفات مع مظاهر التميُّز في زمن العولمة. - الرياض: مكتبة العيikan، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م. - ص ٣١٢.

لا تزال كثير من الأمم الشرقية كالصينية واليابانية والإسلامية تتوجّس من التبعية الثقافية للغرب، رغم أنَّ أعداداً من أبنائها نهلوها من المعرفة الغربية وعادوا إلى بلادهم يُسهمون في بنائتها مع المحذر الشديد من التأثُّر بالأفكار التي قد يجلبونها معهم. وقد سبق القول إنَّ موريس بوكياي في كتابه المشهور «التوراة والإنجيل والقرآن والعلم» قد حذَّر من الواقع في هذا التأثُّر، وركَّز على أولئك الطلبة الذين لا يدرسون العلوم فحسب، بل يدرسون الثقافة ويعيشون مجتمعاً قام على التفرقة بين العلم والدين،^(١)

تؤكِّد أمال قرامي في معرض حديثها عن أسباب ارتذاد بعض الطلبة المسلمين الذين يتعرّضون للتنصير وللأفكار التي فصلت بين العلم والدين بقولها: «ولا مناص من القول إنَّبعثات الدراسية إلى الخارج يسَّرت عملية اندماج المسلم في المدينة الغربية، ومكتنته من الاطلاع على ديانات مختلفة وحضارات متعددة، وأكسبته شيئاً من أساليب الحياة الغربية، ومن الاتِّجاه الغربي في التفكير والعلم والسلوك وما إلى ذلك. ومن ثمة صار «الارتذاد» ممكناً، خاصةً إذا علمنا أنَّ المبشِّرين كانوا حريصين على تتبع أحوال هؤلاء الطلبة، واستغلال حالة

(١) انظر: موريس بوكياي. التوراة والإنجيل والقرآن والعلم. بالإنجليزية..
مرجع سابق. - ص ٢٥٣.



الوحدة والعز التي يعاني منها أكثرهم، لفائدة تحقيق أغراض التبشير»^(١).

أدى هذا الجو التغريبي إلى زعم الغرب أنه لم يتطور ويصل إلى ما وصل إليه إلا عندما تخلى عن الدين، وبالتالي لم يتأخر المسلمون و يصلون إلى ما وصلوا إليه من التخلف والتراجُع الحضاري إلا بإصرارهم على التمسك بالإسلام.^(٢)

هذا المنطق العلماني الغربي يتنافى مع المنطق التنصيري الذي يتّفق معه في الجزء الثاني من هذا الادعاء، وهو أنَّ المسلمين يتقهرون بسبب تمسُّكهم بدينهم، بينما يتقدّم الغرب عند المنصّرين بسبب تمسُّكه بنصرانيه. إلا أنَّ هذه الجدلية التنصيرية واهية لدى المسلمين، لما يرونه من واقع عزل الدين عن الحياة.

تكمُن المخطورة في جدلية العلمانية الغربية التي تصرُّ على إبعاد الدين وأنه سبب مباشر في العدُّ من التقدُّم والحضارة والنهضة والتنمية والتطور، وغيرها من المصطلحات التي تسعى إليها كل الأمم، بل وتدعىها بعض الأمم.^(٣)

(١) انظر: آمال قرامي. قضية الردة في الفكر الإسلامي الحديث. - تونس: دار الجنوب للنشر، ١٩٩٦ م. - ص ٤٩.

(٢) انظر: رضوان السيد. مسألة الحضارة والعلاقة بين الحضارات لدى المثقفين في الأزمة الحديثة. - أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠٠٣ م. - ص ٩. (سلسلة: دراسات إستراتيجية: ٨٩).

(٣) انظر في مسألة الإسلام والعلمانية الفصل الحادي عشر من: عادل ضاهر. الأسس الفلسفية للعلمانية. - ط ٢. - بيروت: دار الساقى، ١٩٩٨ م. - ص ٣٢٧ - ٣٥٩.



وهذا شكلٌ من أشكال التغريب الفكري الذي يُعدُّ أخطرَ بكثيرٍ من التغريب الظاهري في الملبس والمأكل، وإنْ كان هذا في النهاية يُجرِّ إلى ذاك وأيّ سلوك يأتي على حساب السلوك الأصيل، ويكون مستعاراً من ثقافة أخرى يتبع عنه في النهاية تجاهُل الأصالة واللجوء إلى الواقع في السلوك والأفكار.

يقول مالك بن نبي في شروط النهضة: «لكلَّ حضارة متجاجتها التي تتولَّد عنها، ولكن لا يمكن صنع حضارة بمجرد تبني متجاجات حضارة ما، فشراء ما تتجه الحضارة الغربية من قبل كافَّة دول العالم لم يجعلها تكسب حضارة أو قيمًا، فالحضارة ليست تكديسَ متجاجات، بل هي فكرٌ ومُثُلٌ وقيمٌ، لا بدَّ من كسبها أو إنتاجها». ^(١) ويعلُّق نعمان السامرائي على هذا بقوله: «وهذه قضية غائبة عن «المتغربة»، فمن يشتري متجاجات حضارة أخرى يتحضَّر شكلاً لا حقيقة، وهو لا يزيد عن كونه مستهلكَ حضارة، لا متبعَ حضارة». ^(٢)

ولذا كنا في مسألة التغريب لا نحمل الغرب كلَّ اللوم فإننا نحن نتحمَّل كثيراً من اللوم، عندما نرى بعض بني قومنا وبعض مؤسَّساتنا تبني أفكاراً غربيةً في نظرتها للحياة. قد يعني هذا أنَّ

(١) انظر: مالك بن نبي. شروط النهضة. - دمشق: دار الفكر، ١٩٧٩ م. - ص ٤٢.

(٢) انظر: نعمان عبدالرزاق السامرائي. نحن والصديق المدود: دراسة تحليلية للفكر الغربي و موقفه من الإسلام. - مرجع سابق. - ص ٩٨ - ٩٩.



المسلمين أنفسهم لم يوقفوا في تقديم الإسلام تقديمًا حضاريًّا لا يتنافي مع معطيات الحضارة. ألا ترون أنَّ لدينا بعضًا من «المجتهدين» الذين يتوقفون عند كل منجز حضاري، وربما رفضوه في البداية ثم عادوا فقبلوه وصاروا هم السباقين إلى الإقبال عليه؟ وذلك من منطلق أصولي خاطئ يقوم على فكرة أنَّ الأصل في الأشياء الممنوع! وألا ترون أننا نشهد وقفاتٍ طويلةً حول بعض الممارسات الحضارية التي لم نعهد لها من قبل فنختلف عندها من مبيع ومن محروم لها، لما يتربَّ عليها من مفاسد، مع أنَّ الأصل عندنا في الأشياء – لا سيَّما المعاملات – الإباحة؟

لعل هذا المنحى وأمثلة كثيرةٌ مثله سبُّ من أسباب عزوف بعض أبنائنا ثم مؤسَّساتنا عن الأصالة والتأصيل والجنوح إلى الغرب في النظر إلى معطيات الحضارة، وبالتالي الوقوع في شرك التغريب والمحدثة بمفهومها الفكري الذي يمتدُّ من المرء نفسه إلى المجتمع من خلال وقوف هذا الشخص أو ذاك في وجه التأصيل والنظر إلى أصحابه على أنهم متخلّفون، حتى أصبحَ مصطلح الرجعيَّة من تلك المصطلحات التي يقصد بها الرجوع إلى الأصالة والتأصيل، ولكن من منظور سلبي يطلب الحذر منه وتجاوزه. ^(١)

(١) انظر: محمد سليم قلاله. التغريب في الفكر والسياسة والاقتصاد. - دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م. - ص ٢٤٠.



حملات التغريب ليست عفوية، بل هي مقصودة. وهناك شواهد من أقوال ومارسات تؤيد رغبة الغرب في تغريب العالم، هذا لأنَّ الثقافة الغربية ليست بالضرورة مقبولةً لدى أصحاب الثقافات الأخرى^(١) لأنها تتصادم مع الأعراف والأعراف والتقاليد والعادات والمكتسبات الثقافية الأخرى، يغضُّ النظر عن مصدر هذه الثقافات.

مع هذا فقد وُجد في المجتمعات غير الغربية، ومنها المجتمعات الإسلامية، ومن اصطلاحنا على تسميتهم بالغربيين، تلك الفئة التي أسهمت في التأثير على العلاقة بين الشرق والغرب بتبنيها الأفكار الغربية، ودعوتها إليها. هؤلاء الذين أصبحوا مجال استغراب من الغربيين أنفسهم، إذ لم يتوقعوا منهم أن يكونوا بهذه الحدة والقوة والاندفاعة في الدعوة إلى تبني الأفكار الغربية، بحيث أصبحوا غربيين أكثر من الغربيين أنفسهم.

يمكن أن تكون فكرة الدعوة إلى التغريب فكرةً مقبولةً، لو لم يقصد من ورائها أن تحل محلَّ المبادئ والقيم والمُثل المستمدَّة من الثقافة القائمة على الشرع، فإنَّ رفضَ التغريب موقفٌ مبرَّر له ما يسوِّغه، عندما تكرَّر الدعوة للرجوع إلى الأصل والدعوة إليه وإلى استفادة الآخرين منه.

(١) انظر: أحمد عبدالوهاب. التغريب: طوفان من الغرب. - القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ١٤١١هـ/١٩٩٠م. - ص ٤٨.



هناك نماذج متعددة لأشكال التغريب تعود في جذورها إلى نهايات الخلافة العثمانية،^(١) وتعرج على عصر النهضة العربية التي انطلقت من كل من مصر والشام، لا سيما لبنان بشكل أوضح بالنسبة للشام، وربطها بالنهضة المصرية. وهناك أسماء معروفة لها جهودها في هذا المسار وكانت لها إسهاماتٍ الفكرية في مجالات الفكر والسياسة والثقافة والأدب. ولا يسمح المجال في هذه الوقفة للتعرُّض لبعض الأسماء اللامعة في الدعوة إلى التغريب، ومن تعهم مما يدخل في مفهوم التلمذة عليهم. وقد يبزُّ التلميذ أستاذه. مع العلم أنَّ المجال هنا هو طرح الأفكار من دون الغوص في التفصيلات، إلا إذا دعا المقام لذلك.

تقف الدعوة إلى التغريب حائلاً من عوائق قيام علاقة قوية بين الشرق والغرب. ويمكن أنْ يخفَّ هذا الحال إذا ما خفت الدعوة إلى التغريب من بعض الشرقيين أنفسهم. ويمكن أنْ يتم ذلك إذا ما تولَّد الاقتناع التامُ القويُّ بالمنبع الذي يملأ الفراغ الفكري عند بعض الشرقيين. ولهذا الهدف خطوات طويلة المدى، ولكنها دائمًا تبدأ بالخطوة الأولى التي يظهر أنها قد بدأت.

(١) انظر: التغريب. - ص ١٦٦ - ١٧١. - في: نعمان عبدالرزاق السامرائي. نحن والصديق اللدود: دراسة تحليلية للفكر الغربي و موقفه من الإسلام. - مرجع سابق. - ص ١٨٥.



المحلّث الثاني عشر

الاغتراب

من محددات العلاقة بين المسلمين والغرب وجود جاليات إسلامية مغتربة في المجتمعات الغربية، والمعلوم أنَّ هجرات المسلمين للغرب قديمة جدًا، إلى درجة أنَّ الدكتورة إيفون حداد أستاذة التاريخ الإسلامي بجامعة ماساشيوستس بالولايات المتحدة الأمريكية ترجع وجود المسلمين في أمريكا إلى ما قبل اكتشافها على يدي كريستوفر كولومبس.^(١)

تورد هذا الرأي في معرض حديثها عن الوجود الإسلامي في أمريكا. ومهما يكن من أمر فالوجود الإسلامي في أوروبا وأمريكا قديم بدأ بالبعثات الدبلوماسية وبالهجرات التي أرادت اكتشاف الآخر والدعوة إلى الإسلام، أو سعت إلى تحسين

(١) انظر: إيفون يزبك حداد/ محررة. المسلمين في أمريكا. - القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م. - ص ٣٠٣.

وضعها الاقتصادي، أو هربت من ظروف سياسية لم تكن تسمح لها بالاستمرار في مواطنها.^(١) وكانت هناك مجتمعات صغيرة جداً حاولت من خلالها الحفاظ على هويتها الإسلامية، لا سيما عندما كبر الأولاد بنين وبنات، فأقامت منتديات سمّتها مساجد، وإن لم تكن بالضرورة مساجد، بل هي مصليات يذكر فيها اسم الله وتقام فيها الصلاة والدروس الدينية واللغوية والمحاضرات واللقاءات والمناسبات الاجتماعية.^(٢)

ثم توالي الوجود الإسلامي في القرن التاسع عشر الميلادي، الثالث عشر والرابع عشر الهجرين، بهجرات جديدة من شوام ومصريين وهنود، بالإضافة إلى وجود المسلمين الأفارقة الذين جلبو إلى أوروبا وأمريكا عبيداً ليعملوا في المزارع

(١) انظر: المؤثر الثالث: الوجود الإسلامي. - ص ٧٥ - ٩٥. - في: علي بن إبراهيم النملة. مجالات التأثير والتاثير بين الثقافات: المثقافة بين شرق وغرب. - مرجع سابق. - ص ١٧٩.

(٢) انظر في الوجود الإسلامي في أمريكا: محمد عبدة يمانى. المسلمين السود في أمريكا: القصة كاملة. - جدة: المؤلف، ١٤٢٧هـ. - ص ٤١٤، وانظر أيضاً: عبدالرزاق بن حمود الزهراني. المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية: دراسة ميدانية. - الدمام: دار الذخائر، ١٤٢١هـ/٢٠٠٣م. - ص ٢٢٢. وانظر كذلك: أحمد يونس. المسلمين الأمريكيون: أقسام أن أقول الحق/ ترجمة نشأت جعفر. - القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. - ص ٦٤. وانظر كذلك: التقرير الذي نشرته نشرة أصدار بعنوان: أوسع دراسة عن الوجود الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية: صيرورة المستقبل من «أمة الإسلام» إلى مرحلة «الإخوان المسلمين» إلى عصر المؤسسات والجامعات». - أصدار. - مرجع سابق. - ص ١ - ٨.

والحقول، وغيّرت أسماؤهم ومن ثم هُويّاتهم وجرى تنصيرهم، وبالتالي سعي إلى صهرهم بالثقافة الغربية القائمة على الخلفية النصرانية ولا شك، ثم سعوا إلى العودة إلى جذورهم، كما جسدتها رواية أليكس هيلي: الجنود. ^(١)

ثم توالت الهجرات أيضاً في القرن العشرين الميلادي، الرابع عشر الهجري، وانصهر كثير من المسلمين في المجتمع الغربي، ولكنه الانهيار الذي لم يصل إلى إنكار الهوية الإسلامية، فزادت المساجد والمصلّيات والمراكم الإسلامية، وأقيمت الجمعيات المهنية الإسلامية ووصلت إلى قيام تنظيمات ثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية وإعلامية. وأضحت المسلمين بعض صوت في أوروبا وأمريكا، وأضحت لهم شأن ودخلوا في اللعبة السياسية.

تبئه أهل البلاد هناك لوجودهم وحسبوا لهم حساباً، رغم أن الإعلام لم يوفق في إعطاء صورة صادقة للإسلام والمسلمين المحليين وغيرهم من مسلمي العالم. وأضحت الإعلام يشير بأصابع الاتهام للمسلمين عند أي عمل تخريبي إرهابي في العالم، ^(٢) على ما سيأتي الحديث عنه في وقفة لاحقة.

(١) انظر: أليكس هالي. الجنود: كونتا كيتي/ أعدّها بتصرف عن القصة الكاملة خليل حتّى تدرُس. - القاهرة: مطبعة مصر، ١٩٩١م. - ص ١٧٦.
والنسخة الأصلية باللغة الإنجليزية أكثر وضوحاً.

(٢) انظر: فواز جرجس. أمريكا والإسلام السياسي. - مرجع سابق. - ص ٣٦٢.



لكنَّ وجود المختربين المسلمين في المجتمع الغربي لا يخلو من تأثير مهما ضعف، إلا أنه يُعدُّ شكلاً مهماً من أشكال الحوار بين المسلمين والغرب، ومحدداً حيوياً وفاعلاً من محددات العلاقة بين المسلمين والغرب، ذلك أنَّ المسلمين الموجودين في الغرب رسموا صورة أوضح من الصورة التي قدمها الاستشراق والإعلام، لأنهم عملوا هناك وكانت لهم علاقات اجتماعية، كما أنهم استخدموها في الوقت نفسه أسلوب الدعوة بالحكمة، ومنها القدوة في تطبيق الإسلام بالقدر الذي استطاعوا معه قانونياً التطبيق، بعد أنْ أدركوا أنهم ليسوا في مجتمع مسلم يطبق فيه الإسلام على جميع مناحي الحياة.

ليس المراد هنا إعطاء صورة غير واضحة للجالية المسلمة في الغرب ت نحو منحى الإيجابية في العرض، إذ إنَّ عليها ما عليها من ملحوظات تطرق لها الإعلام الإسلامي في وقفات مختلفة،^(١) وناقشتها ندوات عن الأقليات والجاليات المسلمة، وكتب حولها ما كُتب ويعُكتب.^(٢) ويمكن أنْ يُعدَّ الوجود الدائم

(١) انظر: أحمد موصلي. حقيقة الصراع: الغرب والولايات المتحدة والإسلام السياسي. - (بيروت): عالم ألف ليلة وليلة، ٢٠٠٣م. - ص ٢١٣.

(٢) انظر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي. الأقليات المسلمة في العالم: ظروفها المعاصرة - آلامها - آمالها، (أبحاث وورقان المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في الرياض في الفترة من ١٢ - ١٧ جمادي الأولى ١٤٠٦هـ الموافق ٢٢ - ٢٣ يناير ١٩٨٦م). - ٣ معج. - الرياض: الندوة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م. - ص ١٤٣.

لهذه الحاليات في المجتمعات الغربية مؤشراً من مؤشرات التلاقي بين المسلمين والغرب.

كلّما تمسّك المسلمون المفتربون هناك بإسلامهم قوي هذا المؤشر، لأنّهم بهذا يُعدّون دعاءً بالقدوة، والعكس صحيح، أي كلّما تخلّى المسلمون في الغرب عن هويتهم الإسلامية وسعوا إلى الانغماس التام في الثقافة الغربية فقدوا قدرتهم على التأثير، وبالتالي فقدوا عنصراً من عناصر وجودهم، لأنّ الغربيين لا يتوقعون منهم أنْ يتبنّوا ثقافةً مشكوكاً في صمودها، على حساب ثقافةٍ صمدت مئات السنين وما تزال كذلك، وستظلّ مهما تخلّى بعض أبنائها عنها وهجروها إلى غيرها.

مع تنامي وجود الحاليات المسلمة في الغرب يتناامي الاعتراف بهم في هذه المجتمعات، على أنّهم جزءٌ فاعلٌ منها لهم إسهاماتهم في مسيرة الحياة والتنمية هناك. ويمكن لهم أن يمثلوا الجانب المشرق في النظرة إلى الأشياء في مجتمعات أصبحت تعطّش إلى الفضيلة، بعد أنْ ملت الغواية وأدركت أن الحريةَ مهما تشبت بها الأمم إلا أنها هي ذاتها تحتاج إلى تقييد بالمثل والمبادئ التي تكفل الاستمتاع بها على مستوى الأفراد والجماعات. ^(١)

(١) انظر: في جانب من جوانب الفضيلة، وهو ما يتعلق بشأن المرأة: بكر بن عبد الله أبو زيد. حراسة الفضيلة. - ط٤. - الرياض: دار العاصمة،

.٢٠٠ م/١٤٢١ - ص٢٠٠.

المحدث الثالث عشر

البعثات

من محددات العلاقة بين الشرق والغرب قيام البعثات العربية والإسلامية، ولا يقصد هنا البعثات الدبلوماسية. ولكن المقصود هنا الطلابُ العربُ والمسلمون الذين قدموا إلى أوروبا وأمريكا، وأقاموا فيها إقامة مؤقتة، لغرض واضح ومحدد، وهو تلقي العلم الحديث في الجامعات والمعاهد العليا الغربية.^(١)

وقد مر زمان كان الطلبة الغربيون ينتقلون إلى الشرق الإسلامي يتلقّون العلم الحديث آنذاك. ومع انتقال الحضارة من أيدي المسلمين إلى الغربيين انقلبت الصورة: «إِنْ يَمْسِكُمْ فَرَحْ
فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مَّسْلُمٌ وَتِلْكَ الْأَيْتَمُ نُذَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ» [الآية ١٤٠ من سورة آل عمران].

(١) انظر: المؤثر الثاني البعثات التعليمية. - ص ٥٧ - ٩٥. - في: علي بن إبراهيم النملة. مجالات التأثير والتاثير بين الثقافات: المثقفة بين شرق وغرب. - مرجع سابق. - ص ١٧٩.

ليس المقام هنا بقصد المقارنة بين الجاليات والبعثات في قوّة التأثير. ولا بأس من الوقفة الموضوعية التي تستدعي القول إنَّ تأثير الطلبة، وإنْ كان وجودُهم مؤقتاً، كان في بعض المجتمعات الغربية أقوى من تأثير المغتربين، ذلك أنَّ الطلبة الذين أصرّوا على هويتهم الإسلامية ومارسوا شعائرهم كان لهم تأثير على الجاليات المغتربة نفسها، وأسهموا وشجعوا على تمكُّن الجاليات المغتربة بهويتها الثقافية والدينية.

لم يكن هؤلاء الطلبة بعيدين عن المجتمع المسلم الذي غادروه، فالصلة معه مستمرة ويتردّدون عليه في الإجازات غالباً ويعلمون أنَّ مردّهم إليه. شجّعهم كل هذا على الاحتفاظ بهويتهم، ولكنه احتفاظ لم يمنعهم من التعايش والتأثر مع المجتمع الغربي، وإنْ أدى ذلك إلى بعض التجاوزات في الممارسات اليومية لدى بعض منهم.^(١) لقد كان في وجود الطلبة في أوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية خير كثير، وإن ظهرت مقولات تحذر من الابتعاث وتنهى عنه، وظهرت بعض الآراء والفتاوی التي تحدد الحاجة إليه.^(٢)

(١) انظر: هالة مصطفى. الإسلام والغرب: من التعايش إلى التصادم. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢ م. - ص ١٤٤ . - (سلسلة مكتبة الأسرة؛ الأعمال الفكرية). وانظر لها طبعة أخرى من الكتاب نفسه. - القاهرة: دار مصر المحروسة، ٢٠٠٢ م. - ص ١٢٣ .

(٢) انظر: محمد الصياغ. الابتعاث ومخاطره. - ط ٢ . - بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م. - ص ٤٨ .

هذه مواقف لها ما يسُوّغها؛ إذ إنَّ الغيرة على الإسلام وأبنائه تؤدي إلى هذا الموقف، لاسيما مع وجود شواهد حية من الانغماض في الثقافة الغربية بعد الانبهار بها والسعى إلى تبيّنها مزاحمةً للإسلام في المجتمعات المسلمة!^(١) وفترة الطلبة المسلمين الذين لم يتمسّكوا بدينهم وهم قلة لا تكاد تُذكر ولا يُعدُون مؤشّراً من مؤشرات العلاقة بين الشرق والغرب، ذلك أنَّهم لم يحترموا أنفسهم فلم يحترمهم الآخرون.

إنما الحديث هنا عن تلك الفتنة من الطلاب الذين كان لهم تأثير واضح في المجتمعات الغربية، من خلال إيجاد البنية التحتية التي مارسوا عليها شعائرهم الدينية من صلوات جماعية وأعياد ودروس ومناسبات زفاف، بل وتجهيز الموتى والصلوة عليهم ودفنهم في مقابر خاصة للمسلمين، أو مخصوصٍ جزء منها للمسلمين والتأكيد من تذكرة الذبائح.

سعى هؤلاء الطلاب إلى إيجاد المساجد والمراكز الإسلامية، أو أunganوا المجاليات المفتربة على إقامتها وتشييدها. كما أحيوا هذه المساجد والمراكز بالصلوة وحلقات الذكر والمحاضرات والدروس والأعياد، ودعمتهم في ذلك قوانين البلاد التي عاشوا فيها التي تحترم التنظيم بشرط ألا يمسّ النظام

(١) انظر: إبراهيم بن حمد القعيد. الطلبة المسلمين في الغرب بين المخاطر والأمال. - الرياض: مكتبة دار السلام، ١٤١٥هـ. - ص ١٢٦.



العام ويؤثّر سلباً على الأمن الوطني. وهذا أمر لا ينبعي الاستهانة به. كما أعانتهم بلدانهم وأهل الخير في هذه البلدان الذين أسهموا في بناء هذه المساجد والمراكز، وما يزالون يجتهدون ثمار هذه الجهود صدقةً جاريةً مستمرةً بإذن الله تعالى.

لا عبرة بفئة ضللت الطريق من أهل الأهواء والتحزبات، واتّخذت من الدين مطيةً لتحقيق أغراض ليست من الدين مهما قيل إنها من الدين، ولم يكن تأثيرها على المجتمع على الصورة المبتغاة، لا سيما إذا غلبت الهوى.

كان لوجود الطلبة المبتعثين في الجامعات والمعاهد العليا تأثير واضح من خلال وضوحهم مع أساتذتهم والمسؤولين في هذه المؤسسات العلمية، من حيث ابتعادهم عن أيّ أمرٍ مخل بالدين في الشرب أو الأكل، أو الوقت والاختلاط غير المسوغ، لا سيما في المناسبات الاجتماعية التي ما تفتّأ تحدث في هذه المجتمعات، ويكون فيها لغط في مفهومنا ونظرتنا لها.

كما كان لوجودهم في هذه المؤسسات التعليمية أثر واضح عندما أضحووا طرفاً في الحوار الدائر حول الأحداث المتتابعة في المنطقة الإسلامية، فاستطاعوا أن يقدّموا صورة واضحة وصحيحة عن الوضع، بدلاً من أن يتصدّى لذلك إعلامي مغرض أو مستشرق لم يفهم بالضرورة الوضع على ما يفهمه مؤلاء.



يمكن الاستنتاج من هذا أنَّ وجودَ البعثات في المجتمع الغربي كانت له حسنته في توجيهِ الحوار القائم بين الشرق الإسلامي والغرب النصراني العلماني، على ألا يُفهَم هذا على أنه دفاعٌ عن وجود الطلبة المسلمين في الغرب. وما داموا قد وُجدوا فلا بأس من إبراز الجانب المضيء من وجودهم وقدرتهم على التأثير، أخذًا في الحسبان أنَّ هناك من لم يوفق في التمسُّك بهويته، مما أدى إلى التحذير من الابتعاث وبيان مخاطرِه، كما ذكر موريس بوكاي في كتابه المشهور عن الإنجيل والتوراة والقرآن والعلم،^(١) عندما حذرَ الطلبة المسلمين الدارسين في الغرب من قبول فكرة فصل العلم عن الدين، كما هي الحال هناك.^(٢)

(١) انظر: موريس بوكاي. التوراة والإنجيل والقرآن والعلم. - مرجع سابق. - ص ٢٥٣.

(٢) انظر: محمد عبدة، الشيخ. الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية/ تقديم وتعليق رشيد رضا، الشيخ. - سوسة، تونس: دار المعارف، (١٩٩٥). - ص ١٤١.



المحدث الرابع عشر

العلمنة

(١) تفسيب النصوص

يمرُّ على الأمة حينَ من الدهر تضحي فيها نهباً للآخر، بأيِّ شكلٍ من أشكال النهب السياسي والاقتصادي والعسكري والديني والثقافي، وتكون في هذا مسلوبة الإرادة مغلوبةً على أمرها لا تستطيع دفاعاً عن نفسها، فيتقلّص نفوذها ويضمحلُ تأثيرُها ويهرب منها أبناؤها باختين عن فكر الآخر وثقافته، على اعتبار أنَّ المغلوب - على رأي عبد الرحمن بن خلدون - يتبع الغالب، والأمة حينها مغلوبةً على أمرها.^(١)

من أخطر أنواع النهب أنْ تنهب الأمة في دينها الذي هو منبع ثقافتها، فيفرض عليها من الغالب أنْ تحور في دينها، ليس

(١) انظر في النهب الاقتصادي والسياسي: جان زيجلر. سادة العالم المجدد: العولمة، النهابون، المرتزقة، الفجر. - مرجع سابق. - ص٤٣.



مباشرةً، ولكن بإغفال تردید النصوص التي تبيّن حقيقة الآخر، الحقيقة التي نزل بها الوحي، ولا يمكن أن تكون مقصورة على زمان أو مكان، بل هي ملزمة لهذا الآخر، والإيمان بها جزء من الإيمان بهذا الدين، وهي تدخل في أصل الاعتقاد.

إغفال النصوص التي تبيّن هذه الحقيقة فيه تدخل في المعتقد، وتغييب لأصل من أصوله، مما يؤثّر على الإيمان فيؤدي إلى الموالاة، في الوقت الذي تدعوه فيه النصوص إلى البراءة من الآخر، إذا انتطبق عليه ما ينطبق على ما يجب البراء منه.

الذى ييدو أنَّ مفهوم البراء نفسه غير واضح في أذهان بعض الذين يشرونـه بين الفينة والأخرى، مما أدى إلى الدعوة إلى تناسـي النصوص التي تؤكـد عليه والتفاـل عنـها. ذلك أنَّ البراء لا يشمل - فيما ييدو - المقاطعة بكل أشكالها وإعلان الحرب على الآخر ورفضـه باسم البراء أو بحجـة البراء.

الذى يظهر - كذلك - أنَّ مصطلح الولاء والبراء لم يتم التركيز عليه بهذه الصورة وبهذه القوـة على الساحة الإسلامية إلا في الآونة الأخيرة وبنبرة سياسية، وإن كان المسلمين يرددون آيات الولاء والبراء، لاسيما في مطلع سورة التوبـة منذ زمنـ غير قصير.^(١) وهذا أمر يحتاج إلى بحـث؛ إذ إنه لا يُطرح على أنه

(١) انظر: محمد بن سعيد بن سالم القحطاني. الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف. - مرجع سابق. - ص ٤٧٦.

من المسلمين. وهناك محاولات لتغييب مثل هذه النصوص.

لم يقتصر العمل في تغييب النصوص على هذا الجانب، بل إنّ هناك أصلًا لدى الآخر بتغييب تلك النصوص التي تتعلق بزرع دولة يهودية في قلب الأمة، وأصبح كثير منا الآن يدعوها إسرائيل. وهناك رغبة - كذلك - في تغييب النصوص التي تتحدث عن اليهود عمومًا. والنصوص التي تتحدث عن اليهود لا تتحدث عنهم بإيجابية، ولذا تظهر الدعوة إلى تغييبها كلها.

السؤال المطروح هنا يتعلق بمدى جدوّي تغييب النصوص ومدى نجاح هذا التغييب، ما دام له علاقة مباشرة وقوية بأصل الاعتقاد الوارد لدى المسلمين بالذكر، ويؤمن المسلمون جازمين أنَّ الذِّكْر محفوظ، وحفظُه يعني فيما يعني تطبيقه على الواقع. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَمْ لَهُنْ لَفْظُونَ﴾ [الآية ٩ من سورة الحجر].

اللوم كُلُّه لا يقع على الآخر الذي يحاول هذه المحاولات في تغييب النصوص، لأنَّه بذلك يدافع عن وجوده الذي لا يقوم إلا بتغييب كلِّ النصوص، وإنما ينصبُ اللوم جُلُّه على أولئك الذين يستجيبون لهذه المحاولات، وينصبُ على الزمان الذي وصلنا به إلى الاستجابة لها، والمقصود لوم أهل الزمان الذين وصلوا في حين من الزمان إلى أنْ يكونوا أدلةً تُغيَّب بها النصوص. وهو زمان لن يدوم طويلاً، ولكنها مرحلة من المراحل التي تمرُّ بها الأمة، وقد مرَّت بها من قبل. وهي الآن



تحاول الخروج منها، مع ما يتطلّبه الخروج من تمحيص يقتضي هذا الوضع الذي نحن فيه على مختلف الصُّعد.

هذه دعوة إلى إدراك هذه النقطة المهمة المتعلقة بمحاولات تغيب التصوص، في الوقت الذي نسعى فيه إلى التربية إلى هذه المحاولات ونؤكّد على خطورتها ونعمل على إيقافها في دور التربية والمراكز الفكرية والأدبية وغيرها من بيوت الحكمة التي تعامل مع العقل.

(٢) الانبهار

من جميل ما يتبع المتابع لهذا الحوار القائم الآن بين الشرق والغرب الذي أخذ أشكالاً متعدّدة من أساليب الحوار، فهناك الحوار العلمي من خلال البعثات العلمية التي انتقلت من الشرق إلى الغرب فتعلّمت هناك العلم، فعادت إلى بلادها وهي تحمل معه بعض المُثُل التي لا تتفق كلّها بالضرورة مع المُثُل التي يتمثّلها الشرقيون.

هناك الحوار الثقافي الذي كان من نتائج الحوار العلمي، ولم يكن فقط نتيجة له، لأنّ هناك من تأثّر بالشرق من الغربيين، فتوّجّه إليه بالرحلة والقراءة والكتابة والرأي.

كما أنّ هناك من انبهر بالغرب من الشرقيين ثقافياً، فحفظ أقوال الغربيين الكثُر، من علماء النفس والاجتماع والفلسفة وغيرها، فأضجحينا نسمع عن هؤلاء مقولات تنسب إلى ديكارت



وكانت وماكس فيبر وجنته ونتشه وكارل ماركس وهيغل وجان بول سارتر وجان جاك روسو وفولتير ودوركايم ورينان وتوجي وبرنارد شو، والقائمة طويلة. ومعظم هذه الأسماء قد رسخت هذه الفجوة بين الشرق والغرب، وأنهما لا يلتقيان، لاسيما أفكار هيغل التي تصدّى لها أو لمعظمها، كارل بوير في كتابه المجتمع المتنفس وأعداؤه، حيث أصبحت فلسفة هيغل جديرةً بالاهتمام والتحليل، بسبب نتائجها المشؤومة – حسب قول بوير – التي شخصت العالم بثنائية توحّي بأنها متناقضة، بل متناحرة من منطلق «نظام البديهيات» التي ركز عليها هيغل في كتاباته.

إذا كان الغرب غرباً واحداً فإنه «لم يَعُدْ هناك وجود للغرب بالمعنى الجغرافي والأثربولوجي للكلمة، لأنَّ الثقافة الغربية «فرنجت» العالم، ومن ضمنه المجتمعات الشرقية، حيث المعارضَة للهيمنة الغربية هي الأكثر احتداماً»، كما يقول جورج قرم في كتابه شرق وغرب: الشرخ الأسطوري.^(١)

كذا الشرق بالنسبة للغرب لم يَعُدْ شرقاً واحداً، فهناك الشرق الأدنى والشرق الأوسط والشرق الأقصى. والشرق الأوسط هو الذي تعرض لألوان من الحوار كان منها الحوار العربي، حينما وصلت الفتوح الإسلامية مشارف فرنسا غرباً،

(١) انظر: جورج قرم. شرق وغرب: الشرخ الأسطوري. – مرجع سابق. – ص ٤٣.



ثم مشارف فيتا عن طريق الشرق، بل وصلت إلى جبال الألب،^(١) وتحللتها الحروب الصليبية التي كانت موجهةً إلى منطقة الشرق الأوسط، ثم زرعت دولة قومية أو وطن قومي لليهود في فلسطين المحتلة، ليستمر هذا النوع من الحوار العنيف بين الشرق والغرب.

ثم في الشرق الأقصى برزت فكرة «الخطر الأصفر»، حين أعلن الغرب هذا الشرق عالمًا غريباً. ويتجلى هذا مثلاً في الصورة الساخرة والمهينة التي رسمها الأدب الغربي الشعبي لليابانيين والصينيين «قصيري القامة» ذوي الوجوه الصفراء والأسنان البارزة والقامات المنحنية، والنفوس التي يكتنفها الخداع والغموض»، ولم يسكت «الشرق أقصويون» عن هذا فبادلوا الغربيين باحتقار مماثل، إذ إنَّ الصينيين واليابانيين «يرون في الإنسان الغربي الأبيض نموذجاً للبربري المبتذل والغضوب وغير قادر على التحكم بمشاعره»، والذي يريد بأي ثمن فرض دينه وتجارته». كما ينقل جورج قرم في الشرح الأسطوري.^(٢)

إلا أنَّ الخطر الأصفر قد بدأ في الزوال منذ أكثر من خمسين سنة مضت بعد أن حقق الشرق الأقصى إنجازات باهرة

(١) انظر: محمد السمّاك. عندما احتلَّ المسلمون جبال الألب. - النساجع. - ع (شتاء ١٤٢٦/٢٠٠٦). - ص ٢٥٤ - ٢٨٠

(٢) انظر: جورج قرم. شرق وغرب: الشرح الأسطوري. - مرجع سابق. - ص ٤٣



في المجال الاقتصادي، لاسيما اليابان والآن ماليزيا والصين وكوريا.^(١)

يمضي جورج قرم في تحليل هذا المفهوم الذي فرض حائطاً كبيراً وطويلاً بين الشرق والغرب، بما في ذلك تقسيم العالم إلى آرين وساميين، على طريقة إرنست رينان وجورج دوميزيل وميرسيا إلياد، مع إعطاء كل جنس خصائصه. ومن المتوقع أن يصدر هذا التصنيف العرقي عن إرنست رينان المتقدم زمنياً وكذلك يصدر من نظرة جون كافن في تصنيفهما للساميين، وكونه ليس إيجابياً، بينما يتمتع الآريون بسمات القدرة على العيش والتحضر والتفكير ونحوها من مقومات الحياة.^(٢)

هذا الشرح الأسطوري نما وترعرع في ضوء هذا الحوار العنيف، وتكرر طرجه حتى صدّقه الناس إلى حدّ كبير، لكنه لم يكن صحيحاً ولن يكون صحيحاً مهما قيل عنه ذلك؛ إذ إنَّ الشواهد الحضارية ومشاركة الأجناس الشرقية والإفريقية في بناء هذه الحضارة الحديثة لدليل «أنثروبولوجي» قويٌ على دحض هذا التوجُّه، على ما يقوم به علماء وفلاسفة غربيون، ناهيك

(١) انظر: مهاتير محمد وشتيارو إيشيهارا. صوت آسيا: زعيمان آسيويان بمناقشتان أمور القرن المقبل. - بيروت: دار الساقى، ١٩٩٨. - ص ١٢٥. وانظر كذلك: مهاتير محمد. خطة جديدة لآسيا. - ترجمة فاروق لقمان. - دار الإحسان: بيلاندوك للنشر، د.ت. - ص ٢٣٠.

(٢) انظر: حسن الباش. صدام الحضارات: حتمية قدرية أم لوثة بشرية؟. - دمشق: دار قتيبة، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م. - ص ٢٥ - ٢٨.



عن الشرقيين، أمثال إدوارد سعيد وجاك ج. شاهين وريجيس دوبريه ويورغن هابرماس وإربك هوسباوم ونوم تشومسكي،^(١) وغيرهم كثير.

ليس من المصلحة في هذه المنطقة وهي تتبّنى ديناً عظيماً أنْ يعمق مثل هذا الحوار العنيف الذي يزيد من هذا الشرخ ويضخم الفجوة، فإنَّ الحوار مع الآخر ينبغي على أنَّ الناس مخلوقون من ذكر وأنثى، وأنهم جُعلوا من الله تعالى شعوبًا وقبائل لتعارف، وتبقى الأفضلية بينهم مرهونة بالتعود. قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَاوَرُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَسِيرٌ» [آل عمران: ١٣] من سورة الحجرات].

(٣) الجذور الدينية

يرجع جورج قرم في كتابه «الشَّرخ الأسطوري» ما هو قائم الآن بين الشرق والغرب من فجوة إلى جذور دينية، مهما أدعَت الدول الغربية علمانيتها، التي يرى أنها زعم أكثر من كونها حقيقة. أدَّت هذه الجذور إلى بذر طفل الأنوب في نقطة الالتقاء بين آسيا وأفريقيا قلب العالم الإسلامي والعربي.

(١) انظر: نوم تشومسكي. الدول المارقة: حكم القوة في الشؤون الدولية/ ترجمة محمود علي عيسى. - دمشق: نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م. - ص ٢٧٤.

ويكرر جورج قرم هذا الأمر في مجلمل كتابه، فكلما ذهب في نقاشه حول العلاقة بين الشرق والغرب عاد مرةً أخرى إلى الأسلوب الذي أوجِدَتْ فيه دولةُ لليهود وطنًا قوميًّا لهم في فلسطين المحتلةَ.

ويؤكّد في ذلك جورج قرم على أنَّ «العلمانية» في البلدان البروتستانتية نسبية ولا تقوم على الفصل بين الدينوي الاجتماعي والديني الذي طوّرته البلدان الكاثوليكية، بل أعطت الحرّية في إنشاء الكنائس ودور العبادة، التي طالبت بها البروتستانتية في مواجهة الكنيسة الكاثوليكية الأحادية النمط». (١) ويدرك أنَّ الغربيين، لاسيما البروتستانتيين، «يحبّذون دومًا إدخال الدين ضمن رؤية العالم، وتنظيم الحياة الاجتماعية، لا بل أكثر من ذلك، يستطيع سكان الولايات المتّحدة تأكيد أصولهم العرقية أو تميّزهم الديني من دون أن يكون ذلك مزعجاً أو محرجاً لإدارتهم». (٢)

ويضيف جورج قرم القول: «وليست العلمانية في الولايات المتّحدة قيمةً سياسيةً أساساً، بل تقوم فقط على حرّية الممارسة الدينية، وليس على فصل الأمور الدينية عن الأمور الزمنية». (٣)

(١) انظر: جورج قرم. شرق وغرب: الشرخ الأسطوري. - مرجع سابق. - ص ١١٩.

(٢) انظر: جورج قرم. شرق وغرب: الشرخ الأسطوري. - المراجع السابق. - ص ١١٩.

(٣) انظر: جورج قرم. شرق وغرب: الشرخ الأسطوري. - المراجع السابق. - ص ١١٩.



وبهذا يؤكد بعض النافذين أنَّ المجتمع الأمريكي يبذل «قصاري جهده لكي تسير الحرية والإيمان جنباً إلى جنب، ولكي يُعلي كل منها من شأن الآخر». (١) ويؤكدون كذلك في وثيقة في مطلع عام ٢٠٠٢م (١٤٢٢هـ) أنَّ «نظامنا علماني - رؤساؤنا ليسوا رجال دين - لكن مجتمعنا هو الأكثر تديناً في العالم الغربي». (٢)

ولذلك ولتمسك الغرب بوجود إسرائيل في قلب العالم العربي والإسلامي فقد العلمنية أيَّ مصداقية في الخطاب الغربي، مما يزيد من عمق هذا الشرخ في العلاقة بين الشرق والغرب «ولا سيما أنَّ قيم العدالة والإنصاف التي يدعى الغرب تبئها تسقط كلما تعلق الأمر بدولة إسرائيل»، وتفقد العلمنية أيَّة مصداقية في الخطاب الغربي». (٣)

ورغم التضييق على التعبير بحرّية عن هذه الوجهة في المجتمع الغربي وترجمة هذا التعبير إلى تعاطف مع الفلسطينيين

(١) انظر: جورج قرم. شرق وغرب: الشرخ الأسطوري. - المرجع السابق. - ص ١١٩.

(٢) انظر: جورج قرم. شرق وغرب: الشرخ الأسطوري. - المرجع السابق. - ص ١٢١. وانظر كذلك: يوسف الحسن. البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي - الصهيوني: دراسة في الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية. - مرجع سابق. - ص ٢٢٢.

(٣) انظر: جورج قرم. شرق وغرب: الشرخ الأسطوري. - مرجع سابق. - ص ١٢٥.



والعرب وال المسلمين ، إلا أننا نجد أصواتاً وإنْ كانت خافتةً ، قادمةً من الغرب وكأنها تتحدث في خطابها بلغة الشرق ، حتى لقد داست الدبابة الإسرائيلية على فتاة جاءت من الغرب إلى أرض الميعاد مناصرةً الشرق ، فكان مصيرُها الموت الذي تبعه قدر من الصمت المطبق حتى على المستوى القانوني ، ناهيك عن المستوى السياسي . يوحى هذا بأنَّ هناك نفمةً على هذه الشرذمة . هذه النفمة لم تُعد ناتجةً عن الشرق فقط ، ولكنها لا تفتَّأ تنبت في المجتمع الغربي ، ولكن هل هناك من يجرؤ على الخطاب؟^(١)

إنَّ من يتحدَّث اليوم عن تعميق هذا الشرخ هو الذي يلقى رواجاً في الأوساط السياسية والإعلامية ، وليس بالضرورة في الأوساط الثقافية والفكرية . فالضجَّة التي أحدثتها السموأل (صوموئيل) هتتختنون (ت ٢٠٠٨م) ، في العقد الأول من القرن الخامس عشر الهجري / العقد التاسع من القرن العشرين الميلادي ،^(٢) لم تكن في نظر مفكِّري الغرب سوى عمل هزيل ،

(١) انظر: بول فندلي . من يجرؤ على الكلام: الشعب والمؤسسات في مواجهة اللوبي الإسرائيلي . - مرجع سابق . - ص ٦٢٢ .

(٢) انظر: صامويل هتتختنون . صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي / ترجمة طلعت الشايب ، تقديم صالح قانصوه . - ط ٢ . - القاهرة: سطور، ١٩٩٩م . - ٢٢٥ + الهوماش . وانظر إلى طبعة أخرى في: صموئيل هتتختنون . صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي / ترجمة مالك عبيد أبو شهيوة ومحمود محمد خلف . - مصراته (ليبيا): الدار الجماهيرية ، ١٩٩٩م . - ص ٣٩ .



حيث يصف المؤلف المقربُ من أوساط الحكم وبطريقة سطحية «سيناريو لا يمُت إلى الواقع بصلة عن مواجهة دينية بين الإسلام (الذي يصوّره متحالفاً مع البوذية)(١) والغرب المسيحي».

يقول جورج قرم عن الكتاب الهزيل صدام الحضارات: «لا يسعنا أن نفهم الذي حصده هذا الكتاب المعبر عن فوضى فكرية عارمة وتشيع فيه ضحالة في التحليل قلّ نظيرها، إلا إذا أدركنا أنه يستغلّ إلى أقصى الحدود وجود الشرخ المتخيّل بين الشرق والغرب الذي هو صنيع الظروف الجيوسياسية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي».

الذي يظهر أنَّ العرب قد أعطوا الكاتب المسؤول همتهم الكتاب صدام الحضارات قيمة علمية واستراتيجية أكثر مما يستحقها، لاسيما إذا لوحظ أنَّ أصل الكتاب تقرير مقدم إلى جهات سياسية استخبارية، فتطوّر التقرير إلى مقالة صدرت عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م في مجلة الشؤون الخارجية Foreign Affairs، ثم طُورت المقالة إلى كتاب، فسارع الناشرون العرب، لاسيما المتكتّبون مادياً إلى ترجمته ترجمة مطولةً وتباروا في ذلك. ولعلَّ ما كُتب عنه لدى العرب أكثر مما كتب عنه لدى غير العرب.

(١) انظر: جورج قرم. شرق وغرب: الشرخ الأسطوري. - المرجع السابق. - ص ١١٨.

(٢) انظر: جورج قرم. شرق وغرب: الشرخ الأسطوري. - المرجع السابق. - ص ١١٨.



والذي يظهر أيضًا أنَّ المهللين للكتاب لدى الساحة الإعلامية العربية أكثرُ من القادحين لأفكاره في الأوساط العلمية الفكرية العربية وغير العربية. على أننا لسنا في هذا الوقت وفي غيره بحاجة إلى تعميق الهوة وتوسيع الفجوة بين الشرق والغرب لأيِّ سبب وبأيِّ ظرف، بل إنَّ الوقت الآن يؤكّد على الحاجة الملحة إلى تجسير الفجوة وإغفال هذا الشرخ المصطنع، ذلك أنَّ مصلحة العالم وليس العرب والمسلمين فقط، تؤيد وبشدةً انتشار روح السماحة وتقبل الآخر وتوسيع هامش الحوار الإيجابي.^(١)

(٤) الإفلاس

في ضوء الحديث عن العلمنة محدداً من محددات العلاقة بين الشرق والغرب وكون العلمنة نبت في الغرب، وجرت محاولات تصديرها إلى الشرق والعالم على أنها من معطيات الحضارة الغربية هناك من يتحدث عن قُرب إفلاس الحضارة الغربية، ويرى أنها مسألة متحقّقة، من دون أن تكون هناك قدرة على التوقّيت، فوقدت الإفلاس ليست مسألة قابلة للتتخمين، رغم أنَّ هناك من يعطي عقداً من الرمان يتحقّق فيه ذلك.

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. صناعة الكراهة بين الثقافات وأثر الاستشراق في افتعالها. - دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٩/١٤٢٩ م. - ص ١٧١ . -
(سلسلة نقد العقل المعاصر).



سبب التأكُّد من تحقُّق الإفلاس أنَّ هذه الحضارة قامت على المادَّة على حساب المُثُلِّ، والإنسان مُثُلٌ ومبادئ قبل أنْ يكون مادَّة. وأمن الإنسان يتحقُّق بالمُثُلِّ والمبادئ أولاً ثم تتحقُّق المادَّيات، فليس هناك إغفال للمادَّيات، ولكن المؤسف أنَّ المادة هي التي طفت مما يؤذن بالإفلاس. وفي نصائر المُثُلِّ والمبادئ في المجتمع الغربي وفي أيِّ مجتمع تهون النفس ويجهون الشرف ويجهون العرض وتختلط الأنساب وتفشو الأمراض وتتصدَّع الأسر وتخرب البيوت ويضييع المجتمع فيضييع الناس فيفسد الكون.

هو ضياع غير معلن وغير معترف به مباشرة، وإنما هو مسوَّغٌ بالحرَّية الفردية، بما في ذلك الحرَّية في التحايل على الحصول على الذرَّية، واحتدامها مع القوانين الموضوعة، رغم أنَّ هناك صرخاتٍ مدويةٍ من المرئين والمفكِّرين، ولكنها صرخاتٍ غير مسموعةٍ إلا من قلةٍ قليلةٍ من الناس ضئيلةٌ التأثير، ذلك أنَّ صرخاتهم تخاطب العقل بينما الشهوة تخاطب القلب والعاطفة. علينا أنْ ندرك أنَّ النطرة مولودة مع الإنسان وأنه ميَّالٌ إليها باحث عنها مستعدٌ للتخلُّص مما ينافيها ويناقضها.

في سبيل ذلك تقع المسؤولية على الذين يدركون هذه الفطرة ويسيرون عليها ويوجهونها التوجيه الصحيح. فليس من المصلحة التفرُّج على هذا الإفلاس في الحضارة الغربية من دون تقديم البديل المناسب، الذي نعتقد أنه يمكن أنْ يحقق التناُّب

بين المُثل والمبادئ والماديات ويوازن بين طلبات العقول وطلبات القلوب، فلا يُهمّل بعضها على حساب بعض ولا يسلط بعضها على بعض.

يتحقق ذلك في الإسلام الذي يحتاج من أهله إلى التطبيق الصحيح عقيدة وعملاً وممارسات أولاً، ومن ثم يُقدم للآخر بالحكمة عن طريق القدوة أولاً، ثم عن طريق وسائل التقديم الأخرى. ومن دون إبراز مفهوم الحكمة والقدوة لا يمكن تقديمها للآخر؛ لأنَّ فاقد الشيء لا يعطيه.

من وسائل القدوة أنْ تنتشر الدعوة ومراكز الفكر ومؤسسات العناية بمصادر التشريع الإسلامي المتمثلة بالقرآن الكريم والسنّة النبوية والمصادر الأخرى المعروفة لدى ذوي الشأن ومدارسها في طول البلاد الإسلامية وغير الإسلامية وعرضها، وتقوم هيئات القطاع الثالث المعنية بهذا الشأن، ويشرف عليها هيئة علمية عالية عُرفت بخدمتها للإسلام وعلومه واستمرارها في الرغبة في رعاية هذه المؤسسات والهيئات، إذ كان الجامع الأزهر وجامعة بمصر وجامعة الزيتونة بتونس وجامعة القرويين بال المغرب والجامعة الإسلامية وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية وغيرها من الجامعات في الهند وباكستان ومدارس ومراكز إسلامية في الشرق والغرب، تقوم بهذه المسؤولية على خير وجه، وترعاها الدولة ويتابعها مدوروها والمسؤولون فيها.



من وسائل الحكم والقدوة أن يقيس في الأمة من يتبع أبناءها ويشجعهم على الإسهام في ترسیخ مفهوم الذكر المحفوظ، فقد أراد الله تعالى له أن يحفظ نصاً وروحًا خالياً من التحرif والعبث الذي أراده الله تعالى للكتب السماوية السابقة عليه.

ليس أجمل من أن تتأثر المؤسسات العلمية الأكاديمية شرق المعمورة وغربها وشماليها وجنوبيها مع المؤسسة التي أنيطت بها العناية بالشؤون الإسلامية في هذه الدنيا، تتأثر على العناية بشؤون الإسلام بالطاقات العملية وبالقرار الإداري وبالدعم المستمر من القيادات السياسية ومن الموسرين. ويتطلب هذا قدرًا من الإرادة والاقتاناع.

(٥) النظام التربوي

كانت الوقفة السابقة عن إفلاس الحضارة الغربية صدىً لما يجري الآن في الاحتيال على جلب الأطفال إلى الدنيا، باستخدام الاكتشافات العلمية في مجالات (هندسة الجينات) أو في مجالات أخرى قد لا تخضع للعلمية، بقدر ما هي في ميزاننا نحن، ميزان الفطرة، منافية للخلق، مثل استئجار امرأة تحمل لعائلة surrogate mother لا تستطيع الزوجة فيها الحمل أو ربما لا تهوى هي الحمل؛ لرغبتها في مواصلة طموحاتها العملية خارج المنزل ويعيداً عن هموم الحمل والولادة والرضاعة.



ومثل إتيان الأب ابنته أو الولد أخته أو الابن أمّه للشكوك في أن يكونوا كذلك في نسبتهم لبعضهم، ومثل زواج المثليين . هي صورٌ وحالاتٌ كانت شاذةً، ولكنها - مع الأسف - شاعت بشكلٍ يقشعرُ لها البدن، ولكنها واقع ووقوعه ليس بحالاتٍ فردية، إذ الحالات الفردية قد تقع في أي مجتمع، حتى ذلك المجتمع الذي يُعدُّ نفسه متحضرًا أخلاقياً، بفعل المنهج الرباني الذي يسير عليه، فإنَّ مسبيات زوال العقل مؤقتًا موجودة، مثل الخمور والمخدرات والانفصام، وبزوال العقل ثممارس بعض الأفعال المنافية للفطرة والعقل السليم، وبالتالي فهي منافية للدين .

والإفلات الحضاري يأتي من تسيُّب النظام التربوي أولاً، ثم النظم الاجتماعية، بما فيها العقوبات والحدود ونحوها، فقد بلغت الحضارة الغربية مبلغاً في هذا التسيُّب، أدَّى إلى بروز هذه الظاهرات بشكلٍ مخيف يدعو إلى إعادة النظر في كل أساليب الحياة، ومنها المناهج التربوية التي ظهرت لها صيحة تحت عنوان أمَّة معرَّضة للخطر،^(١) كما ظهر كتاب الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر بعنوان: قيمنا المعرَّضة للخطر،^(٢) قيل فيها

(١) انظر: مكتب التربية العربي لدول الخليج. أمَّة معرَّضة للخطر. - الرياض: المكتب، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م. - ص ٧٠.

(٢) انظر: جيمي كارتر. قيمنا المعرَّضة للخطر: أزمة أمريكا الأخلاقية/ نقله إلى العربية محمد محمود التوبة. - الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م. - ص ٢٢٤.



إنه لو فرضت هذه المناهج على الولايات المتحدة الأمريكية من بلاد أخرى متسلطةٍ عليها لطلب من حكومة هذه البلاد التصرف عقابياً، ويسرعة على هذه البلاد الفارضة وبكل قسوة.

والحرّية الفردية المفرطة والحرّية الفكرية المفرطة قد تكون من مسيّبات هذا الإفلاس الحضاري. ولا يعجب المرء أن يأخذ بعض الحوادث ليدلّل بها على نتيجة يريد أن يصل إليها.

ولا يريد المرء الإفلاس لأيّ أمّة من البشر، ولكنه ردُّ الفعل أحياناً، لتبنيه بعض المتأثرين بحضارة الآخر المنبهرين بما حقّقه وتحقّقه من إنجاز مادي نال الإعجاب من كلّ المنصفين. وردُّ الفعل هذا لا يسعى إلى أنْ ترفض الحضارة الغربية بحسانتها وسيئاتها، ولكنه يسعى لأنْ يؤخذ من هذه الحضارة الحسنات وتترك السيئات. إلا أنَّ الواقع أنَّ هناك خلطًا بين الحسنات والسيئات، كما أنَّ هناك ميلًا إلى تصدير السيئات ومحاولة الإبقاء على الحسنات.

ومننا من يعيش في الغرب أيامًا أو شهورًا أو سنواتٍ، ولكنه لا يتعمّق في الحياة ولا يعايش المجتمع ولا يظهر له إلا ما هو منجز ماديًّا، وتخفاء العلاقات الأسرية والاجتماعية والزوجية، ولا يتعرّض لها إلا بالقدر الذي ينشره الإعلام عنها، والإعلام الترفيهي لا يعكس الصورة الحقيقة عن المجتمع الغربي، فيأتي العائد من الغرب متغربًا طالبًا تطبيق ذلك النموذج على الحياة في محیطه الذي عاد ليخدم فيه ظانًا أنَّ هذا النمط هو

الذي أوصل تلك الأمة إلى ما وصلت إليه، وأن عدم تطبيق هذا النمط هو الذي أوصل أمته إلى ما وصلت إليه من سوء.

إنها بهذه السطحية وبهذه البساطة تتخلل حياتنا شيئاً فشيئاً، فالنموذج لا يطبق بين يوم وليلة ولا توضع له خطة زمنية، ولكنها المؤشرات التي تدخل المجتمع خطوة خطوة، حتى يضيّع المجتمع ما لديه من مُثل ومبادئ، في الوقت الذي لن يوقّق فيه في تبني مُثل الآخر ومبادئه؛ لأنهم هم صدروها رغبة عنها لا رغبة في تحضير الآخرين بها. ومن هنا يأتي الموقف السلبي من الإفلات الحضاري، بغضّ النظر عن الوجهة التي جاء منها.

لا بد من التوكيد هنا على الابتعاد عن الشماتة وضرورة العيش في مستوى المسؤولية التي يحملها المجتمع المسلم لكل المجتمعات الأخرى، بعد أن يبدأ هذا المجتمع بنفسه، ليملك حينئذ ما يستطيع تقديمها للأخر، وقد قيل من قبل: إنَّ فاقد الشيء لا يعطيه.



المحلّد الخامس عشر

العولمة

(١) عولمة الدين

يكتب أستاذ الفلسفة ومدير أبحاث في المركز الوطني للبحوث العلمية في فرنسا الأستاذ الزائر بجامعة برنسنون بالولايات المتحدة الأمريكية أوليفيه روا باللغة الفرنسية عن عولمة الإسلام وترجمه إلى اللغة العربية رولا معلوف،^(١) ويركز فيه على حال المسلمين الاجتماعية والسياسية والدينية في الغرب بعامة وفي فرنسا بخاصة، إلا أنه يربط ذلك بما يدور في العالم الإسلامي من حركات وحوارات ومتغيرات في التوجهات داخل المجتمع المسلم ويحاول أن يربط بين هذا وذلك باسم علمنة الإسلام أو عولمة الإسلام.^(٢)

(١) انظر: أوليفيه روا. عولمة الإسلام / ترجمة: رولا معلوف. - بيروت: دار الساقى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م. - ص ٢٢٢.

(٢) انظر: محمد أركون. العلمنة والدين / ترجمة: هاشم صالح. - بيروت: دار الساقى، ١٩٩٦م. - ص ١٣٦.



انطلق أوليفيه روا من أفغانستان منذ سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، عندما أصدر كتابه: *أفغانستان: إسلام وعصرية سياسية*، ثم أصدر كتاباً بعنوان: *تجربة الإسلام السياسي*^(١) وتلاه كتابه عن *أحداث ١٤٢٢/٦/٢٢* الموافق ١١/٩/٢٠٠١ م.^(٢)

ورغم تركيز المؤلف على الجاليات المسلمة في أوروبا، إلا أنَّ لديه معلوماتٌ محدثةٌ عن الوضع في البلاد العربية والإسلامية، مما يوحي بأنَّ أوليفيه روا مشروع مستشرق جديد ينطلق في عصر العولمة، إلا أنه يعتمد في معلوماته بالإضافة إلى التقارير والصحف، على خلفية كثيرة من الأوروبيين والغربيين عموماً عن الإسلام والمسلمين، تلك الخلفية القائمة على عدد من المحددات للعلاقة بين الشرق والغرب لا يستطيع المتحدث عن هذه العلاقة إغفالها أو التغاضي عنها، وإنْ كانت هناك رغبة في تناسي بعضها كالحروب الصليبية التي امتدت في تسع حملات لأكثر من مئتي سنة، كلها لم تتحقق الأهداف التي انطلقت من أجلها.

(١) انظر: أوليفيه روا. *تجربة الإسلام السياسي*/ ترجمة: نصیر مروة. - ط. ٢. - بيروت: دار الساقی، ١٩٩٦ م. - ص ٢١٣.

(٢) انظر: أوليفيه روا. *أوهام ١١ أيلول: المناورة الإستراتيجية في مواجهة الإرهاب*/ ترجمة: حسن شامي. - بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٣ م. - ص ١١٨.



كما لا يغفل أوليفييه روا بعض المحدّدات الأخرى، كالتنصير الذي لا يزال قائماً ومنطلقاً في المجتمعات المسلمة وغير المسلمة ومن خلال الأساليب المعروفة لهذه الحملات التنصيرية.

ثم من المحدّدات كذلك الاستشراق الذي يُعدُّ المؤلّف مشروعاً جديداً من مشروعاته، مما يستدعي العناية به ودعوته إلى مزيد من الحوار والنقاش، إذ إنه من خلال قراءة كتابه: عولمة الإسلام، رغم ما ورد فيه من أفكار تستحق النقاش والردّ، إلا أنَّ القارئ يرى فيه مشروعٍ مستشرقٍ منصفٍ، يصف الحال كما هي عليه، وإنْ أدخل على هذه الحال أو تلك قدرًا من التحليل كما يراه هو، لا كما هو الواقع بالضرورة.

مهما يكن فإنَّ العولمة تُعدُّ إحدى المحدّدات للعلاقة بين الشرق والغرب،^(١) بالإضافة إلى محدّدات أخرى غير ما ذكر

(١) انظر في مجال الحديث عن العولمة: نعوم تشومسكي، وآخرون. العولمة والإرهاب: حرب أمريكا على العالم، السياسة الخارجية الأمريكية وإسرائيل / ترجمة حمزة المزياني. - القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٣م. - ص ٢٧٦.
ونعوم تشومسكي. الهيمنة أم البقاء؟ السعي الأمريكي إلى السيطرة على العالم / ترجمة سامي الكعكبي. - بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤م. -
ص ٣١٠. ومحاضير محمد. العولمة والواقع الجديد / تحرير هاشم مقر الدين. - دار الإحسان: مكتب رئيس الوزراء الماليزي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. -
ص ٢٥١. وعلي بن إبراهيم الحمد النملة. العولمة وتهيئة الموارد البشرية في منطقة الخليج العربية. - ط ٢. - الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م. -
ص ١٧٦. لاسيما قائمة المراجع من هذا العمل وغير ذلك كثیر.



سبق التطرق لها في وقفات سابقة، كالاستشراق الذي لا يتوقع له أن يقشع في ضوء بزوغ نجم العولمة. وإذا كان الأمر كذلك فإنه من المهم العناية بهذا المحدد من منطلق الحوار مع الآخر، الذي كان وسيظل ركناً من أركان التفاعل مع الثقافات الأخرى.

وما الكتاب الذي جرى ذكره هنا إلا وسيلة من وسائل هذا الحوار المطلوب على مختلف الصُّعد؛ لبيان الحق وإيضاح ما دخل في حيز الأوهام لدى أولئك الذين يُقبلون بقوَّة على الحديث عن هذا الدين الحنيف من خلال ممارسات بعض المتممِين إليه أحياناً، مما يؤدي إلى الحكم عليه من خلال هذه الممارسات أو تلك.

(٢) الالتفات

بدا في الورقة السابقة أنَّ أوليفيه روا مشروع مستشرق وأنه ينبغي العناية به، رغبةً في الإسهام في تصحيح الصورة عن الإسلام والمسلمين، ذلك أنَّ هذا المستشرق المتظر يَتَسَم بالسعة في الاطلاع، وإنْ كانت معظم معلوماته في كتابه هذا «علومة الإسلام» معلومات إعلامية طفِي عليها البُعد السياسي مع التركيز القوي على ضواحي باريس، ومن يسكنها من مسلمين يتمون إلى الطبقة البرجوازية، وتكثر بينهم المشكلات، وكأنهم - على حد عرضه - يعيشون على هامش المجتمع الباريسي. ^(١)

(١) انظر: أوليفيه روا. عولمة الإسلام. - مرجع سابق. - ص٢٢٢.



على أي حال فلا بدّ من التعاطي مع جميع المستشرقين والإعلاميين الذين يتناولون قضايا المنطقة من بعد، بناءً على عدد من الانطباعات المستندة من قراءات أترابهم، دون أن تطأ أقدامهم بالضرورة الأرض التي يتحدثون عنها والناس الذين هم مناط الحديث. وهذا ديدن أولئك الذين كثرت كتاباتهم أخيراً عن المنطقة خاصة وعن العالم الإسلامي عامة. وقليل منهم من يعيش موقعاً من الواقع التي يتحدث عنها، وإذا عايش موقعاً خرج منه بانطباعات بني عليها أحکاماً تعميمية لا تصدق بالضرورة على جميع المجتمعات، وخلط فيه بين السلوكيات الاجتماعية المتوارثة والممارسات الدينية التي تعود إلى أصل شرعي.

مهما يكن من أمر فإن الإسراع في تبني هذه الفتنة والإقبال عليها بالدعوة لها لمعايشة الواقع والالتقاء بالعلماء والمفكّرين قمين بأن يعطي صورة أكثر وضوحاً، كما أنه حريٌ بأن يقطع الطريق على أولئك الذين يتشارعون في الإفادة من هذه الفتنة في ترسیخ العداوة للإسلام وال المسلمين، كما عملوا مع المستشرق البريطاني الأصل الأمريكي الجنسية والإقامة الدكتور / برنارد لويس الذي أعلن صراحةً صهيونيته ويهوديته حالما خطَّ الرجال في جامعه برنستون في ولاية نيوجرسى في الشرق الأمريكي.

مما يؤخذ على المنتديات والمؤسسات الفكرية العربية والإسلامية محدودية الالتفاف على هذه الفتنة والتأخر في ذلك.

ومما يذكر هنا أنَّ المهرجان الوطني للتراث والثقافة (الجناحية) في المملكة العربية السعودية قد تنبأَ لهذه الفئة فاستدعي عدداً ممن كانت لهم إسهامات فكرية سلبية ضد الإسلام والمسلمين من المستشرقين والإعلاميين الغربيين، فكان أنْ دعا فرد هاليدي والسموأل هستنجلتون وفوكوياما وغيرهم، كما فعل قبل ذلك الملتقى الفكري الإسلامي الذي كان يعقد في الجزائر سنوياً، إذ كان يدعو رهطاً من المستشرقين يحاورهم علماء المسلمين ويحاورونهم، مما نتج عنه تفاعلٌ علميٌّ وفكريٌّ أسهם في تقديم صورة معتدلة عن هذا الدين القويِّم.

عليه، فإنَّ الحماس لأوليفيه روا لا يأتي من منطلق أنه مشروع مستشرق منصف فحسب، بل لأنَّ مثل هؤلاء يستقطبون، وإلا فكتابه فيه مغالطات صريحة وواضحة يمكن الوقوف عليها بسهولة، وكذلك نزوعه إلى المعلومة الإعلامية السريعة – كما مرَّ ذكره –.

وقد أسهمت المترجمة لارا معرفة في شيءٍ من الموضوع في ذكرها للمصطلحات والشخصيات الإسلامية، فبالرغم من أنَّ جهدها في الترجمة جهدٌ رائعٌ في مدة محدودة، إذ صدر الكتاب سنة ٢٠٠٢م / ١٤٢٢هـ بالفرنسية وانتهت من ترجمته ونشره سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، إلا أنها لم توفق في معرفة المصطلحات الشرعية، مثل فرض العين وفرض الكفاية، إذ تعبّر عن ذلك بأنه فرض فردي أو واجب جماعي، وجامع مكة والمراد الحرم



المكي الشريف، ودار الأرقام أي دار الأرقام بن أبي الأرقام، وجزر الملوک أي جزر الملوك، والشنيطي أي الشنيطي، والبرّاق أي البرّاك، وكون نصر الدين اللبناني سعودياً دون التعليق في الهاشم، والعقلة أي العُقلاء، وهذه كلها أسماء معروفة.

كان يمكن أن يتأكد منها بالسؤال لأهل الذكر، ومع هذه الملحوظة المنهجية تظلُّ الترجمة سلسةً أسلوبياً صحيحةً لغةً أعانت على الاسترسال في القراءة. ولا يتسع المجال لمزيد من الوقوف على أفكار الكتاب بما فيه العنوان، «علومة الإسلام»، إذ إنَّ لتلك وقوفٍ تطول، بما في ذلك الاسترسال في الحديث عن العولمة وارتباطاتها الثقافية والاقتصادية التي لم تترك عليها هذه الوقفات على اعتبار أنها محددة قويًّا من محددات العلاقة بين الشرق والغرب، وإنما جاء ذلك عرضاً في ثنايا الحديث عن المحددات كلُّها ومما حفلت به المكتبة العربية من إنتاج عربي أصيل أو مترجم.



المحدث السادس عشر

الإعلام

(١) الصور النمطية

ومن محددات العلاقة بين الشرق والغرب ذلك الانتاج الفني المتمثل في التقارير والأفلام السينمائية التي دأبت على تصوير العرب (المسلمين). صوراً لا تليق بالإنسان والحضارة، سواء من النواحي غير الأخلاقية، أم من تصوير العرب من خلال مواقفهم السياسية وتعاملهم معها بالعنف والتخريب والهدم «الإرهاب»، فالمسلمون في هذه الأفلام إما شهوانيون يشربون الخمر ويتعاطون المخدرات ويرقصون ويعاشرون الحريم ويكثرون من الجواري والقيان، وإما غشاشون مدنسون محталون ماكرون في التعامل مع الرحالة الأجانب والمستشرين ومع المنصرين والمستكشفين والبعثات الدبلوماسية، وإما غواة يعشقون التفجير والخطف والاغتصاب والإهانات الأخرى.



وهذه الصورة النمطية في التقارير المرئية والسينما والمسلسلات الغربية إنما جاءت بياحاء من المحدّد السابق المتعلّق بالاستشراق وربما اليهود، على اعتبار أنّ هناك اتفاقاً بين كثير من المعنيين على بروز سيطرة اليهودية على الفنّ عموماً، وعلى المدن التمثيلية بخاصة، مثل هوليوود في لوس أنجلوس بالولايات المتّحدة، بالإضافة إلى سيطرتهم على شبكات القنوات التلفزيونية، وبالتالي القنوات الفضائية التي ملأت الأرض بما تبُثُّ من أفكار ومشاهد، بينما اكتفت كثير من الفضائيات العربية باللهو والرياضة.

وقد نوقشت هذه الظاهرة في تصوير المسلمين هذه الصور من مجموعة من المهتمّين بتحسين الصورة العربية وال المسلمة أمام الآخرين، من أمثال الدكتور جاك جي. شاهين،^(١) والدكتور عبد القادر طاش - رحمة الله تعالى - الذي كتب عن الصورة النمطية للإسلام والعرب في مرآة الإعلام الغربي،^(٢) وإدوارد سعيد وزينب عبدالعزيز وغيرهم،^(٣) في كتب معلومة ويبحث

(١) انظر: جاك جي. شاهين. الصورة النمطية للعرب في الأفلام الأمريكية. - بالإنجليزية.

(٢) انظر: عبد القادر طاش. الصورة النمطية للإسلام والعرب في مرآة الإعلام الغربي. - الرياض: الدائرة للإعلام، ١٤٠٩هـ.

(٣) انظر: سوزانا طريوش. صورة العرب في الغرب: حلقة نقاشية عقدت في أكسفورد ٧ - ٩ حزيران ١٩٩٨م / ترجمة طلال فندي، مراجعة عواد علي. - عمان: المعهد الملكي للدراسات الدينية، ١٩٩٨م. - ص ٧٩.

ودراسات علمية^(١) ومقالات مبئوثة في الصحف الثقافية والدوريات العلمية^(٢) فيرجع إليها في مظانها لمن أراد المزيد من البحث والدراسة.

وقد يقال إنَّ العرب قد ساعدوا على ترسيخ هذه الصورة النمطية في الإعلام الغربي من خلال التراث الأدبي والفنى العربي المأْخوذ من ألف ليلة وليلة وكتاب الأغانى لأبي الفرج الأصفهانى ومجالس بعض الخلفاء المزعومة، من أمثال مجالس الخليفة العباسي هارون الرشيد وأبنائه وأحفاده.

والمشكلة هنا أننا أخذنا صورة الخليفة هارون الرشيد هذه من الغرب عن طريق الاستشراق، ثم عن الإعلام الغربي، فهارون الرشيد ذو المواقف التاريخية الذى كان يحيّ عاماً ويغزو عاماً تراه - رحمة الله - عند بعضنا مثلاً للغواية، حتى ذكر بعض المستشرقين أنه قد فصل ثواباً يدخل رأسين، رأسه ورأس جعفر البرمكى، وذلك من ولعه وحبه بجعفر، ويعلق المستشرق

(١) انظر رسالة الدكتور علي بن زهير القحطاني حول صورة العرب والإسلام والمسلمين في صحيفتي واشنطن بوست والنيويورك تايمز، لما بعد ١١ سبتمبر، باللغة الإنجليزية The Post-September 11 Portrayal of Arabs, Islam, and Muslims in The Washington Post and The New York Times: A Comparative Content Analysis Study-. Washington, D. C.: Howard University, 2002.

(٢) انظر الوققة ذات العنوان: الاستشراق، تلك التي تتحدث عن إدوارد سعيد من خلال كتابه: خارج المكان.



على هذا الخبر بأنه يعطي صورة لمدى الغواية التي وصل إليها الخلفاء المسلمين عموماً. ومع أنَّ هذا الخبر مكذوب على خليفة واحد فإنه أيضاً يسري عند هؤلاء على بقية خلفاء المسلمين.

وكما أتُهم الخليفة العباسى في عرضه - رحمة الله -، يتَّهم بشهوانيته، وأنَّه يتَّكئ على النهود العارية للجواري الصافات على الدرج وهو يرتقيه ليهجم في منامه! وهذا الاتهام ليس لآخر خلفاء بنى أمية الذين أسهموا في انتقال الخلافة إلى بنى العباس مع أنه لا يثبت، وليس اتهاماً لآخر خلفاء بنى العباس الذين طردهم المغول فأسهموا في سقوط الخلافة مع أنه لا يثبت كذلك، وإنما هو اتهام لخليفة يُعدُّ عصره عصرَ ازدهار الحضارة الإسلامية.

يأخذ الإعلام الغربي هذه الآثار ويصورها للعامة بعد أن يزيد عليها، ليقول للغربيين خاصةً هذا هو الدين الذي سيغزوكم، وهؤلاء هم الحكام الذين يسعون إلى الوصول إليكم. ولعلَّ من آخر هذه الحملات وليس آخرها فيلم خرج أخيراً بعنوان «المأخوذة» Taken، تُختطف فيه فتاة أمريكية في باريس عن طريق عصابة ألبانية، وينتهي بها المقام في أحضان شخصية عربية تشترى العذارى! فينقتذها والدها ويقتل كلَّ من يقف في طريقه، بما فيهم تلك الشخصية العربية التي ظهرت في الفيلم بصورة شهوانية مقرِّبة!



إذا ما فرغ الإعلام الغربي من التراث عرج على الواقع من خلال حوادث موجودة ولكنها منعزلة هناك تؤيد أن يبني عليها قصص وروايات هي مجال رحب للتمثيل، كاختطاف الطائرات والبوارخ وتفجير الملاعب والمحافل العامة وأخذ الرهائن، وينسج عليها روایات ويطعمها بمشاهد تقرّب من الواقع العربي ومن المجتمع العربي، ليقول للعامة من سُلَّم الغربيين: هؤلاء هم الناس هناك في الشرق يملّى عليهم دينهم هذه الأعمال الشهوانية والتخييرية ويعدهم جزاءً لها الجنة؛ لأنهم مجاهدون في سبيل الله. وهكذا تدخل المصطلحات الإسلامية هذا العبث في المدلول فيحصل التشويه وتعتمد الصورة على الماضي والواقع والتعلّمات.

إذا كانت هذه الصورة النمطية المتمثلة في مجموعة المشاهد قد بدأت من السينما فإنها انطلقت إلى بقية وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية بالمشهد أو المقالة أو الصورة الهزلية «الكاريكاتير» في صحف واسعة الانتشار، وفي صحف غربية محلية لم يسلم منها سيد المرسلين محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وآله وسلامه.^(١)

عندما فكرت المملكة العربية السعودية في استجلاب جبال

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الاستشراف والرسول ﷺ: مقدمة لنقد ورافي «بليوجرافي». - مجلة الجامعة الإسلامية. - ع ١٤٧ مع ٤٢ (١/١٤٣٠ هـ). - ديسمبر ٢٠٠٨ م). - ص ١٦٧ - ٢٠٣.



الجليد للحصول على ماء حالي «محلى» قابل للشرب صُورت هذه الفكرة في إحدى الصحف المحلية (مدينة جينسفيل بولاية فلوريدا، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) بجمل يجر جيلاً جليدياً، ومع مرافق جلب هذا الجليد عن طريق جرّه بالجمل يذوب الجبل تدريجياً عند مروره على خط الاستواء، حتى إذا وصل إلى محطة الأخيرة لم يبق منه إلا مكعب ثلج يضعه العربي بلباسه العربي في كأس من الخمر فيشيره!

هذه صورة واحدة أو مشهد واحد من المشاهد التي انتقلت بالصورة النمطية إلى بقية وسائل الإعلام الأخرى. والصور كثيرة جداً أصبحت مجالاً مؤثراً وفاعلاً في تحديد العلاقة مع الغرب، إذ إنها لعبت لعبتها في العقلية الغربية التي آلت في مفهومها عن المسلمين بهذه الصورة النمطية إلى رفض قيام علاقة جادة بين الشرق/ المسلمين والغرب؛ لما يتوقع من التأثير الإسلامي على الحياة الغربية تأثيراً سلبياً، إذا كان هذا هو الإسلام وإذا كان هؤلاء هم المسلمين. كما أنها أثرت في المجال الإسلامي تعاهد الغرب الذي آمن بهذه الدعاية وجعلها هي الوسيلة التي يحكم بها على أناسٍ هم على التقىض من ذلك تماماً.

رغم محاولات تصحيح الصورة بالجهود العلمية والثقافية من خلال الكتاب والمقالة والمحاضرة والحووار، إلا أنَّ الطريق طويلاً للتصحیح، لعله يبدأ من داخل المسلمين أنفسهم الذين لا نقول إنها تتحقق فيهم الصورة النمطية عنهم، ولكنهم - من دون



شك - أسهموا في بروز هذه الصورة النمطية، ولو بنسبة ضئيلة جداً، فلو لم يجد الغرب أرضية يتكئ عليها لما وفق كثيراً في هذا التشويه للإسلام والمسلمين. ومهما كان الطريق طويلاً نحو التصحيح وبالتالي التأثير فإنه يبدأ بالخطوة الأولى، ولعله قد بدأ.

(٢) أوريانا فلاتشي

وهذه وقفة أخرى حول كتاب الغضب والاعتزاز للكاتبة الروائية الصحفية الإيطالية أوريانا فلاتشي التي توفيت في فلورانسا مسقط رأسها ليلة يوم الخميس ليلة الجمعة ١٤٢٧/٨/٢١ هـ الموافق ٢٠٠٦/٩/١٥ عن سبعة وسبعين عاماً، وقد ذكرت الأخبار أنَّ شخصاً ليس مُسلماً عندما قرأ الكتاب ازداد تعاطفاً مع الإسلام، وربما أنه على وشك أنْ يعلن إسلامه أو قد تَمَّ له ذلك هو وعدد من قرأوا الكتاب رغبةً في الوصول إلى معلومة تؤيد نظرتهم السلبية عن الإسلام والمسلمين، إلا أنَّ النتيجة صارت عكسيةً؛ نظراً لما اتسم به الكتاب من لهجة تحرج المشاعر الإنسانية، ناهيك عن المشاعر المتممية للإسلام. (١)

(١) وصف جورج قرم هجوم كتاب فالاتشي بقوله: «أحرزت رسالة الهجاء المرعبة، التي تهاجم فيها الصحفية الإيطالية أوريانا فلاتشي بنبرة تنضح عنصرية، الإسلام والمسلمين، عقب اعتداء الحادي عشر من أيلول، نجاحاً متعاظماً في أوروبا». انظر: جورج قرم. شرق وغرب: الشرخ الأسطوري. - مرجع سابق. - ص ١٤٣.



مهما يكن من أمر فلاشي فليست هي الأولى ولن تكون الأخيرة التي ت تعرض للإسلام بهذا الأسلوب الهزلوي «الكاريكاتوري» الذي زاد من توهجه وذيوعه كتابها الغضب والكرامة، أو الغضب والاعتراض.^(١) بل ربما يستغرب المتابع أسلوب التهويين في الوقوف مع الكتاب والكاتبة، ذلك أنّ اللغة التي عالجت المؤلفة بها الموضوع هي لغة سطحية واضحة ومباشرة. والذين يقرأون ما يكتب عن الإسلام والمسلمين من بعض علماء الغرب والمستشرقين يدركون تماماً المراد من التهويين، ذلك أنّ هؤلاء العلماء والمستشرقين قد كانوا للإسلام وأهله بمكيالين، وفلاشي تكيل بمكيال واحد وهذا أهون.

يُعدُّ هذا الإرهاب الفكري نوعاً من أنواع الحوار بين الإسلام والأديان الأخرى. هذا الحوار ليس جديداً، بل إنه بدأ بدايات واضحة إبان بعثة الرسول محمد ﷺ، وعند الهجرة الأولى إلى الحبشة فكان هناك منظر خلاب يجسّد المناظرة بين المسلمين الجدد ورہبان النصارى المتمرسين بين يدي التجاشي، وكان هناك حوار آخر بين هرقل ومبعوث النبي محمد ﷺ، وكان هناك حوار ثالث بين النبي محمد ﷺ نفسه ونصارى جنوب جزيرة العرب، ثم امتدّت الحوارات إلى يومنا هذا، وستبقى كذلك إلى أنْ تقوم الساعة.

(١) انظر: جورج قرم. شرق وغرب: الشرخ الأسطوري. - المرجع السابق. -
ص ١٥٣.

وقد مرّ وزير مغربي - كما عند المقرizi في كتابه السلوك لمعرفة الدول الملوك - على مصر في طريقه إلى مكّة المكرّمة فوجد فيها أهل الذمة ينعمون بالحرّية، بحيث يتعدّر تمييز المسلم من النصراني.^(١) ورأى كذلك أنّ النصارى يعملون في الدولة على زمان السلطان الناصر محمد بن قلاوون، فأنكر الوزير ذلك في أنّ تظاهر النعمة على أهل الذمة وكونهم يلبسون أفسر الشياطين، ويركبون الخيل والبغال، ويُستخدمون في أجل المناصب، ويذلّون المسلمين ويمشونهم في خدمتهم،^(٢) مما كان سبباً في إصدار مرسوم يحدّ من هذه الانطلاقات ويعود بالذاكرة إلى ما عرف باسم الشروط العُمرية، التي يدور حولها مزيد من الحوار كذلك، كما عند الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق الكبير.^(٣)

يذكر التاريخ الحضاري الإسلامي بالأخبار التي تحدد مدى

(١) انظر: المقرizi، تقى الدين أحمد بن علي. السلوك لمعرفة الدول والملوک. - ط. ٢. - القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٧٠ م. - ٩١٣ - ٩٠٩.

(٢) انظر: المقرizi، تقى الدين أحمد بن علي. السلوك لمعرفة الدول والملوک. - المرجع السابق. - (٣) ٩٠٩ - ٩١٣.

(٣) انظر: صبحي الصالح. شرح الشروط العُمرية مجرّداً من كتاب أحكام أهل الذمة تأليف ابن قيم الجوزية. - ط. ٢. - بيروت: دار العلم للملائين، ١٤٠١/١٩٨١ م. - ص ٢٦٢. - وانظر أيضاً مختصراً لدى: شوقي أبو خليل. العهدة العُمرية: البُعد الإنساني في الفتوحات العربية الإسلامية. - دمشق: دار الفكر، ١٤٣٠/٢٠٠٩ م. - ص ٣٢.



التعامل مع أهل الكتاب في ما يطلق عليه أحكام أهل الذمة.^(١)
وليس المجال هنا مجال العرض لهذا الجانب مع أهميته.

إنَّ طرح فلانتشي سواء في كتابها هذا أم في كتابها الذي سبقه بعنوان «إِنْ شاءَ اللَّهُ» (١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م) أم في كتابها الذي لحقه بعنوان قوَّةُ العُقْلِ (١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م)^(٢) إنما هو نوع من الحوار، إذ إنَّ الحوار يأخذ أشكالاً متعددة، بعضها بهجومه وغطرسته عنيف جدًا، وبعضها بعلميته وموضوعيته حضاريٌّ جدًا، وبين هذين البعضين بعوضٌ آخرٌ متفاوتة في قربها من أيٍّ من البعضين. ويحكم ذلك عوامل الزمان والمكان والحال التي عليها المسلمين حينما يكونون أكثرية غير فاعلة، ويكون

(١) انظر مثلاً: حسن الجمي. أهل الذمة في الحضارة الإسلامية/ تقديم الشاذلي القليبي. - بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨ م. - ص ٢٠٧. وانظر كذلك: أ. س. ترتون. أهل الذمة في الإسلام/ ترجمة حسن جبشي. - ط ٣. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤ م. - ص ٢٨٠. - (سلسلة تاريخ المصريين؛ ٧٠). وسيدة إسماعيل كاشف. مصر الإسلامية وأهل الذمة. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣ م. - ص ١٨٠. - (سلسلة تاريخ المصريين؛ ٥٧)، وسلام شافعي محمود. أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥ م. - ص ٣٢٧. - (سلسلة تاريخ المصريين؛ ٧٥). وفاطمة مصطفى عامر. تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي. - ٢ ج. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠ م. - ص ٤١٦. - (سلسلة تاريخ المصريين؛ ١٧٢ - ١٧٣).

(٢) انظر: عمارة لخوص. الاستشراق، معناه السيء، على الطريقة الإيطالية. - الحياة.



أهل الذمة أقلية فاعلة، أو حينما يكون المسلمين أقلية فاعلة ويكون أهل الذمة أكثرية غير فاعلة.

يذكر عمارة لخوص في جريدة الحياة عرضاً لكتاب الأخير قوّة العقل، ويعرج على أسلوب الصحفية أوريانا فلاتشي مراسلة الحرب خلال الحرب الأمريكية على فيتنام وخلال الحرب الأهلية في لبنان، في طرحها للقضايا الإسلامية في كتبها الثلاثة وغيرها، بأنها «نفضت الغبار عن أطروحة عفا عليها الزمن سادت في القرون الوسطى، وغذّت مشاعر الخوف والكراهية والحدق، والتي كانت أرضية خصبة لشنّ الحروب الصليبية». (١) ويدرك أنَّ هذا الطرح أسلوب من أساليب «اغتيال الشخصية الإسلامية»، الذي زاد التركيز عليه في الآونة الأخيرة بالتحذير من تعريب أوروبا أي أسلامتها، «أوروبا العربية» (٢). Euroarabia

لا داعي للمزید من جلد الذات، فإنما هي دول، «وَتَلَكَ الْأَيَّامُ نُذَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ» [آل عمران: ١٤٠]. وإنما يغضب الفرد بقدر ما يمسُّ دينه بما ليس فيه، فيكون الغضب لله وفي الله.

(١) انظر: عمارة لخوص. الاستشراق، بمعنىه السيء، على الطريقة الإيطالية. – الحياة. – المرجع السابق. –

(٢) انظر: عمارة لخوص. الاستشراق، بمعنىه السيء، على الطريقة الإيطالية. – الحياة. – المرجع السابق. –



مع أنَّ هذا الموضوع شائقٌ إلا أنه في الوقت نفسه شائكٌ .
ومع هذا وذاك فهو مهمٌ جداً وحيوي ويحتاج إلى مزيد من التركيز في بناء العلاقات، بِغضُّ النظر عن التوجُّه السائد اليوم نحو العولمة والعلمنة ، فإنما هي حقبة من أحقاب مرَّت وستمرُّ، والحاجة قائمة إلى مزيد من الاطلاع وفهم الآخر «بالاستغراب» بعد فهم الذات .



المحدد السابع عشر

الحوار

(١) طرفاً للحوار

في السنوات الأخيرة ازداد الحوار المستمر بين الشرق والغرب، وأضحى يسمى اصطلاحاً «الحوار بين الإسلام والغرب»، وكان الإسلام هو الطرف الأول والغرب هو الطرف الثاني في الحوار أو العكس.

المتمعن في هذا الاصطلاح يدرك الغرض من إطلاقه، إذ إنَّ الإسلام ثقافياً منطلق واحد يحمل أفكاراً محددة منشؤها كتابُ الله تعالى القرآن الكريم وستة رسوله محمدٌ صلوات الله عليه وسلم.

أما الغرب فهو تجميع لثقافات عدّة بعضها ينطلق من منطلق ديني كالنصرانية واليهودية، وبعضها ينطلق من منطلق متناقض مع الدين ومحارب له في الحياة العامة، كالعلمانية الشاملة والشيوعية والاشراكية والإلحادية، ثم في صياغتها الأخيرة باسم



العلمة الثقافية، وغيرها من الملوك والنحّال التي تقف طرفاً آخر في هذا الحوار القائم الآن مع الإسلام.

الأصل أن يقوى الحوار ويستمر ويَتَّخِذ أشكالاً سلمية متعددة بحسب المقام من حواراتٍ فردية أو جماعية علمية أكاديمية أو فكرية أو تجارية أو اجتماعية، إذ لا يملك المرء اليوم إلا أن يكون طرفاً في هذا الحوار المستمر.

مع أن فكرة الحوار ليست جديدة على هذه الثقافة، إلا أنه يستغرب المرء تحفظ بعض المعينين من الحوار مع الآخر بحجج منها ارتباط الحوار بالتنصير،^(۱) وارتباطه بالتهيئة للاحتلال ونحو ذلك من حجج وقينية قد لا ترقى إلى العلمية الموضوعية. وليس لدينا نحن المسلمين ما نخفيه عن الآخر، ليتحفظوا على الحوار معه،^(۲) وليس لدينا كذلك ما نخشأه من

(۱) انظر: التبشير والحوار في: سعود المولى. الحوار الإسلامي المسيحي: ضرورة المغامرة/ قدم له الشيخ محمد مهدي شمس الدين. - بيروت: دار المنهل اللبناني، ۱۹۹۶م/۱۴۱۶هـ. - ص ۱۲۷ - ۱۳۶.

(۲) جرى في المجمع الفائيكاني الثاني (فاتيكاناثين) الذي عقد سنة ۱۹۷۵م الوصول إلى إحدى عشرة نقطة، هي جملة قرارات المجمع، وهي على النحو الآتي:

- ۱ - تبرئة اليهود من دم المسيح عيسى بن مریم - عليهما السلام -،
- ۲ - اقتلاع اليسار في عقد الثمانينات،
- ۳ - اقتلاع الإسلام في عقد التسعينات،
- ۴ - توصيل الإنجيل إلى البشر كافة،
- ۵ - توحيد الكنائس كافة تحت لواء كاثوليكية روما،



أن نصل إلى نتيجة مرضية في الحوار، إذ إنَّ المقصود من الحوار ليس النجاح فيه هدفًا، بل إنَّ النجاح وسيلة لا غاية، وعدم النجاح يعزى إلى المُحاور وليس إلى الموضوع المُتحاور فيه. وإنما الغاية هي نقل المعلومة الصحيحة عن الإسلام وتلقي المعلومة الصحيحة عن الثقافات الأخرى، ليكون هناك إقناع واقتناع.

أهمُّ من هذا كله أنْ يقوم الحوار على المعلومة الصحيحة الواضحة، وأنْ يقوم على التَّدِيَّة بين المُتحاورين، وأنْ تكون هناك نقاط تلاقي كما تكون هناك نقاط اختلاف، ليكون للحوار مغزى وثمرة دونما خوف من الغرب على الشرق/الإسلام أو خوف من الشرق/الإسلام على الغرب.^(١) وقد أبدع فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد في حديثه، بل أحاديثه

- = ٦ - فرض عملية التنصير على المسيحيين كافة، الكنيسيون منهم والعلمانيون،
 - ٧ - استخدام الكنائس المحلية في عمليات التنصير،
 - ٨ - فرض بدعة الحوار أسلوبًا للتنصير،
 - ٩ - إنشاء لجنة خاصة للحوار،
 - ١٠ - إنشاء لجنة خاصة لمهامات تنصير الشعوب،
 - ١١ - تغيير اسم لجنة محاكم التفتيش.
- انظر: زبيب عبدالعزيز. حرب صلبيّة بكل المقاييس. - مرجع سابق. - ٢٧ - ٥٣.

(١) انظر: عبدالله عبدالدائم. العرب والعالم وحوار الحضارات. - دمشق: دار طлас، ٢٠٠٢م. - ص١٣٦.



عن الحوار وطرقه وأدابه وأصوله، ونشر هذا في أكثر من مكان ومقام،^(١) فيرجع إليه لما فيه منفائدة مهتمة في مجال الحوار بين المسلمين وغيرهم.^(٢)

(٢) الفوقيّة والدوّنية

حوار الأديان قضية قديمة تتجدد مع الزمان. ويزيد من الاهتمام بها ازدياد الإقبال على الإسلام، فتهب العقائد الأخرى، لاسيما النصرانية، في محاولة التركيز على نقاط اللقاء. ومعلوم لدينا أنَّ هذا الحوار قد بدأ مع أول هجرة للMuslimين إلى الحبشة - كما سبق ذكره أكثر من مرَّة - فحاورهم النجاشي حواراً أراد منه أنْ يصل إلى الحقّ، ولذلك عندما وصل إليه آمن بالبعثة وتوفي مسلماً مؤمناً بالله ورسوله محمد ﷺ.

ثم قدم وفد نجران إلى الرسول ﷺ وكان بينه وبينهم حوار انتهى بإسلام بعضهم على الأقل. وكان هناك حوار بين موقد النبي ﷺ وهرقل عظيم الروم. وكلُّ هذه المحوارات مسجلة في سيرة المصطفى - عليه الصلاة والسلام -. ^(٣) واستمرَّ الحوار إلى

(١) انظر: صالح بن عبدالله بن حميد. أصول الحوار وأدابه. - جدة: دار المثارة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م. - ص٤٠.

(٢) انظر: في آداب الحوار: عمر بن عبدالله كامل. آداب الحوار وقواعد الاختلاف. - في: المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب. - الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. - ص٣٤.

(٣) انظر: عبدالسلام هارون. تهذيب سيرة ابن هشام. - ط٣. - القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، ١٤٩٦هـ/١٩٧٦م. - ص٤٧١.



يولمنا هذا في نماذجٍ فريدةٍ ي يريد منها المحاور المسلم إقناع الآخر بالرسالة؛ طمعاً في إسلامه أو درء شرّه على الأقلّ إنْ أصرَّ على الكفر بالرسالة والرسول ﷺ.^(١)

الذي يجمع بين الحوارات الفاعلة انطلاقاً المحاور المسلم من قوّة الإيمان بالله تعالى وبالرسالة والرسول ﷺ. ويكفي أن تذكّر موقف ربعي بن عامر رض في قوله لكسري: «إِنَّ اللَّهَ ابْتَعَنَا لِنَخْرُجَ مِنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَمِنْ ضيقِ الدُّنْيَا إِلَى سَعْتَهَا، وَمِنْ جُورِ الْأَدِيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ».^(٢)

أمّا إذا لم ينطلق المحاور المسلم من هذه القوّة فإنَّ الأمر لم يُعدْ يأخذ صفة الحوار، بل يمكن أنْ نسميه بأيِّ اسم آخر كالاعتذار أو الدفاع أو التسويف لأحداث وقتيَّة قد تلصق بالإسلام أو قد تنطلق على أنها من هذا الدين بينما هي ليست بالضرورة منه. وقد تكون منه ولكن الاعتذار أو التسويف أو الدفاع يأتي لأنها أوامر أو نواهٍ لا تعجب الآخر، فتتقدم بها معتذرين عنها ونحن بصدق نشعر بالدونية في مقابل الآخر.

متى ما سيطر عاملُ الدونية والفوقة في أيٍ حوار فإنَّه لا

(١) انظر: محمد خاتمي. حوار الحضارات / ترجمة: سرمد الطائي. - دمشق: دار الفكر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. - ص ١٥٢.

(٢) انظر: عبدالسلام هارون. تهذيب سيرة ابن هشام. - مرجع سابق. - ص ٤٧١. - وانظر أيضًا: أبو الحسن علي الحسني الندوبي. الإسلام والغرب. - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥هـ/١٤٠٥م. - ص ٢١ - ١٩.

يسمى حينئذ حواراً بالتعريف الإجرائي للحوار بين عقیدتين، ومثله في ذلك حوار رئيس العمل الجاف الجلف مع عامله الضعيف المنكسر الخائف.^(١)

إنَّ حواراتِ الزَّمْنِ الْحَالِيِّ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِ الْمُسْلِمِينَ لَا يصدقُ عَلَيْهَا مفهومُ الْحَوْارِ الإِجْرَائِيِّ بَيْنَ عَقِيْدَتَيْنَ أَوْ أَكْثَرَ، ذَلِكَ أَنَّ أَعْلَبَ الْمُحَاوِرِينَ وَلَيْسَ كُلَّهُمْ مُتَهَمِّمُونَ بِاتِّبَاعِهِمُ الْأَسَالِيبُ الْاعْتَذَارِيَّةُ وَالْدِفَاعِيَّةُ وَالْتَّسْوِيْغِيَّةُ فِي حَوْارَاتِهِمُ مَعَ الْآخَرِ، ذَلِكَ أَنَّ الْآخَرَ رِبَّما يَرْكِزُ فِي حَوْارِهِ عَلَى ظَاهِرَاتِ اِجْتِمَاعِيَّةٍ طَارِئَةٍ عَلَى الْمُجَمَّعِ الْمُسْلِمِ دُفِعَ إِلَيْهَا وَضَعَ غَيْرَ طَبِيعِيٍّ فِي ذَلِكَ الْمُجَمَّعِ.^(٢)

من ناحية أخرى يظهر أنَّ الْمُحَاوِرَ الْآخَرَ قد وضع تصوُّراً في ذهنه للحياة والعلاقات، وأراد من الآخرين أن يقربوا منها في

(١) انظر نماذج من هذا الموقف الاعتذاري في: كلثوم السمعي. نحن والغرب: حوارات مع: حمادي الصيد، وسهيل إدريس، والظاهر لبيب، وعبدالمجيد الشرفي، ومحمد الطالبي. - تونس: مؤسسة عبدالكريم بن عبدالله، ١٩٩٢م. - ص ١٣٨. وانظر في ذلك كذلك: عبد الوهاب المؤدب. أورهام الإسلام السياسي. - مرجع سابق. - ص ٢٢١. وفي هذا المرجع الأخير الذي بذل فيه الكاتب جهداً كبيراً قدر عالٍ من التهزة، خلط فيه الكاتب بين من يستحقون ومن لا يستحقون منطلق تغريبي يبرر فيه قدر من التأثر بالكتاب الغربيين المتطرفين المتحاملين على الإسلام.

(٢) انظر حوارات أحمد الشیخ مع رهط من المثقفين العرب في: أحمد الشیخ. من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب. - القاهرة: المركز العربي للدراسات الغربية، ٢٠٠٠م. - ص ٣١٩. وقد حاور فيه واحداً وعشرين مفكراً عربياً.

وقت هو فيه الغالب والسيطر على الحياة الاقتصادية والثقافية والفكرية، ولذا فإنَّ مقياسه نابع من نظرته هو.

لذا يقوم حواره على اتهام الآخر بأنه لم يصل إلى المستوى الاقتصادي والسياسي والفكري الذي وصل إليه هو، وإنْ يكن قد بني هذا كله على مقدمات خاطئة وقواعد غير راسخة، ولكنه لا يعترف بذلك، ومن هنا، ولهذين العاملين المتوفرين في المتحاورين من الجهتين، يفقد الحوار الغرض الذي قام من أجله، ولا يكون الإقناع والاقتناع هدفاً أساسياً من أهدافه، فالقوى في هذا الحوار يريد أن يملي أفكاره، والضعف فيه يزيد أنْ يعتذر عن أفكاره، رغبةً خاطئة منه في محاولة الاقتراب.

وقد بدا في لقاءات الحوار التي تتمُّ في بعض البلاد العربية شيءٌ من هذا من الطرفين أو من الأطراف المتحورة، ومن خلال المتابعة الإعلامية لهذه الحوارات يظهر أنه قد تجسّدت فيها مفهومات الدونية والفوقية، وإنْ لُمس الاعتذار من الطرف الآخر في مسألة البوسنة والهرسك مثلاً، الأمر الذي أدى بالجانب المسلم إلى الاعتذار عن الضرر أنفسهم وأنهم لا يمثلون النصرانية التي تسود اليوم! وليت هذا الاعتذار قد جاء من جانب آخر لكان الأمر أسهل وللدخول في منطق التسويفية التي تهيمن على حوارات اليوم. (١)

(١) تأسست مكتبة الإسكندرية عقد ندوات للحوار بصورة دورية، بحيث تختار موضوعاً محدداً للحوار مع الآخر. وهي سلسلة من الندوات موجودة على موقع المكتبة الإلكتروني.



إننا لا نزال نحتاج إلى الوقت غير المحدد الذي نقوّي فيه انتساعنا لهذا الدين، ففهمه فهمًا يؤهّلنا إلى تقديميه إلى الآخر بالقوّة المطلوبة التي لا تعني بالضرورة العنف كما قد يُفهم منها. وهذا أمر متتحقّق والمسألة مسألة وقت ومزيد من الوعي.

(٣) التحفظ

هناك جملة من الكتاب العَرب يتحفظون على فكرة الحوار مع الآخر من يختلفون عنا في الدين، بل إنَّ أحد المؤلفين قد وصل به الرأي إلى تحريم التعامل مع فئة أولئك القوم لا سيما المستشرقين منهم.^(١) ويرى المؤلف أنَّ التعاون معهم إنما هو من باب الموالة لهم. ويورد نصوصاً شرعية تؤيد ما ذهب إليه في رأيه. ويظهر هذا على سبيل المثال في الطبعة الثانية من كتاب رؤية إسلامية للاستشراق للأستاذ الدكتور أحمد عبد الحميد غراب.^(٢)

هل الحوار مع الآخر يعني بالضرورة التعاون معه؟ وهل التعاون على الأمور المشتركة مما يدخل في المحظور؟ وهل التعاون المطلوب معه يعني بالضرورة مواليته؟ يبدو أنَّ مسألة الولاء والبراء في هذا الرأي غير واضحة ولا تنطليق من رؤية

(١) انظر: أحمد عبد الحميد غراب. رؤية إسلامية للاستشراق. - ط٢. - لندن: المنتدى الإسلامي، ١٤١١هـ. - ص ٧٢ - ٨٠.

(٢) انظر: أحمد عبد الحميد غراب. رؤية إسلامية للاستشراق. - المرجع السابق. - ص ٧٢ - ٨٠.



علمية بقدر ما تنطلق من موقف آني أو نظرة عاطفية لا تُكُنْ موقعاً إيجابياً مع الغرب على غرار ما دعت إليه بعض المحركات الإسلامية، ويبدو كذلك أنَّ على أهل العلم أنْ يرَكِزوا على مسألة الولاء والبراء، من حيث حدودهما ومدلولاتهما، بلْ مفهومهما.

الحوار الذي يتحفظ عليه بعض المعينين من المفكرين هو ذلك الحوار الذي يشعر فيه المحاور المسلم بالدونية أمام الآخر الذي يُشعر من يحاوروهم بأنه على قدر كبير من العلم والمعرفة والتَّفُوق الحضاري. ومن ذلك أيضاً التحفظ على إطلاق هذا الحوار بأنه حوار الأديان، وإنما هو حوار أهل الأديان؛ لأنَّ إطلاق حوار الأديان قد يتضمن الاعتراف الضمني بسلامتها. وهل حوار الأديان إلا حوار أهل الأديان من قبيل قوله تعالى: و«أسأل القرية»؟

هذا ما يشيره الأستاذ الدكتور حسن بن فهد الهويمل في حديثه عن الاستشراق في مجلة المنهل في عدد يعود إلى سنة ١٩٨٩/٥١٤٠٩ حينما يرَكِز على مشكلة عدم التكافؤ بين المحاورين، بسبب شعور طرفٍ منها بالفوقية على الطرف الآخر من دون شعور الطرف الآخر بالضرورة بالدونية تجاه المحاور. (١)

(١) انظر: حسن بن فهد الهويمل. الفوقية الحضارية. - المنهل. - ع ٤٧١ (مج ٥٠)، (رمضان وشوال ١٤٠٩ هـ - أبريل ومايو ١٩٨٩ م). ص ٢٧٧ - ٢٩٢.

الخطأ هنا ليس في الحوار ذاته، بل هو في المحاورين بفتح الروا وكسرها. والمحاور المسلم مطالب بعدم الهوان: ﴿وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَخْرُقُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، والعلو هنا مربوط بالإيمان لا العلو الموجه بالغطرسة والعرقية والجنس البشري، بل العالي هنا هو المؤمن أين يكون وكيف يكون ومتى يكون. وإذا تحقق الإيمان لدى الشخص تتحقق لديه العلو الذي يفرض نفسه على الآخرين.

إمام المحاورين بعلو الأديان هو سيدنا محمد ﷺ حينما وفدت عليه الوفود فحاورهم داخل المسجد، وكان بينهم أحد وردد وسؤال وجواب وحجاج، انتهى في الأخير إلى أن يعلن بعض المحاورين إسلامهم معبقاء بعض منهم على عنادهم - كما مر ذكره كثيرا في هذه الوقفات - ويبقى آناس على عنادهم ومكابرتهم وتعاليهم على مر العصور. ثم إن وفود سيدنا محمد ﷺ قد حاورت الآخر من عظماء الأمم في ذلك الوقت في عقر دارهم من دون أن يشعر الموقد بذرة من الدونية أمام جبارة الأرض.

تعرض الجاليات المسلمة المتغربة في المجتمعات غير مسلمة والجاليات غير المسلمة في المجتمعات المسلمة دائمًا لنوع من أنواع الحوار وشكل من أشكال الحصول على المعلومات المباشرة من الأخلاص المخلصين في علمهم ونباهتهم وحملهم الهم، فهل يتصور أن يتمتنع مسلم مسؤول عن



قضية ما عن تبيان حقيقتها التي يعرفها هو، وذلك بحجّة أنّ هناك موقعاً غير إيجابيًّا من الحوار؟

ليس هنا ادعاء بإثارة شيء جديد، ولكنه موضوع يتجلّد دائمًا، ويُتطلّع إلى حسم الرأي فيه شرعاً أولاً، بحيث لا يشعر المحاور المسلم بأيّ حرج من محاورة الآخر، والجسم قد يعني إسقاط بعض الآراء المانعة للحوار إذا لم تستند على دليل قوي، أو ربما أخطأ في استخدام النصوص دليلاً على توجّهها.

لقد تعرّض الإسلام لحملات من التشويه على أيدي بعض المستشرقين والمنصّرين والإعلاميين. وهو يتعرّض لهذا في زماننا الحاضر، ولكن هذه الحملات لا تعني أنّ توقف عن الاتصال بالآخر بالتحاور معه وتبيان ما عُمِي له عن الإسلام وعن دياناته التي يتميّز إليها. (١)

موضوع الحوار يحتاج إلى مزيد من الوقفات، فقد تبيّن من رصد هذا الموضوع أنّ هناك كتاباتٍ كثيرةً من كتب ومقالات عن الحوار مع الآخر، (٢) تحتاج إلى المزيد من التحليل.

(٤) الخصوصية

المجتمع العربي جزء من المجتمع الكبير جداً يتأثر فيه

(١) انظر: أحمد عبد الرحيم الساigh. في الغزو الفكري. - الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٤هـ. - ص ١٥٧. - (سلسلة: كتاب الأمة ٣٨).

(٢) انظر: ناصر الدين الأسد. نحن والآخر: صراع وحوار. - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٧م. - ص ١٣١.



ومنه، وهو يؤثّر فيه كذلك، بحكم هذه الخصوصية التي يصرّ المجتمع العربي على التوكيد عليها، رغم محاولات التنصلّ من هذا التوجّه، بل والملل من تردّيه.

رغم ما قد يقال إنها ليست خصوصية يفرد بها المجتمع بقدر ما هي قاسم مشترك لجميع من يحملون همّ هذه الخصوصية، وهذا صحيح، إلا أنّ المجتمع العربي يمثل هذه الخصوصية في هذا الزمان أصدق تمثيل، إذا ما قورن بالمجتمعات الأخرى. وهذا سرّ من أسرارِ تأثير هذا المجتمع الصغير على المجتمع الكبير جدًا.^(١)

وهناك تخوّف من تأثير المجتمع العربي بالمجتمعات الأخرى، لاسيما تلك التي تسلّمت زمام الحضارة والنهضة وسارت به إلى درجات متقدّمة جدًا من العلم والنماء جعلته يخرج من محيط الأرض. والتخوّف يأتي من الخشية من أن يكون التأثير على حساب المبادئ التي يؤكّد عليها فعلاً وقولاً، وتبني ثقافة بديلة تهتمُ بالدنيا على حساب الآخرة.^(٢)

حيث إنّ هذا المجتمع يرحب في النهوض، مثله في ذلك مثل غيره من المجتمعات، وحيث توافرت مقوّمات النهوض

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. السعوديون والخصوصية الدافعة: وقفات مع مظاهر التغيير في زمن العولمة. - مرجع سابق. - ص ٣١٢.

(٢) انظر: شاريل بستانر. الإسلام الديمقراطي المدني: الشركاء والمصادر والإستراتيجيات. - واشنطنون: مكتب رائد للاتصالات الخارجية، ٢٠٠٢. - ص ١٠٩.

المادّية والبشرية، أراد أن ينهل من علم المادة، فلم يكن أمامه إلا أن يطرق المدن الجامعية المتقدمة علمًا وبحثًا. فذهبت مجموعة كبيرة من أبناء المجتمع إلى معقل الحضارة والعلم في أوروبا وأمريكا وروسيا ونالت من هناك المؤهلات العلمية العالمية في شَيْء فنون المعرفة، حتى بعض فروع العلوم الإنسانية أخذت من هناك. وهنا يبدأ التأثير والتأثير، إلا أن الوفود الأولى في معظمها اكتفت بالتأثير أكثر من التأثير، الذي لم يتضح بصورة تدعو إلى الفخر إلا في السبعينيات الهجرية/ الخمسينيات الميلادية عندما كثرت الوفود، وبدأت بوادر الثقة بالذات وبالمبادئ تبرز بصورة أكثر وضوحاً. وقد سبق الحديث عن هذا الجانب في المحدد ذي العلاقة بالبعثات. ^(١)

ذهب الدفعات الأولى وفي مخيماتها أنها ذاهبة لمجتمعات مثالية في التعامل مع الحياة، من حيث احترامها للنظام وبعدها عن كل ما من شأنه أن يسيء إلى مجتمع متحضر من الجوانب السياسية والاجتماعية والعلاقات الإنسانية. فأصبحت هذه الدفعات الأولى ترى من أي تصرُّف في هذه المجتمعات الناهضة مثلاً ينبغي أن يُحتذى ويطبق في المجتمعات الأخرى رغم الاختلاف في البيئة وفي الخلفية وفي المنطلق وفي الثقافة وطريقة التفكير.

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. مجالات التأثير والتأثير بين الثقافات. - مرجع سابق. - ص ١٧٩.



المثال يقتضي أنْ يُقاس عليه كُلُّ تصرُّف أو سلوك، فما طابقه فهو الصحيح وما خالفه فإنه خطأ ينبغي التخلص منه. ولذا تجد أنَّ البعض منا ممن عاش في الغرب يضرب دائمًا لك الأمثال بأنَّ القوم هناك يفعلون هذا ولا يفعلون ذاك، وبأنَّ النظام (القانون) والنظام العام هناك يسمح بكلِّ ما لا يسمح به. وإذا ما بُرِزَ تصرُّف هنا ذهب المخاطر إلى هناك، فإنَّ وجد له هناك مثل قيلَ، وإنَّ لم يكن له هناك مثل اعتُبر خطوة إلى الوراء، ذلك أنَّ القوم هناك لم يوجد لديهم ما يقرب من التصرُّف الخاضع للقياس.

سواء صرَّح بعض العائدين بهذا أم لم يصرَّحوا به، فهو الغالب في الذهن. ومسألة التأثير واردة على أيِّ حال؛ لأنَّ أيِّ مجتمع لا يملك أنْ يعزل نفسه عن المجتمعات الأخرى، ولا يمكن أنْ يُعدَّ نفسه مؤثِّرًا غيرَ متأثِّر، مهما زعم هذا المجتمع أنه يملك كلَّ شيء. وعليه، فإنه لا حُجَّة لمن يرفض التأثير بالمجتمع الآخر، بحجَّة أنه يخالف مجتمعنا في المبادئ والخلفيات والمنظلمات والثقافة وطريقة التفكير.

ولعلَّ هذه الفئة الرافضة للتأثير جاءت مصاحبة للفئة التي أرادت الانغماض في الآخر، أيِّ التأثير المطلق في المثال القدوة الذي ما يزال يردد أنَّهم هناك يفعلون هذا ولا يفعلون ذاك، فإذا عملوه فلا شيء فيه، وإذا لم يعملوه ففيه شيء، وقبل أنْ يصدر الحكم على تصرُّف أو سلوك يقاس بما يعملونه؛ ليكون فيه شيء أو لا شيء فيه! ومن هنا برزت إزاء هذا التوجُّه مواقف ثلاثة:



الموقف الأول: موقف المتأثر تأثراً مطلقاً، ويرى مثالية ذلك المجتمع وضرورة كونه قدوةً في مجالات الحياة كلها!

الموقف الثاني: موقف الرافض مطلقاً ويرى خطراً ذلك المجتمع وضرورة تجنبه، والاكتفاء منه بما يتعجمه مادياً، بحكم أنه لا غنى عن هذا المتّبع، ولذا يرى هذا الفريق عدم التعامل المباشر معه ويكتفي منه بالتأثير عليه فقط!

الموقف الثالث: والموقف الثالث الذي يحتل المرتبة الوسط، فيؤمن بالتأثير بأي مجتمع أو بيئة، كما يؤمن بالتأثير على أي مجتمع وبيئة، ذلك أنه يملك الثقة بما لديه من مبادئ ومُثل ومنطليقات، وثقته هذه سمحت له بالتأثير فيما لا يطغى على ذاتيته وخصوصيته وتميزه، كما سمحت له بالتأثير؛ لأنّه يؤمن بأنّ ما لديه نافعٌ ومفيد، ليس له ولبيته فحسب، بل للجميع، ولا حقّ لأحد أن يحجزه أو يحجبه عن الآخر.

الموقف الأول (القبول المطلق) أو التأثر المطلق فيه خطورة واضحة على المجتمع المتميّز.

الموقف الثاني (الرفض المطلق) أو التأثير فقط، فيه خطورة واضحة أيضاً على المجتمع المتميّز. ذلك أنّ الأول يميّز فكرة التميّز والخصوصية، والثاني يقع هذا التميّز والخصوصية و يجعله تميّزاً وخصوصية حاصلتين.

لم يصدر هذا الموقف من فراغ وليس هو تأثر ذاتي بالمجتمع الآخر فقط، بل إنّ هذا المجتمع المتأثر به أملٍ على



المتأثرين مباشرةً أو عمليًا أنه إنما وصل إلى ما وصل إليه بفضل تخلّيه عن المبادئ التي كان يقوم عليها، لاسيما الدينية منها، ولذا فإذا كانت المجتمعات الأخرى التي لا تزال تعيش حالة من التأثر وتريد النموًّ فإنَّ عليها أنْ تخلص من بعض مبادئها التي يعتقد بالقياس أنها هي التي تحول دون نموها. وقد قيل في أدبيات الاستشراق صراحةً: إنَّ الغرب قد تقدَّم بفضل تخلّيه عن نصرانيته والشرق تأثَّر بسبب تمسُّكه بإسلامه. ^(١)

أما أدبيات التنصير فقد قالت صراحةً: إنَّ الغرب تقدَّم بفضل تمسُّكه بنصرانيته، والشرق يتأثَّر بسبب تمسُّكه بإسلامه – كما سبق التعرُّض له من قبل –. ولأنَّ التنصير واضحُ المعالم لم تؤخذ مقولته بالقبول، بينما أحدثت مقوله الاستشراق العلماني شيئاً من التعاطُف معها؛ لأنَّ ظاهر المجتمع الآخر متخلٍّ عن مبادئ الدينية بخاصةً، وتخلّيه عن المبادئ أصبح عند بعض الناس قدوةً أو مثالاً ينبغي أنْ يحتذى، الأمر الذي يحتاج معه إلى مواجهة علمية موضوعية تخفِّف من هذا الاندفاع الذاتي نحو الآخر؛ بسبب عدم الرضا عن الواقع المحلي وربط أسباب عدم الرضا بالأسلوب الذي تطبَّق فيه المبادئ. ^(٢)

(١) انظر: رضوان السيد. مسألة الحضارة والعلاقة بين الحضارات لدى المثقفين في الأزمنة الحديثة. – مرجع سابق. – ص ٩.

(٢) انظر: كمال أبو المجد. حوار لا مواجهة. – القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٢م. – ص ٣٠٣. – (سلسلة مكتبة الأسرة).

هذا كله داخل في مفهوم الحوار العام مع الثقافات الأخرى الذي يتم بأساليب مختلفة، ومنها هذا الشعور بالدونية أمام الآخر، الأمر الذي ينبغي عملياً التخلص منه متى ما بُنيت الثقة بالذات القائمة على الوضوح في فهم الإسلام والإيمان، اعتقاداً بأنه دين لا كمثل الأديان الأخرى،^(١) لا يقف في طريق النمو، بل لا يقف في طريق التأثير الموجّه والمؤصل.

(٥) الجدل

نوقشت رسالة نال بها صاحبها عبدالله بن عبدالعزيز الشعيبى درجة الدكتوراه في الثقافة الإسلامية، وكانت حول الجدل بين المسلمين والنصارى في العصر الحديث.^(٢) والجدل نوع من أنواع الحوار المباشر،^(٣) من منطلق قوله تعالى في سورة آل عمران: «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْ إِلَيْنَا حَكَمْ سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا

(١) انظر: أحمد بن سيف الدين تركستانى. الحوار مع أصحاب الأديان: مشروعه وشروطه وأدابه . . . في: المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب. - الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م . - ص ٣٦.

(٢) انظر: عبدالله بن عبدالعزيز الشعيبى. الجدل بين المسلمين والنصارى في العصر الحديث: دراسة نقدية. - الرياض: المؤلف، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م . - ص ٥٦٧.

(٣) انظر: خالد عبد العظيم عبد الرحيم السيوطي. الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأئنة: ابن حزم - الخزرجي . - القاهرة: دار قباء، ٢٠٠١م . - ص ٢٩٦.



نَصِيبٌ إِلَّا اللَّهُ وَلَا شُرِيكَ لَهُ شَيْئًا وَلَا يَسْعَدُ بَعْضُنَا بِعَصْمًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ
اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُوْكَ ﴿الآية ٦٤ من سورة آل
عمران﴾.

تبني الداعية الشيخ أحمد ديدات - رحمة الله تعالى - هذه الآية في دعوته للحوار مع غير المسلمين عندما يحاضر بين المسلمين.^(١) وكان يقول إننا نردد هذه الآية الكريمة في الصلاة، وعند قراءة القرآن الكريم. فهل طبقناها في حياتنا اليومية؟!^(٢) وكذلك من منطلق الآية الكريمة: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ
رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَنِيدُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الآية ١٢٥
من سورة النحل].

للحوار أشكال وأساليب كثيرة، منها المناظرات التي تزعّمها الشيخ الداعية أحمد ديدات وبعده الداعية ذاكر حسين نايك صاحب قناة السلام الفضائية، ومنها الجدل المباشر الذي يدخل في مفهوم المناقضة، ومنها المؤلفات والردود والمؤتمرات والمراکز الدينية والعلمية التي تقوم في المجتمعات غير المسلمة.

(١) توفي الداعية الإسلامي أحمد ديدات - رحمة الله تعالى - يوم الأحد ٢/٧/٢٠٠٥ هـ الموافق ٧/٧/١٤٢٦.

(٢) انظر: عبدالله بن حمد الشبانة. يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء. - الرياض: دار الهدى، ١٤٠٧هـ. - ص ٢٦١. وانظر أيضاً: رؤوف شليبي. يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء. - ط ٢. - القاهرة: دار الاعتصام، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م. - ص ٣٣٥.

وجود المراكز الدينية والعلمية غير المسلمة في المجتمعات المسلمة يُعدُّ نوعاً من أنواع الحوار، الذي يفضل البعض تسميته بحوار الحضارات والثقافات ابتعاداً خجولاً عن لفظة الدين، لما فيها من الحساسية لدى البعض من غير المسلمين من أبناء المسلمين وغير المسلمين من أبناء الديانات الأخرى.

يظهر أنَّ الحوار الحضاري والثقافي لا يمكن أنْ يخلو من المساحة الدينية، ذلك أنَّ الحضارات والثقافات القائمة الآن إنما قامت على الدين، وتفوح رائحتها بالخلفية الدينية التي انطلقت منها، رغم تجاهل الدين ظاهراً على الأقلِ. واستعراض الأسماء سواء أسماء الأشخاص أم المدن أم المرافق الحضارية والثقافية أم المنتجات التجارية والطبية يُظهر أنه تكاد لا تخلو من خلفية دينية.

عليه، فإنَّ الحوار قائم بأشكاله المختلفة. والمزعج هنا ألا يدرك المسلمون كُنه هذا الحوار، فيكون حواراً من طرف واحد هو المتوج أو المرسل أو مصدر المعلومة، ويكتفي الطرف الثاني وهو المسلمون هنا، بدور المستهلك أو المستخدم أو المستقبل لتلك المعلومات. ويبدو أنَّ خروج مجتمع ما من المجتمعات، ول يكن هنا مجتمعاً مسلماً، عن أطواره في تقاليده وعاداته وسلوكياته، إنما هو أثر من آثار الحوار.

يتَّضح هذا الموقف أكثر عندما يخرج المجتمع من طور عشه قروناً من الزمان إلى طورٍ جديد عليه، مطبَّق في مجتمع آخر يدين بشقاقة أخرى ويتبَّع حضارة مختلفة. وهذا ما نسميه



أحياناً بالتجزيف الذي يعني منه المجتمع المسلم، حينما يعمد إلى تبني ثقافة الآخر في كل سلوكياته الخاصة وال العامة أو في معظمها - كما مرّ بيانه في المحدد ذي العلاقة بالتجزيف ..

من منطلق هذه التبيّنة من نتائج الحوار، وهي التجزيف، نجد أنَّ الحوار قد يقتصر على أبناء الأُمَّة الواحدة الذين يفترضون على فرقين؛ فرقة تدعى إلى الأصالة ونبذ الضارِّ من المستورد، وفرقية تدعى إلى تبنيِّ أفكار الآخر وثقافته وحضارته؛ بحجة أنَّ هذه الأفكار والثقافة والحضارة هي التي أوصلته إلى ما وصل إليه، في الوقت الذي يدعي فيه هؤلاء أنَّ هذا التخلف الذي وصل إليه المجتمع المسلم والمجتمع غير المسلمين من العالم الثالث هو نتيجة لتبنّيه الثقافة التي يتبنّاها الآن. ويظهر أنَّ في هذا غلوًّا يقود إلى غلوًّ في رفض كلِّ ما هو أجنبي. وهذا ما حدا برابطة العالم الإسلامي بالدعوة إلى عقد لقاء بين العلماء والمفكّرين المسلمين سنة ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م لتحديد استراتيجية للحوار مع الآخر.

إزاء هذه الأفكار المنشورة حول الحوار صار لزاماً على المسلمين أنْ يخطوا خطوات إيجابية في هذا المضمار قبل أنْ يسبق السيف العذل.

(٦) حوار التجار

يقرُّ بعض المستشرقين أنَّ الإسلام قد انتشر



بالسيف،^(١) ويرد عليهم بعض المسلمين أنَّ الإسلام لم ينتشر بالسيف،^(٢) ولكلُّ أدلة، إلا أنَّ معظم المستشرقين يهمُّهم التعميم في إطلاق الأحكام السلبية ما دامت تخدم الغرض. والذِّي نعرفه نحن المسلمين أنَّ الإسلام يضع المدعوين أمام ثلاثة خيارات؛ الإسلام أو العجزية أو القتال. والقتال هو الخيار الأخير وهو كُرْهٌ وليس غاية كما أنه ليس مطلباً.^(٣) كما أنَّ الذي نعرفه نحن المسلمين أنَّ الجهاد ذروة سنام الإسلام، ذلك الجهاد الذي فهمه المجاهدون الأوائل، وأنَّ القتال جزء من ثلاثة عشر جزءاً من الجهاد، وليس الجهاد كُلُّه قتالاً،^(٤) وأنَّ ماضِ إلى يوم القيمة،^(٥) ونحن لا نعتذر في ذلك لأحد؛ إذ إنَّ هذا من معتقدنا.

(١) وهذه من افتراءات بعض المستشرقين التي فندها بعض الكتاب المسلمين الذين توروا الرد على الشبهات التي أثارها المستشرقون

(٢) انظر مثلاً: أحمد شلبي. الاستشراق: تاريخه وأهدافه، شبهات المستشرقين: مناقشتها وردتها. - القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د.ت. -

٢١٢.

(٣) قال الله تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرُهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ...». الآية ٢١٦ من سورة البقرة.

(٤) انظر: ابن قيم الجوزية، الإمام المحدث شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعبي الدمشقي. زاد المعاد في هدي خير العباد. - مرجع سابق. - ٩: ١١.

(٥) من منطق حديث المصطفى محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «ابابُ الْجَهَادِ مَاضٍ مَعَ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ لِقَوْلِ السَّيِّدِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَيْلُ مَقْعُودٌ فِي تَوَاصِيهِ الْخَيْرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». رواه البخاري وأبو داود وأحمد في المسند.



إلا أنَّ هذا المصطلح «الجهاد» قد أُخضع لقدر من سوء الاستخدام، بحيث أصبح يطلق على عمليات ليست بالضرورة داخلة في مفهوم الجهاد كما فهمه سلف هذه الأمة، مما أدى إلى تشويه هذا المفهوم ومحاولة التملص والتخلص منه من قبل بعض الاعتداريين – كما مرَّت الإشارة إليه من قبل –.

تشير التقارير الأخيرة الواردة من الولايات المتحدة الأمريكية إلى أنَّ الإسلام هو أسرع الأديان انتشاراً في تلك البلاد، وأنَّ الدين الثاني من حيث الأتباع،^(١) ويبرر محللون ذلك بأسباب عديدة، منها تزايد التضامن بين المسلمين في هذه القارة، وكذا الحال في أوروباً وانفتاحهم على المجتمع الذي يعيشون فيه، عندما فاز مسجد مانهايم بألمانيا بجائزة معتبرة لأنَّه أبهى مساجد المفتوح.^(٢)

الذين درسوا انتشار الإسلام يدركون أنه انتشر بالجهاد كما انتشر بوسائل أخرى غير الجهاد، وأنَّ الإسلام قد انتشر في

(١) انظر مثلاً الصفحة الأخيرة من العدد ١٦٩٨٩ من صحفة الحياة (الجمعية ٢٠/١٠/٢٠١٤٣٠ هـ الموافق ٩/١٠/٢٠٠٩ م). ويبلغ عدد المسلمين اليوم ملياراً وخمسين مليوناً (٥٧٠,٠٠٠,٠٠٠) نسمة ويمثل هذا الرقم ربع سُكَّان العالم.

(٢) انظر مقابلة مع د. نديم عطا إلياس حول فكرة المسجد المفتوح بعنوان: يوم المسجد المفتوح في ألمانيا: حوار مع د. نديم إلياس. - في مجلة الرائد. - ع ١٩٤ (١١/١٤١٨ هـ - ١١/١٩٩٧ م). - ص ١ - ٥. وانتظر إلى موقع المجلة: www.idd-alraid.de. م. ٢٠٠٩/١١/١٩ - ٧/١٤٣٠/١١/١٩.

شرق آسيا وجنوبيها الشرقي عن طريق التُّجَار، وانتشر في أفريقيا عن طريق الدعوة. ولا تزال العائلات العربية تقطن تلك البقاع.

كما انتشر الإسلام شمال آسيا وأسيا الوسطى عن طريق التُّجَار، والذي يقرأ رحلة ابن فضلان وغيره كابن جبير والعيّاشي وابن بطوطة وسليمان التاجر يدرك ذلك الحوار الذي تبناه التجار المسلمين مع علماء تلك البقاع وقادتها السياسيين والاقتصاديين الذين قبِلوا الإسلام في مجملهم، ولم يقبله بعضهم؛ لأنَّ الإسلام يدعو إلى التوحيد ويحرِّم الخمر ولحم الخنزير، مثلاً، وقد تكون الأسباب سياسية أكثر منها دينية في العقيدة والعبادات. (١)

يظهر أنَّ هذه فرصة للذين يدرسون الدعوة وانتشار الإسلام في أنَّ يغوصوا في كتب الرحلات، لا سيَّما رحلات المسلمين، ليتَّخذوها مصدراً مهماً من مصادر المعلومات عن انتشار الإسلام على مدى العصور، ففي هذه الكتب التي تمثل ما نسميه بأدب الرحلات، مادةً علميةً جيَّدةً في مجال الحوار بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الأديان الأخرى.

يبدو أنَّ تأثير التجار المسلمين في حوارهم مع غيرهم لا

(١) انظر في الفرق بين الرحالة العرب المسلمين في الماضي، وبين الرحاليين العرب المسلمين في الحاضر في: نازك سبا يارد. الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة. - ط ٢. - د.م. : توفيق، ١٩٩٢ م. - ص ٥١٢.



يزال قائماً، وإن لم يكن بذلك الوضوح الذي كان لدى السلف من التجار؛ لأنَّ أولئك ذهبوا بروحين؛ روح التجارة وروح الدعوة.

بعض تُجَارنا اليوم يذهبون بروحين؛ روح التجارة وروح تقمص شخصية الآخر، فتحفَّت الحاجة إلى الحوار ويختفت بالتالي التأثير ويزيل التأثير. وما ذلك إلا نتيجة لعدم الاقتناع بدمج الدعوة بالتجارة، الأمر الذي يحتاج معه التجار المسلمين إلى أنْ يجلسوا في القاعات الثقافية يستمعون إلى محاضرات حول انتشار الإسلام عن طريق التجار، ولتكن هذه القاعات في مقرّات الغرف التجارية الصناعية والاتحادات التجارية الصناعية المنتشرة في أرجاء العالم الإسلامي، ليعود للتجار المسلمين تأثيرهم على الآخر تأثيراً إيجابياً، فيجيدوا الحوار مع أقرانهم التجار الآخرين وغيرهم من يختلطون بهم، وهذا جزء من مسؤولياتهم تجاه هذا الدين العظيم.

(٧) الغزو الفكري

في فترة من فترات انحطاط المسلمين وفي فترة من فترات الابتعاد التي أعقبت الحروب الصليبية بزمن، تسلَّطت على المسلمين تيارات متعددة الأشكال والأساليب والوسائل، يأتي في مقدّمتها الاحتلال العسكري لمعظم بلاد المسلمين.

مهَّد هذا الاحتلال لبقية التيارات الأخرى التي يمكن أنْ



تحصر في أربعة تيارات عدا الاحتلال، وهي: التنصير والاستشراق والتغريب والصهيونية، وداخل كل تيار من هذه التيارات الخمسة تيارات فرعية تكون موجهة إلى مفهوم من المفهومات الإسلامية، أو إلى فئة من الفئات المسلمة أو أرض من أراضي المسلمين. وقد سبق التعريف لهذه التيارات على أنها من محددات العلاقة بين الشرق والغرب.

قد يضيف البعض تياراً سادساً يدعونه بالغزو الفكري،⁽¹⁾ ولكن هذا التيار لا يعدو أن يكون داخلاً في التيارات الأربع سالفة الذكر. مع أنَّ هناك بيتنا من يقول إنه ليس هناك ما يسمى بالغزو الفكري، فالتفكير مبسوط للعالم، لكن أنْ تأخذ أو تأخذ منه، ولكن أنْ تتركه أو تترك منه، ويبدو أنَّ هذا المنطلق لا يعدو أنْ يكون تأثراً من قائله بالأفكار الغربية عن المجتمع المسلم، جاء بها من منطلق ما يتربَّد من حرية الفكر وحرية الكلمة وحرية الرأي دونما ضابط دقيق لهذه الإطلاقات أو هذه المصطلحات.

هذا التحدُّي الذي يواجهه المسلمون اليوم من هذه التيارات

(1) انظر: أحمد عبد الرحيم الساigh. - في الغزو الفكري. - مرجع سابق. - ص ١٥٧. وانظر أيضاً: نذير حمдан. في الغزو الفكري: المفهوم - الوسائل - المحاولات. - الطائف: مكتبة الصديق، د.ت. - ص ٣٧٥. وانظر كذلك: علي عبدالحليم محمود. الغزو الفكري وأثره على المجتمع المسلم. - ط. ٣. - القاهرة: دار المنار الحديثة، ١٤١٠ هـ ١٩٨٩ م. - ص ٢٠٨. وانظر كذلك: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الغزو الفكري والتىارات المعادية للإسلام. - الرياض: الجامعة، ١٤١٤ هـ ١٩٨٤ م. - ص ٥٢٣.



لم يكن جديداً على المسلمين، فالصراع بين الحق والباطل والصراع بين الخير والشر مستمرٌ وقائم، وقد شاعت إرادة الله تعالى أن يستمر هذا الصراع.

يجتمع معظم دعاء هذه التيارات من منصرين ومحظيين ومستشرقين ومتغربين، بل وصهيونيين، في أنهم إذا عرفوا الحق أتبعوه، ومنهم المعاندون المصررون على عنادهم والمكابرلون المصررون على مكابرتهم، ولكن منهم من هدتهم الله تعالى إلى الحق، فتركوا الدعوة إلى الباطل وانتصروا للحق، وصاروا حرباً على التيارات التي كانوا يقودونها في زمن الجهل والضلال. وقد تقابل أكثر من حالٍ كان أصحابها دعاءً للباطل فأصبحوا - بفضل من هداية الله تعالى - دعاءً للحق منصرين إليه بقوّة؛ لأنَّ حالهم يقول إنهم يرغبون في التكفير بما قاموا به من ضلاله وإضلal.

من هنا ينبغيوضوح في العلاقة مع أفراد هذه التيارات. ولاشك أنَّ التعاون معهم مرفوض من منطلق النصوص الشرعية: ﴿... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبَرِّ وَالْتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْمَذْوِنِ﴾ [الأية ٢ من سورة المائدة]، وليس التعامل معهم بالضرورة تعاون على العدوان، إذا ما أريد له أن يكون محاولاتٍ جادةً لإظهار الحق لهم؛ رغبةً في هدايتهم أو على أقل التقدير رغبةً في انتقاء شرّهم.

هناك نقاشٌ حول مسألة الحوار مع أرباب هذه التيارات، وهناك آراء حول جواز هذا الحوار أو عدم جوازه. وليس



الباحث من مصاف المشرعين من علماء الأمة، ولا يخضع الأمر لوجهات النظر الفردية، فالدين لا يؤخذ بوجهات النظر، ولكنه يعتمد على النصوص وعلى مصادر التشريع الإسلامي الأخرى ومنها القياس. والحدر الآن من الحوار قد يكون مردّه عدم القدرة على الإمساك بزمام الحوار، وترك المجال للطرف الآخر ليسيطر عليه، لاسيما أنه الآن ينظر من علوٍ وأنه هو الغالب فيتظر اتباع المغلوب له.

تلك مشكلة إدراكية رأت على أذهان بعض من أبناء الأمة وببناتها، فرفضوا الحوار خوفاً منه وخوفاً على أنفسهم من الآخر، وكأنهم لا يملكون أقوى مقوم للحوار تبناه أسلافهم فخاضوا غمار الحوار وانتصر الحق في النهاية.

(٨) التكافؤ في الحوار

يقتضي الحوار التكافؤ بين المتحاورين كما يقتضي الاتفاق على المقدّمات، أو على بعضها على الأقل. ومن الطيب دائمًا أن نتحدّث نحن المسلمين عن أجمل ما في الإسلام حسب السياق، استناداً إلى نص الآية الكريمة: ﴿الْيَوْمَ أَكْلَمْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران ٣ من سورة المائدة].

إلا أنَّ الملاحظ على بعض المتحاورين وليس كلهم، تركيزهم على سماحة الإسلام، وهذا أيضًا أمر مطلوب إذا



عرضت سماحة الإسلام بعيداً عن إشعار الآخرين بأننا ندافع عن ممارسات قد لا تدخل في مفهوم سماحة الإسلام،^(١) وهي تحسب على أصحابها ولا تحسب على الإسلام.

قد لا يكفي موقف الذين يريدون الحديث في الحوار عن سماحة الإسلام فيغضّون الطرف عن الجهاد مثلاً وأنه كان وسيلةً من الوسائل التي انتشر بها الإسلام وبرزت فيه السماحة بأرقى معاناتها، فيردون على المستشرقين بأنَّ الإسلام لم يتشر بالسيف، ولكنه انتشر بالإقناع والتأثير والتأثير. ولو قال هؤلاء المحاورون إنَّ الإسلام لم يتشر بالسيف فحسب، وإنما انتشر أيضاً بالإقناع والتأثير والتأثير، كما هي الحال في شرق آسيا وجنوبها وجنوب الصحراء الكبرى من قارة أفريقيا، لو قالوا ذلك لاختللت لغة الحوار، ولو جدت فيها شيئاً من القوَّة والكافية. وقد مررت مناقشة هذه الجزئية في هذا المحدد.

قد يرى بعض المתחاورين أنَّ التركيز على سماحة الإسلام مدعاة إلى قبوله في المبدأ، ثم يمكن حينئذ الحديث عن الظاهرات التي قد لا تُرى - في نظر البعض - أنها تترجم سماحة الإسلام، كالجهاد والحدود ونحوها، مما تعاني من هجوم

(١) انظر في ذلك: عبدالرب نواب الدين آل نواب. وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار. - في: المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب. - الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. - ص ٤٨.



صارخ من منظمات و هيئات وأفراد. ويظهر إنَّ هذا المبدأ في الحديث قد يعني تفسيرات عدَّة، أخشى أن يكون منها إخفاء هذه المفهومات العملية الإسلامية عن الآخر؛ بسبب الخجل من إبرازها وأنها إنما قامت لترسيخ سماحة الإسلام وحرصه على الأمان الشامل في كل مفهوماته.

مع الخجل قد يأتي سبب آخر يوحي بعدم الاقتناع بهذه الحدود والجهاد أو القوامة أو الحجاب أو نحوها، على اعتبار أنها غير مرعية في الغالب، وغير مقتنع بها في الغالب أيضًا من الطرف الآخر في الحوار. وهذا مزلاق عقدي خطير يؤثُّ على إيمان المرأة وقد يؤدي إلى نتائج وخيمةٍ في مسألة الإيمان.

لا يظهر أنَّ هذا السبب قائم لدى كثير من المتحاورين في الطرف الإسلامي، لا سيَّما المعنيين في الحوار من أهل العلم، ولو ظهر على بعضهم منطلق الاعتذار والتسويف والدفاع. وعلى أيِّ حال فليس المراد هنا الحكم على الناس، ولكن الملاحظ أنَّ الحوار أضحى ظاهرةً تتزايد الحاجة إليها مع هذا العصر الذي تسابق فيه الأحداث ويظهر اسم الإسلام فيه بصور غير دقيقة، مرتبطة غالباً بأحداث غير سارة كالاعمال التخريبية/الإرهابية، ولا تعكس بالضرورة سماحة الإسلام، بل ربما لا تعكس بالضرورة وفي كثير من الحالات الفهم الصحيح للإسلام.

عليه، فلا بدَّ من تشجيع الحوار والدعوة إليه والمشاركة فيه



في أيٍّ شكلٍ من أشكاله السلمية المتعددة، ما روعيت في ذلك عواملُ الحوار المهمَّة المطلوبة. ولا بدَّ من التوكيد على أشكالِ الحوارات الوديَّة التي تظهر نتائجها إيجابية قائمة على الإقناع والاقناع والتأثير والتأثر، بعيداً عن الأشكال الأخرى التي تزيد الفجوة ولا تخدم أيَّاً من الطرفين المتحاورين.



الخاتمة

الخلاصة والنتيجة

سعت المنطلقات المتمثلة في الاهتمام والحقائق والمسلمات والتسيير والجغرافيا، ثم المحددات السبعة عشر إلى التوكيد أنَّ الشرق والغرب، مع الأخذ بالحسبان مفهوم الولاء والبراء في الإسلام ورغم كل شيء، يظلان لا يستغليان عن بعضهما في البناء الحضاري وفي إسعاد البشرية، وهما شريكان في ذلك، وأنَّ أيًّا منهما يظل بحاجة إلى الآخر، وأنَّ فرصَ التعايش والتلاقي بينهما أكثر بكثير وأقوى من دواعي الفرقَة والخصام بشتَّى أنواعِ الخصام، مهما حاول بعض من المتممِين إلى أيِّ منها أنْ يسعى إلى خلاف ذلك، مؤيَّداً بسيطرة فكري آنيٍ أو توجُّه سياسي ضاغط أو نظرة عرقية أو ما إلى ذلك من مقوِّمات التأثير القائم على فكر غير سوي أملته قوىٌ خفيةٌ لا تسعى إلى سعادة الأمم، بل تبحث عن شقائصها وتعيق وجوه الخلاف بينها، وذلك بإثارة المشكلات التي تحول إلى شقاق



وجفوة وحرروب، من مثل ما مرّ على العالم طيلة القرون الماضية، ومما هو حاصل الآن في أجزاء من العالم الذي يوصف بأنه قرية كونية واحدة.

لعل هذه الوقفات قد وفقت في الإسهام في طرق هذا الموضوع الحيوي المتتجدد الخاضع للنقاش والقبول والرفض؛ إذ إنه مجال خصب للرؤى والتحليلات، وبالتالي وجهات النظر القابلة للأخذ والرد.

يكفي من ذلك المحاولة في طرق هذا الموضوع من منطلق مؤصل أريد منه أن يُسهم ببيان أن أساس هذه العلاقة يقوم على اعتبار الدين هو المؤثر الأول، وأن الدين قام مما قام عليه على الإقناع القائم على التواصل مع الآخر من خلال الحوار، وأنه يقف في وجه تلك التيارات التي مرت به، فكان بالمتدينين إليه محفزاً لل赘يد من التلاقي والتقارب، بما في ذلك تحمل هذا الدين للصدمات والخدمات المتمثلة بالحروب والحركات الاحتلالية والحملات التنصيرية والأفكار الاستشراقية والدعوات التغريبية والمحاولات التشويهية لصورة الشرق/ المسلمين في المخيال الغربي والتأثيرات التي تقوم بها اليهودية/ الصهيونية وما يتمخض عنها من تيارات تعمل في الخفاء ومحاولاتها ترسيخ الفصل بين الشرقيين/ المسلمين والغربيين من منطقات عقدية لم تنجح في أن تصل إلى مُرادها منه، ولا يتوقع لها أن تنجح رغم الجهود المتالية، ليس من الخارج فحسب بل ربما من الداخل أحياناً.



هذا التوجّه في هذا البيان لم يغفل من خلال السياق تسلیط الضوء على المحددات أو المؤثّرات التي تحسب عند قياس تطوير العلاقات بين الشرق والغرب، إذ إنَّ التوكيد عليها كفیلٌ بأنْ يعين على توسيع هامش اللقاء القائم على معرفة هامش الاختلاف.

لقد أثارت العلاقات بين الشرق (المسلمين) والغرب (النصراني / اليهودي) خيال السياسيين والمفكّرين والعسكريين والأكاديميين من المتخصصين في الأديان والمؤرّخين والمستشرقين والأدباء، منذ قرون عدّة وإلى الآن. وانكبّ هؤلاء على دراسة تلك العلاقات وتحليلها من منظورات مختلفة، ولتحقيق غایات وأهداف راوحـت بين الأهداف العلمية والبحوث المنظمة إلى تهيئـة الظروف الاحتلالية وتحقيق المطامع العسكرية ونهب خيرات الشرق وموارده، تحت دعاوى دينية وتنويرية وغيرها، إلى تصوّر الشرق المتخيّل العقـب بالتراث والتاريخ.

ولقد كانت العلاقات وربما لا تزال غير متكافئة، وتعلوها نبرة الاستعلاء والفوقيـة، وربما الأجنـدات الخفـيـة. وقد عانى الشرق ديناً وشعوبـاً من هذه الاحتلالـات في العلاقات، بدءـاً بالاستشراق والحرـوب والحملـات الصليـبية وجهـود المنصـرين، مرورـاً بالاحتـلال المباشر ونهـب الخـيرات، وانتـهـاء بـتهم الإـرـهـاب والصور التـنمـيـة الإـعلامـية وعلمـنة السياسـة والـفـكر وعـولـمة الثقـافة.



وفتح الأسواق وحركة التجارة ورؤوس الأموال وانتقال العمالة عبر الحدود دون قيود أو شروط.

قد سعى هذا الكتاب - كذلك - إلى بلورة منظور فكري متعدد الأبعاد، وإلى تقديم أداة تحليلية نظرية تمكّن الباحث في الشأن العلّاقي بين الشرق والغرب من فهم حجم تلك العلاقات التي تمتدُ إلى قرون، واتجاهها وتأثيرها وإمكان قياس أثرها باعتبارها علاقاتٍ ما زالت تؤثّر سلباً إلى حدّ كبير في حياة شعوب المنطقة العربية والإسلامية. إنَّ هذه المحددات المذكورة في هذا الكتاب يمكن أن تُولِّفَ الإطار النظري والمعرفي الذي يساعدُ على الفهم والتفسير والتحليل، وربما التوقع بمستقبل تلك العلاقات.

باستخدام هذه الأداة التحليلية لطبيعة تلك العلاقات بين الجانبين واتجاهاتها فإنه يمكن أن يخلص هذا البحث إلى نتيجة مهمَّة مؤداها أنه باستعراض العلاقات بين الشرق والغرب، في مختلف جوانبها السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية. وبرغم أنَّ تلك العلاقات والمحددات التي حكمتها خلال عدَّة قرون حتى وقتنا الحاضر كانت - في مجملها - غير عادلة وليست متكافئة، واتسَّمت بالروح الاستعلائية والعدائية والفوقيَّة وسوء الاستغلال، إلا أنَّ نافذةً من الأمل لتجسيم هذه الفجوة وتصحيح هذه الاختلالات تبدو ممكَّنةً، إذا أحسن الطرفان عبر النوايا الحسنة منها استغلالَها الاستغلالَ الأمثل، من منطلق

حاجة كل طرف للآخر، بما لدى كل طرف من موارد وإمكانات، وسعياً إلى تعظيم فرص الالتقاء والاتفاق والتعايش السلمي عبر تبادل المصالح، مع احترام واستثناء بعض الخصوصيات الدينية والثقافية التي تمثل منطلقات لا يمكن التنازل عنها.

إنَّ تجسيـر هذه الفجوة العـلاقـية بينـ الشـرقـ /ـ الإـسـلامـيـ،ـ والـغـربـ /ـ النـصـرـانـيـ الـيهـودـيـ يـمـكـنـ أـنـ يـتـمـ عـبـرـ آـلـيـاتـ أـتـاحـتـهـاـ مـعـطـيـاتـ الـأـلـفـيـةـ الـثـالـثـةـ وـكـوـنـ الـعـالـمـ أـصـبـعـ قـرـيـةـ كـوـنيـةـ صـغـيرـةــ.ـ وـمـنـ تـلـكـ الـآـلـيـاتـ وـالـمـعـطـيـاتـ اـسـتـغـلـالـ وـسـائـلـ الـمـواـصـلـاتـ وـالـأـنـصـالـ الـحـدـيـثـةـ لـلـقـارـبـ بـيـنـ الـشـعـوبـ وـالـأـخـذـ بـمـبـدـأـ الـحـوـارـ بـيـنـ الـحـضـارـاتـ وـأـتـابـاعـ الـأـديـانـ وـتـصـحـيـحـ الـصـورـ النـمـطـيـةـ السـيـئـةـ فـيـ وـسـائـلـ الـإـلـاعـامـ الـغـرـبـيـ وـدـعـمـ الـفـعـالـيـاتـ الـثـقـافـيـةـ لـلـمـجـالـيـاتـ وـالـأـقـلـيـاتـ الـمـسـلـمـةـ فـيـ الـغـرـبـ وـالـاسـتـفـادـةـ مـنـ الـبـعـثـاتـ الـطـلـابـيـةـ وـالـمـلـحـقـيـاتـ الـثـقـافـيـةـ لـلـدـوـلـ الـإـسـلـامـيـةـ وـالـعـرـبـيـةـ؛ـ مـنـ أـجـلـ تـعمـيقـ الـتـوـاصـلـ وـالـحـوـارـ بـيـنـ الـشـرـقـ وـالـغـرـبــ.

يـتـمـ هـذـاـ التـجـسـيرـ أـيـضاـ مـنـ خـلـالـ الـعـمـلـ عـلـىـ الـاستـفـادـةـ مـنـ مـقـتضـيـاتـ الـعـولـمـةـ وـاسـتـحقـاقـاتـهاـ بـمـخـتـلـفـ أـبعـادـهاـ السـيـاسـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ وـالـاـقـتصـاديـةـ وـالـفـكـرـيـةـ،ـ وـاعـتـبارـهاـ فـرـصـةـ تـارـيخـيـةـ لـإـصـلاحـ الـاعـتـلالـ فـيـ الـعـلـاقـةـ بـيـنـ الـشـرـقـ وـالـغـرـبـ لـصـالـحـ نـمـوـ الـشـعـوبـ وـالـمـجـتمـعـاتـ وـالـأـفـرـادـ عـلـىـ جـانـبـيـهـاـ تـلـكـ الـعـلـاقـةـ وـلـصـالـحـ رـخـائـهاـ وـازـدـهـارـهاـ وـتـقـدـمـهاــ.ـ وـكـانـ اللهـ فـيـ عـونـ الجـمـيعــ.



مراجع الكتاب

- ١ - أبو خليل، شوقي. *المُهَدَّةُ الْعُمَرِيَّةُ: الْبُعْدُ الْإِنْسَانِيُّ فِي الْفَتوحَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ*. - دمشق: دار الفكر، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م. - ص ٣٢.
- ٢ - أبو دية، أيوب. *حروب الفرنج حروب لا صليبية*. - بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٨ م. - ص ١٨٢.
- ٣ - أبو زيد، بكر بن عبد الله. *حراسة الفضيلة*. - ط ٤. - الرياض: دار العاصمة، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م. - ص ٢٠٠.
- ٤ - أبو شافعي، منصور. *مرکزة الإسلام*. - القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٩٩ م. - ص ٨٠. - (سلسلة في التنوير الإسلامي؛ ٣٩).
- ٥ - أبو شافعي، منصور. *مرکزة التاريخ النبوى*. - القاهرة: دار نهضة مصر، ٢٠٠٠ م. - ص ٩٦. - (سلسلة في التنوير الإسلامي؛ ٥٤).

- ٦ - أبو المجد، كمال. حوار لا مواجهة. - القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٢م. - ص ٣٠٣. - (سلسلة مكتبة الأسرة).
- ٧ - أبو نصيز، صالح مسعود. جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن. - بيروت: دار الفتح، د. ت. - ص ٦٥.
- ٨ - أبو يوسف. القاضي يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الانصاري (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م). كتاب الخراج. - بيروت: دار المعرفة، د. ت. - ص ٢٤٤.
- ٩ - أحمد، مهدي رزق الله. الحملات التنصيرية في العالم الإسلامي: أهدافها وبرامجها (خاصة العالم العربي: السودان ومصر والعراق والجزائر، نماذج). - ص ٣١٧ - ٣٨٨. - في: مجلة البيان ومبارة الأعمال الخيرية بالكويت. مؤتمر تعظيم حرمات الإسلام. - مرجع سابق. - ص ٨٠٩.
- ١٠ - أركون، محمد. العلمة والدين / ترجمة هاشم صالح. - بيروت: دار الساقى، ١٩٩٦م. - ص ١٣٦.
- ١١ - إسبوزيتو، جون ل.. الإسلام والغرب عقب ١١ أيلول/ سبتمبر: حوار أم صراع حضاري؟. - أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ٢٠٠٣م. - ص ٤٤.
- ١٢ - إسبوزيتو، جون ل.. التهديد الإسلامي: خرافة أم حقيقة؟ / ترجمة قاسم عبده قاسم. - ط ٢. - القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م. - ص ٤٢٤.
- ١٣ - إسبوزيتو، جون وداليا. من يتحدث باسم الإسلام: كيف يفكّر



- حقاً - مليار مسلم؟ نتائج أكبر استطلاع رأي عالمي حتى الآن / ترجمة عزت شعلان، تقديم فهمي هويدى. - القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٩ م. - ص ٢٣٩.
- ١٤- الأسد، ناصر الدين. نحن والآخر: صراع وحوار. - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٧ م. - ص ١٣١.
- ١٥- أسرة تحرير التسامُح. العرب والإسلام والغرب والظروف الراهنة: مقابلة مع برنارد لويس. - التسامُح. - ع ٥ (شتاء ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٣ م). - ص ٢٦٣ - ٢٧٢.
- ١٦- الأشقر، جلبيبر. صدام الهمجيات: الإرهاب، الإرهاب المقابل والفووضى العالمية قبل ١١ أيلول وبعده / نقله إلى العربية كميل داغر. - بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٢ م. - ص ١٥٧.
- ١٧- أشكروفت، بيا وبال أهلواليا. إدوارد سعيد: مفارقة الهوية / ترجمة سهيل نجم، مراجعة حيدر سعيد. - دمشق: نينوى للدراسات والترجمة والنشر، ٢٠٠٢ م. - ص ٢٣٥.
- ١٨- أنجيليسكو، ناديا. الاستشراق والحوار الثقافي. - الشارقة: دار الثقافة والإعلام، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م. - ص ٩٢. - (سلسلة كتاب الرافد؛ ٤).
- ١٩- الباش، حسن. صدام الحضارات: حتمية قدرية أم لوثة بشرية؟ . - دمشق: دار قitiّة، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م. - ص ٢٧١.
- ٢٠- بري، بلقر. إضاءات على كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد. -



- ٢١ - بيروت: دار الهادي، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م . - ص ١٢٠ .
- ٢٢ - البسام، خالد، معدّ ومتّرجم. صدمة الاحتكاك: حكاية الإرساليات الأمريكية في الخليج والجزيرة العربية ١٩٨٢ - ١٩٩٥م . - بيروت: دار الساقى، ١٩٩٨م . - ص ٢٠٣ .
- ٢٣ - البسام، خالد، معدّ ومتّرجم. القوافل: رحلات الإرساليات الأمريكية في مدن الخليج والجزيرة العربية ١٩٠١ - ١٩٢٦م . - البحرين: (مؤسسة الأيام للصحافة والنشر)، ١٩٩٢م . - ص ٢٠٦ .
- ٢٤ - بلقزيز، عبدالإله محاور. الإسلام والحداثة والمجتمع السياسي: حوارات فكرية . - بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٤م . - ص ١٤٧ . - (سلسلة حوارات المستقبل العربي؛ ١) .
- ٢٥ - بوكانن، باتريك ج . . موت الغرب: أثر شيخوخة السكان وموتهم وغزوات المهاجرين على الغرب/ نقله إلى العربية محمد محمود التوبه، راجعه: محمد بن حامد الأحمر . - الرياض: مكتبة العيikan، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م . - ص ٥٢٩ .
- ٢٦ - بينارد، شاريل. الإسلام الديموقراطي المدني: الشركات والمصادر والإستراتيجيات/ تقرير . - واشنطنون: مكتب رائد للاتصالات الخارجية، ٢٠٠٢م . - ص ١٠٠ .
- ٢٧ - ترتون، أ. س. أهل الذمة في الإسلام/ ترجمة حسن حبشي . - ط ٣ . - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م . -

- ٢٨ - (سلسلة تاريخ المصريين)، ٧٠ . ص
- ٢٧ - تركستانى، أحمد بن سيف الدين. الحوار مع أصحاب الأديان: مشروعه وشروطه وأدابه. - في: المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب. - الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م. - ص ٣٦.
- ٢٨ - تشومسكي، نعوم. الدول المارقة: حكم القوّة في الشؤون الدولية/ ترجمة محمود علي عيسى. - دمشق: نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣ م. - ص ٢٧٤ .
- ٢٩ - تشومسكي، نعوم، وأخرون. العولمة والإرهاب: حرب أمريكا على العالم، السياسة الخارجية الأمريكية وإسرائيل/ ترجمة حمزة المزیني. - القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٣ م. - ص ٢٧٦ .
- ٣٠ - تشومسكي، نعوم. الهيمنة أم البقاء؟ السعي الأمريكي إلى السيطرة على العالم/ ترجمة سامي الكعكى. - بيروت: دار الكتاب العربي ، ٢٠٠٤ م. - ص ٣١٠ .
- ٣١ - التميمي، عبد المالك خلف. التبشير في منطقة الخليج العربي: دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي. - العين: مركز زايد للتراث والتاريخ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م. - ص ٣٣٥ .
- ٣٢ - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام. - الرياض: الجامعة، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م. - ص ٥٢٣ .



- ٣٣ - جرجس، فواز. أمريكا والإسلام السياسي / ترجمة غسان غصن. - بيروت: دار النهار، ١٩٩١م. - ص ٣٦٣.
- ٣٤ - الجميل، محمد بن فارس. الهجرة إلى الحبشة: دراسة مقارنة للروايات. - ط ٢ . - الرياض: دار الفيصل الثقافية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م . - ص ١٥٠ .
- ٣٥ - الجنابي، هيثم. الإسلام في أوراسيا. - دمشق: دار المدى، ٢٠٠٣م . - ص ٢٨٧ .
- ٣٦ - جورافسكي، أليكسسي. الإسلام وال المسيحية / ترجمة خلف محمد الجراد، راجع المادة العلمية وقدّم له محمود حمدي زقزوقي. - الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م . - ص ٢٣٦ . - (سلسلة عالم المعرفة؛ ٢١٥) .
- ٣٧ - جيسير، فنسان. الإسلاموفوبيا / ترجمة محمد صالح ناجي الغامدي وقسم السيد آدم به. - الرياض: المجلة العربية، ٢٠٠٩هـ/ ١٤٣٠م . - ص ١٩٢ .
- ٣٨ - الحراثي، فهد العربي. موقعنا في الكونية الإعلامية الجديدة: العولمة والفضائيات العربية. - محاضرة ألقيت في مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض في ١٧/٨/١٤١٩هـ / ٦/١٢/١٩٩٨م . - ص ٦٨ .

٣٩ - حبشي، حسن / مترجم ومعلق ومحقق. الحرب الصليبية الثالثة: صلاح الدين وريشارد. - ٢ ج. - القاهرة: الهيئة



- ٤٣ - المصيرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠ م. - (سلسلة تاريخ المصريين)، ١٨٢ - ١٨١.
- ٤٤ - حداد، إيفون يزبك / محرّرة. المسلمين في أمريكا. - القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م. - ص ٣٠٣.
- ٤٥ - الحسن، يوسف. البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي - الصهيوني: دراسة في المحرّكة المسيحية الأصولية الأمريكية. - ط ٢. - بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧ م. - ص ٢٢٢.
- ٤٦ - حسين، محمد محمد. الإسلام والحضارة الغربية. - ط ٥. - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م. - ص ٢٧٨.
- ٤٧ - الحسيني، سليمان بن سالم بن ناصر. الحملات التنصيرية إلى عُمان والعلاقة المعاصرة بين التصرينة والإسلام. - لندن: دار الحكمة، ٢٠٠٦ م. - ص ٤٩٤.
- ٤٨ - الحمد، محمد عبد الحميد. حوار الأمم: تاريخ الترجمة والإبداع عند العرب والسريان. - دمشق: دار المدى، ٢٠٠١ م. - ص ٥٣١.
- ٤٩ - الحمد، محمد بن إبراهيم. القاديانية. - الرياض: دار القاسم، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م. - ص ٣٢. - (سلسلة رسائل في الأديان والمذاهب والفرق؛ ٣).
- ٥٠ - ابن حميد، صالح بن عبدالله. أصول الحوار وأدابه. - جدة:



- دار المنارة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م. - ص ٤٠.
- ٤٧ - حنفي، حسن. مقدمة في علم الاستغراب. - بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. - ص ٦٣.
- ٤٨ - خاتمي، محمد. حوار الحضارات / ترجمة سرمد الطائي. - دمشق: دار الفكر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. - ص ١٥٢.
- ٤٩ - خليل، أسامة. الإسلام والأصولية التاريخية: الأصولية بمعنى آخر. - باريس: مركز الدراسات العربي الأوروبي، ٢٠٠٠م. - ص ٢٠٨.
- ٥٠ - الخليل، سمير، وآخرون. التسامح بين شرق وغرب: دراسات في النقاش والقبول بالآخر / ترجمة إبراهيم العريس. - بيروت: دار الساقى، ١٩٩٢م/١٤١٢هـ. - ص ١٢٨.
- ٥١ - خليل، عماد الدين. نظرة الغرب إلى حاضر الإسلام ومستقبله. - بيروت: دار النقائس، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. - ص ١٥٧.
- ٥٢ - الدوسرى، عبد الرحمن بن محمد. يهود الأمس سلف سيء لخلف أسوأ / راجعه وخراج نصوصه وعلق عليه مصطفى بن أبو النصر الشلبي. - جدة: مكتبة السوادي، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م. - ص ٢٨٠.
- ٥٣ - الريعي، عبد الله بن عبد الرحمن. أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوروبي خلال الحروب الصليبية. - الرياض: (المؤلف)، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م. - ص ٢٠٨.



- ٥٤ - الركابي، زين العابدين. الأدمعة المفخخة. - الرياض: غيناء للنشر، ٢٤٦ هـ/٢٠٠٣ م. - ص ٢٤٦.
- ٥٥ - رمضان، عبدالعظيم. الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى نهاية الحروب الصليبية. - القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٣م). - ص ٥٥١.
- ٥٦ - روا، أوليفيه. أوهام ١١ أيلول: المناورة الإستراتيجية في مواجهة الإرهاب/ ترجمة: حسن شامي. - بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٣ م. - ص ١١٨.
- ٥٧ - روا، أوليفيه. تجربة الإسلام السياسي / ترجمة نصیر مروة. - ط ٢ . - بيروت: دار الساقی، ١٩٩٦ م. - ص ٢١٣.
- ٥٨ - روا، أوليفيه. عولمة الإسلام/ ترجمة رولا معلوف. - بيروت: دار الساقی، ٢٠٠٣ هـ/١٤٢٤ م. - ص ٢٢٢.
- ٥٩ - رودنسون، مكسيم. الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا. - ص ٣٩ - ٨٣ . - في: هاشم صالح، معد ومتّرجم. الاستشراق: بين دعاته ومعارضيه. - ط ٢ . - بيروت: دار الساقی، ٢٠٠٠ م. - ص ٢٦١.
- ٦٠ - رودنسون، مكسيم. وضع الاستشراق المختص بالإسلاميات: مكتسباته ومشاكله. - ص ٨٥ - ٩٧ . - في: هاشم صالح، معد ومتّرجم. الاستشراق: بين دعاته ومعارضيه. - ط ٢ . - بيروت: دار الساقی، ٢٠٠٠ م. - ص ٢٦١.
- ٦١ - ريلي - سميث، جوناثان. الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية/ ترجمة محمد فتحي الشاعر. - ط ٢ . -



- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩ م. - ص ٢٩٥.
- ٦٢ - زكار، سهيل. المحراب الصليبي. - ٢ مجلد. - دمشق: دار حسان، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١.
- ٦٣ - الزهراني، عبدالرزاق بن حمود. المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية: دراسة ميدانية. - الدمام: دار النهايات، ٢٠٠٠ م. - ص ٢٣٢.
- ٦٤ - زيجلر، جان. سادة العالم الجدد: العولمة، النهابون، المرتزقة، الفجر / ترجمة محمد ذكرياء إسماعيل. - بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣ م. - ص ٣٠٤.
- ٦٥ - زيقير، ه. كونري. أصول التنصير في الخليج العربي: دراسة ميدانية وثائقية / ترجمة مازن صلاح مطبقياني. - المدينة المنورة: مكتبة ابن القيم، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م. - ص ١٩٥.
- ٦٦ - سابا يارد، نازك. الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة. - ط ٢ - د. م. : نوفل، ١٩٩٢ م. - ص ٥١٢.
- ٦٧ - السامرائي، نعمان عبدالرزاق. نحن والصديق اللدود: دراسة تحليلية لل الفكر الغربي و موقفه من الإسلام. - لندن: دار الحكمة، ١٤١٧ هـ. - ص ١٨٥.
- ٦٨ - السايح، أحمد عبدالرحيم. في الغزو الفكري. - الدوحة: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٤١٤ هـ. - ص ١٥٧. - (سلسلة كتاب الأمة؛ ٣٨).



- ٦٩ - السباعي، مصطفى. اشتراكية الإسلام. - ط ٢ . . . - دمشق: دار المطبوعات العربية، ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م. - ص ٤٢٥.
- ٧٠ - السحّار، عبد الحميد جودة. أبو ذر الغفارى: الاشتراكى الزاهد. - القاهرة: دار الهلال، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م. - ص ٢٠١ . . . (سلسلة كتاب الهلال؛ ١٧٨).
- ٧١ - السحّار، عبد الحميد جودة. أبو ذر الغفارى صاحب رسول الله: مصدر يبحث «الاشتراكية في الإسلام». - ط ١٠ . . . القاهرة: مكتبة مصر، د. ت. - ص ٢٠٨.
- ٧٢ - السعفي، كلثوم. نحن والغرب: حوارات مع حمادي الصيد وسهيل إدريس والطاهر لبيب وعبدالمجيد الشرفي ومحمد الطالبي. - تونس: مؤسسة عبد الكريم بن عبدالله، ١٩٩٢م . . . ص ١٣٨.
- ٧٣ - سعيد، إدوارد. الآلهة التي تفشل دائمًا/ ترجمة حسام الدين خضور . . . بيروت: دار التكويرين، ٢٠٠٣م. ص ١٣٩ . . .
- ٧٤ - سعيد، إدوارد. آلهة تفشل دائمًا/ ترجمة حسام الدين خضور . . . دمشق: التكويرين، ٢٠٠٦م . . . ص ١٥٠ . . .
- ٧٥ - سعيد، إدوارد. الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء . . . ط ٢ / ترجمة كمال أبو ديب . . . بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٤م . . . ص ٣٦٧ . . .
- ٧٦ - سعيد، إدوارد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق/ ترجمة محمد عنانى . . . القاهرة: دار رؤية، ٢٠٠٦م . . . ص ٥٦٠ . . .



- ٧٧ - سعيد، إدوارد. إسرائيل، العراق، الولايات المتحدة. -
بيروت: دار الآداب، ٢٠٠٤ م. - ص ٣١٢.
- ٧٨ - سعيد، إدوارد. تأملات حول المنفى ومقالات أخرى / ترجمة
ثائر ديب. - بيروت: دار الآداب، ٢٠٠٤ م. - ص ٣٨٣.
- ٧٩ - سعيد، إدوارد. تعقيبات على الاستشراق / ترجمة وتحرير
صبحي حديدي. - بيروت: دار الفارس، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م.
- ص ٦٠.
- ٨٠ - سعيد، إدوارد. غفطية الإسلام / ترجمة محمد عناني. -
القاهرة: دار رؤية، ٢٠٠٦ م. - ص ٣٥٢.
- ٨١ - سعيد، إدوارد. الثقافة والإمبريالية / نقله إلى العربية وقدم له
كمال أبو ديب. - بيروت: دار الآداب، ١٩٩٧ م. - ص ٤١١.
- ٨٢ - سعيد، إدوارد. خارج المكان: مذكرات / ترجمة فواز
طرابلسي. - بيروت: دار الآداب، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م. -
ص ٣٥٩.
- ٨٣ - سعيد، إدوارد. صور المثقف: محاضرات ريث، ١٩٩٣ م /
نقله إلى العربية غسان غصن، راجعته منى أنيس. - ط ٣. -
بيروت: دار النهار، ١٩٩٧ م. - ص ١٢٢.
- ٨٤ - سعيد، إدوارد. نهاية عملية السلام: أوسلو وما بعدها. -
بيروت: دار الآداب، ٢٠٠٢ م. - ص ٣٨٤.
- ٨٥ - سليمان، سمير، مشرف. العلاقات الإسلامية - المسيحية:
قراءات مرجعية في التاريخ والحاضر والمستقبل. - بيروت:

- مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، ١٩٩٤ م. - .٣٦٧
- ٨٦ - السمّاك، محمد. عندما احتلّ المسلمون جبال الألب. - التسامح. - ع ١٣ (شتاء ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٦ م). - ص ٢٥٤ - .٢٨٠
- ٨٧ - السمّاك، محمد. الدين في القرار الأمريكي. - بيروت: دار النهائس، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م. - ص ١١٠.
- ٨٨ - السمّاك، محمد. مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي. - بيروت: دار النهائس، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م. - ص ١٩٩.
- ٨٩ - السيوطي، خالد عبد العظيم عبدالرحيم. الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس: ابن حزم - الخزرجي. - القاهرة: دار قباء، ٢٠٠١ م. - ص ٢٩٦.
- ٩٠ - السيد، رضوان. الصراع على الإسلام من الاستشراق إلى الأنثروبولوجيا. - التسامح. - ع ٥ (شتاء ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م). - ص ٧١ - .٨١
- ٩١ - السيد، رضوان. مسألة الحضارة والعلاقة بين الحضارات لدى المتنفّفين في الأزمة الحديثة. - أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠٠٣ م. - ص ٦٤. (سلسلة دراسات إستراتيجية؛ ٨٩).
- ٩٢ - الشاتري، فوشيه. تاريخ الحملة إلى القدس / ترجمة زياد العسلي. - عمان: دار الشروق، ١٩٩٠ م. - ص ٢٦٧.

- ٩٣ - الشاطبي، إبراهيم الخمي. المواقفات في أصول الأحكام / تعليق محمد حضر حسين، تصحح محمد منير. - القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٤١هـ. - ٢: ٤.
- ٩٤ - شاكر، محمود محمد. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا. - القاهرة: دار الهلال، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م. - ص ٢٥٨. - (سلسلة كتاب الهلال؛ ٤٢٢).
- ٩٥ - الشامي، رشاد عبدالله. القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة. - الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. - ص ٣٦٨. (سلسلة عالم المعرفة؛ ١٨٦).
- ٩٦ - الشبانة، عبدالله بن حمد. يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء. - الرياض: دار الهدى، ١٤٠٧هـ. - ص ٢٦١.
- ٩٧ - شتيبات، فريتس. الإسلام شريكًا: دراسات عن الإسلام وال المسلمين. - الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، ٢٠٠٤م. - ص ٢٠٦. - (سلسلة عالم المعرفة؛ ٣٠٢).
- ٩٨ - شتيبات، فريتز. المنظومة الإيراھيمية للحوار. - ص ١٨٣ - ١٩٦. - في: صاموئيل هانتنغتون وآخرون. الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها. - بيروت: مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، ٢٠٠٠م. - ص ٩٩٩.
- ٩٩ - الشعيببي، عبدالله بن عبدالعزيز. الجدل بين المسلمين



والنصارى في العصر الحديث: دراسة نقدية. - الرياض: المؤلف، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. - ص ٥٦٧.

١٠٩ - شلبي، أحمد. الاستشراق: تاريخه وأهدافه، شبكات المستشرقيين: مناقشتها وردها. - القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د. ت. - ص ٢١٢.

١٠١ - شلبي، رؤوف. يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء. - ط ٢. - القاهرة: دار الاعتصام، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م. - ص ٢٣٥.

١٠٢ - الشيخ، أحمد. من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: حوار الاستشراق. - القاهرة: المركز العربي للدراسات الغربية، ١٤١٩هـ (١٩٩٩م). - ص ٢٤٠.

١٠٣ - الشيخ، أحمد. من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب. - القاهرة: المركز العربي للدراسات الغربية، ٢٠٠٠م. - ص ٣١٩.

١٠٤ - الصياغ، محمد. الابتعاث ومخاطره. - ط ٢. - بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. - ص ٤٨.

١٠٥ - الصالح، صبحي. شرح الشروط العمرية مجرّدًا من كتاب أحكام أهل الذمة تأليف ابن قيم الجوزية. - ط ٢. - بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠١هـ/١٩٨١م. - ص ٢٦٢.

١٠٦ - صالح، فخرى. دفاعًا عن إدوارد سعيد. - بيروت:



- ١٢١ - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٠ م. - ص ١٢١.
- ١٠٧ - الصالح، محمد أحمد. منهاج الإسلام في سلامة النزية من الأمراض الوراثية. - الرياض: المؤلف، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م. - ص ٥٩.
- ١٠٨ - صالح، محمد عثمان. النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبيير: دراسة مقارنة حول المصطلحات والدلائل. - المدينة المنورة: مكتبة ابن القيّم، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م. - ص ٦٩.
- ١٠٩ - صالح، هاشم / معبد ومترجم. الاستشراق بين دعاته ومعارضيه. - ط ٢. - بيروت: دار الساقى، ٢٠٠٠ م. - ص ٢٦١.
- ١١٠ - صبحي، أحسان حسن. المسلمين والمسيحيون تحت الحصار اليهودي. - القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢ م. - ص ٢٥٣.
- ١١١ - ضاهر، عادل. الأسس الفلسفية للعلمانية. - ط ٢. - بيروت: دار الساقى، ١٩٩٨ م. - ص ٤٢٩.
- ١١٢ - طاش، عبدالقادر. الصورة النمطية للإسلام والعرب في مرآة الإعلام الغربي. - الرياض: الدائرة للإعلام، ١٤٠٩ هـ.
- ١١٣ - الطالبي، محمد. أمّة الوسط: الإسلام وتحديّات العصر. - تونس: دار سراس، ١٩٩٦ م. - ص ١٦٧.
- ١١٤ - طحان، أحمد. عولمة الإرهاب: إسرائيل - أمريكا

والإسلام. - بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م. - ص ٤٠٠.

١١٥ - طريوش، سوزانا. صورة العرب في الغرب: حلقة نقاشية عقدت في أكسفورد ٧ - ٩ حزيران (يونيو) ١٩٩٨م / ترجمة طلال فندي، مراجعة عواد علي. - عمان: المعهد الملكي للدراسات الدينية، ١٩٩٨م. - ص ٧٩.

١١٦ - الطهطاوي، محمد عزّت. لماذا أسلم هؤلاء؟: قساوسة ورهبان وأحبار مستشرون وفلسفون وعلماء. - القاهرة: مكتبة النافذة، ٢٠٠٥م. - ص ١٩٤.

١١٧ - الطويل، محمد بن ناصر. إسلام القساوسة والحاخامات. - الرياض: دار طوبق، ١٤٢٤هـ. - ص ٩٩٩.

١١٨ - عاشور، سعيد عبدالفتاح. الحركة الصليبية: صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى. - ٢ مجل. ط ٦. - القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٤م.

١١٩ - العالم، جلال. قادة الغرب يقولون: دُمروا الإسلام، أيدوا أهلة. - ط ٩. - القاهرة: دار السلام، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م. - ص ٩٥.

١٢٠ - عامر، فاطمة مصطفى. تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي. - ٢ ج. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م. - ص ٤١٦. - (سلسلة تاريخ المصريين؛ ١٧٢ - ١٧٣).



- ١٢١ - عبدالدائم، عبدالله. العرب والعالم وحوار الحضارات. - دمشق: دار طлас، ٢٠٠٢ م. - ص ١٣٦.
- ١٢٢ - عبدالرحمن، أسعد. المنظمة الصهيونية العالمية ١٨٨٢ - ١٩٨٢ . - ط ٢ . - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠ م. - ص ٢٧٢.
- ١٢٣ - عبدالعزيز، زينب. حرب صلبية بكل المقاييس. - دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٣ م. - ص ١٨٤ - (سلسلة صلبية في الغرب وحضارته ٤) .
- ١٢٤ - عبدالوهاب، أحمد. التغريب: طوفان من الغرب. - القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م. - ص ٤٨.
- ١٢٥ - عبده، الشيخ محمد. الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية/ تقديم وتعليق الشيخ رشيد رضا. - سوسة، تونس: دار المعارف، (١٩٩٥ م). - ص ١٤١.
- ١٢٦ - عربي، محمد ياسين. الاستشراف وتغريب العقل التاريخي العربي: نقد العقل التاريخي. - الرباط: المجلس القومي للثقافة العربية، ١٩٩٩ م. - ص ٢٤١.
- ١٢٧ - العسكر، عبدالعزيز بن إبراهيم. التنصير ومحاولاته في بلاد الخليج العربي. - الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م. - ص ٩٨.
- ١٢٨ - عصفور، جابر. مواجهة الإرهاب: قراءات في الأدب العربي المعاصر. - بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٣ م. - ص ٣١٠.



- ١٢٩ - العقيقي، نجيب. المستشركون. - ٣ مج. - ط ٤. -
القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٦م.
- ١٣٠ - العليان، عبدالله علي. الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف.
- الدار البيضاء: المركز العربي الثقافي، ٢٠٠٣م. -
ص ١٤٣.
- ١٣١ - عماره، محمد. الأصولية بين الغرب والإسلام. - القاهرة:
دار الشرق، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م. - ص ٩٦.
- ١٣٢ - عويس، عبدالحليم، عرض ودراسة. في العمل الإسلامي:
ظاهرة الاستشراق: مناقشات في المفهوم والارتباطات. -
حصاد الفكر. - ع ١٤٦ (ربيع الآخر ١٤٢٥هـ/يونيو
٢٠٠٤م). - ص ٦٣ - ٦٨.
- ١٣٣ - غارودي، روجيه. الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية. -
ط ٣ / ترجمة حافظ الجمالى وصياغ الجheim. - بيروت: دار
عطية، ١٩٩٧م. - ص ٣٧٣.
- ١٣٤ - غراب، أحمد عبد الحميد. رؤية إسلامية للاستشراق. -
ط ٢. - لندن: المنتدى الإسلامي، ١٤١١هـ. - ص ١٩٨.
- ١٣٥ - غريش، لأن. الإسلام وفوبيا / ترجمة وتعليق إدريس هاني.
- الكلمة. - ع ٤٠، مج ١٠ (صيف ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)
ص ١٠٤ - ١٢٠.
- ١٣٦ - الغزالى، محمد بن محمد، أبو حامد. إحياء علوم الدين. -
٣ مج. - بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.



- ١٣٧ - الغزالى، محمد بن محمد ، أبو حامد. المستصفى من علم الأصول ٤٩٩٩٩٩.
- ١٣٨ - فائق، محمد. حقوق الإنسان بين الخصوصية والعالمية . - ص ١٩٥ - ٢٠٨ - في: مركز دراسات الوحدة العربية . حقوق الإنسان العربي / إعداد نخبة من المفكرين العرب . - بيروت: المركز، ١٩٩٩م . - ص ٣٠٠ .
- ١٣٩ - فارج، فيليب ويوسف كرباج. المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي / ترجمة بشير السباعي . - القاهرة: سينا للنشر، ١٩٩٤م . - ص ٢٢٠ .
- ١٤٠ - فرُوخ، عمر. الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة . - ص ١٢٥ - ١٤٣ . - في: الإسلام والمستشرقون / تأليف نخبة من العلماء المسلمين . - جدة: عالم المعرفة، ١٤٠٥/١٩٨٥م . - ص ٥١١ .
- ١٤١ - فندي، بول. من يجرؤ على الكلام: الشعب والمؤسسات في مواجهة الليبي الإسرائيلي . - ط ١٥ . - بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ٢٠٠٢م . - ص ٦٢٢ .
- ١٤٢ - القاضي، محمد. الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف . - التاريخ العربي . - ع ٢٦ ربيع ٢٠٠٣/١٤٢٤م . - ص ١٧٩ - ٢٠٨ .
- ١٤٣ - القحطاني، محمد بن سعيد بن سالم. الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف / بإشراف محمد قطب . - الرياض: دار طيبة، ١٤٠٥/١٩٨٥م . - ص ٤٧٦ .



- ١٤٤ - قرم، جورج . شرق وغرب: الشرخ الأسطوري . - بيروت: دار الساقى، ٢٠٠٣ م . - ص ٢١٥ .
- ١٤٥ - القصبي، غازي عبدالرحمن . أمريكا وال سعودية: حملة إعلامية أمّ مواجهة سياسية . - ط ٤ . - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ٢٠٠٢ م . - ص ١٣٥ .
- ١٤٦ - العيّد، إبراهيم بن حمد . الطلبة المسلمين في الغرب بين المخاطر والأمال . - الرياض: مكتبة دار السلام ، ١٤١٥ هـ . - ص ١٢٦ .
- ١٤٧ - العيّد، إبراهيم بن حمد . الطلبة المسلمين في الغرب بين المخاطر والأمال . - الرياض: مكتبة دار السلام ، ١٤١٥ هـ . - ص ١٢٦ .
- ١٤٨ - قاللة، محمد سليم . التغريب في الفكر والسياسة والاقتصاد . - دمشق: دار الفكر ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م . - ص ٢٤٠ .
- ١٤٩ - القوسي، مفرح بن سليمان بن عبدالله . حقوق الإنسان في مجال الأسرة من منظور إسلامي . - الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م . - ص ١٣ .
- ١٥٠ - ابن قيّم الجوزية، الإمام المحدث شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعبي الدمشقي . زاد المعاد في هدي خير العباد / حقّ نصوصه وخراج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط . - ٥ مجل . - بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٨ م .



- ١٥١ - كارتر، جيمي. قيمنا المعرضة للخطر: أزمة أمريكا الأخلاقية / نقله إلى العربية محمد محمود التوبة. - الرياض: مكتبة العيikan، ١٤٢٨ هـ/٢٠٠٧ م. - ص ٢٢٤.
- ١٥٢ - كاشف، سيدة إسماعيل. مصر الإسلامية وأهل الذمة. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣ م. - ص ١٨٠. - (سلسلة تاريخ المصريين؛ ٥٧).
- ١٥٣ - كامل، عمر بن عبدالله. آداب الحوار وقواعد الاختلاف. - في: المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب. - الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٤ م. - ص ٣٤.
- ١٥٤ - كاهن، كلود. الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية / ترجمة أحمد الشيخ. - القاهرة: دار سينا للنشر، ١٩٩٥ م. - ص ٣٨٤.
- ١٥٥ - لانداو، ديفيد. الأصولية اليهودية: العقيدة والقوة / ترجمة مجدي عبدالكريم. - القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١٤ هـ/١٩٩٤ م. - ص ٤١٦.
- ١٥٦ - لتشتر، فرانك جي. وجون بولي، محرران. العولمة: الطوفان أم الإنقاذ؟ الجوانب الثقافية والسياسية والاقتصادية / ترجمة فاضل جتكر. - بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٤ م. - ص ٧٣٤.
- ١٥٧ - لمعي، إكرام (القس). المسيحية الإنجيلية (البروتستانتية)



- وال موقف من الآخر . - ص ١٥٣ - ٢٦٢ . - في : رقية العلواني وأخرين . مفهوم الآخر في اليهودية وال المسيحية / تحرير مني أبو الفضل ونادية محمود مصطفى . - دمشق : دار الفكر ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م . - ص ٢٦٤ . - (سلسلة التأصيل النظري للدراسات الحضارية ، ٢) .
- ١٥٨ - لويس ، برنارد . أين الخطأ ؟ التأثير الغربي واستجابة المسلمين / ترجمة محمد عتاني ، تقديم ودراسة رؤوف عباسى . - القاهرة : سطور ، ٢٠٠٣ م . - ص ٢٦٩ .
- ١٥٩ - لويس ، برنارد . لغة السياسة في الإسلام / ترجمة إبراهيم شتا . - قبرص : دار قرطبة ، ١٩٩٣ م . - ص ١٧٣ .
- ١٦٠ - لويس ، بيرنارد . مسألة الاستشراق . - ص ١٥٩ - ١٨٢ . - في : هاشم صالح ، معد ومتلجم . الاستشراق بين دعاته ومعارضيه . - ط ٢ . - بيروت : دار الساقى ، ٢٠٠٠ م . - ص ٢٦١ .
- ١٦١ - لويس ، بيرنارد . مستقبل الشرق الأوسط : تنبؤات . - بيروت : رياض الرئيس ، ٢٠٠٠ م . - ص ١٤٠ .
- ١٦٢ - لويس ، بيرنارد وإدوارد سعيد . الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية . - بيروت : دار الجيل ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م . - ص ١٣٣ .
- ١٦٣ - ماسيه ، هنري . الإسلام / ترجمة بهيج شعبان ، تقديم مصطفى الرافعى ، تعليق محمد جواد مغنية . - ط ٣ . - بيروت : منشورات عويدات ، ١٩٨٨ م . - ص ٢٨٢ .



- ١٦٤ - ماكوري، دون م. التنصير: خطة لتنصير العالم. - د.م. د.ن. ، (١٩٧٨م). - ص ٤١٠.
- ١٦٥ - مبارك، زكي. نفعهم أكثر من ضررهم. - الهلال. - ع ٢ مع ٤٢ (١٢/١٣٥٢ هـ). - ص ٣٢٥ - ٣٢٨.
- ١٦٦ - مجلة الرائد. يوم المسجد المفتوح في ألمانيا: حوار مع د. نديم إلياس. - مجلة الرائد. - ع ١٩٤ (١٤١٨/١١ هـ). - ص ١٩٩٧.
- ١٦٧ - مجید، کمال. العنف: دراسة لأثر العولمة على الشعوب المقهورة. - لندن: دار الحكمة، ٢٠٠١م. - ص ٢١٧.
- ١٦٨ - محفوظ، عصام. الإرهاب بين السلام والإسلام. - بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٣م. - ص ١٨١.
- ١٦٩ - محفوظ، محمد. الإسلام، الغرب وحوار المستقبل. - الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨. - ص ٢٣٠.
- ١٧٠ - محمد، مهاتير. خطة جديدة لآسيا/ ترجمة فاروق لقمان. - دار الإحسان: بيلاندوك للنشر، د.ت. - ص ٢٣٠.
- ١٧١ - محمد، مهاتير وشتاترو إيشيهارا. صوت آسيا: زعيمان آسيويان يناقشان أمور القرن المقبل. - بيروت: دار الساقية، ١٩٩٨م. - ص ١٢٥.
- ١٧٢ - محمد، مهاتير (محاضير). العولمة والواقع الجديد/ تحرير هاشم مقر الدين. - دار الإحسان: مكتب رئيس الوزراء الماليزي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. - ص ٢٥١.

- ١٧٣ - محمود، سلام شافعي. أهل اللمة في مصر في العصر الفاطمي الأول. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥ م. - ص ٣٢٧ . - (سلسلة تاريخ المصريين؛ ٧٥).
- ١٧٤ - محمود، عبدالحليم. أبو ذر الغفارى والشيوخية. - ط ٤ . - القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٥ م. - ص ٨٧.
- ١٧٥ - محمود، علي عبدالحليم. الغزو الفكري وأثره على المجتمع المسلم. - ط ٣ . - القاهرة: دار المنار الحديثة، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٩ م. - ص ٢٠٨ .
- ١٧٦ - المدرسي، هادي. ثللا يكون صدام حضارات: الطريق الثالث بين الإسلام والغرب. - بيروت: دار الجديد، ١٩٩٦ م. - ص ١٧٤ .
- ١٧٧ - مرسي، محمد عبدالعزيز. التغريب في التعليم في العالم الإسلامي. - الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م. - ص ٩٢ . - (سلسلة من يتابع الثقافة؛ ١٩).
- ١٧٨ - المسيري، عبدالوهاب. العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة. - ٢ مج. - القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.
- ١٧٩ - المسيري، عبدالوهاب. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. - ط ٢ . - القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥ م. - ١: ١٥٦ - ١٥٨ .
- ١٨٠ - مصطفى، هالة. الإسلام والغرب: من التعايش إلى التصادم.

- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢ م. - ص ١٤٤ . - (سلسلة مكتبة الأسرة: الأعمال الفكرية).
- ١٨١ - مطّقاني، مازن بن صلاح. الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي : دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس. - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٦٥هـ / ١٩٩٥م. - ص ٦١٤.
- ١٨٢ - مطّقاني، مازن. الغرب من الداخل: دراسة للظواهر الاجتماعية. - أنها: نادي أنها الأدبي، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م. - ص ١١٥.
- ١٨٣ - ملوف، أمين. الحروب الصليبية كما رأها العرب / ترجمة عفيف دمشقية. - ط ٢ . - بيروت: دار الفارابي ، ١٩٩٨م . - ص ٣٥٢.
- ١٨٤ - المقرizi، تقي الدين أحمد بن علي . السلوك لمعرفة الدول والملوک. - ط ٢ . - القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٧٠م . - ١(٣): ص ٩٠٩ - ٩١٣ .
- ١٨٥ - مكتب التربية العربي لدول الخليج. أمة معرضة للخطر. - الرياض: المكتب، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م . - ص ٧٠.
- ١٨٦ - الومي، حسن. أهل الذمة في الحضارة الإسلامية / تقديم الشاذلي القليبي . - بيروت: دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٨م . - ص ٢٠٧.
- ١٨٧ - المؤدب، عبد الوهاب. أوهام الإسلام السياسي / نقله إلى



العربية محمد بنيس وعبد الوهاب المؤدب. - بيروت: دار النهار، ٢٠٠٢ م. - ص ٢٣١.

١٨٨ - موصللي، أحمد. حقيقة الصراع: الغرب والولايات المتحدة والإسلام السياسي. - (بيروت): عالم ألف ليلة وليلة، ٢٠٠٣ م. - ص ٢١٣.

١٨٩ - المولى، سعود. الحوار الإسلامي المسيحي: ضرورة المغامرة/ قدم له الشيخ محمد مهدي شمس الدين. - بيروت: دار المنهل اللبناني، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م. - ص ٢٤٨.

١٩٠ - ميسان، تيري. ١١ أيلول ٢٠٠١: الخديعة المرعبة/ ترجمة سوزان قازان ومايا سلمان. - دمشق: دار كنعان، ٢٠٠٢ م. - ص ٢١٨.

١٩١ - ابن نبي، مالك. شروط النهضة. - دمشق: دار الفكر، ١٩٧٩م. - ص ٤٢.

١٩٢ - الندوة العالمية للشباب الإسلامي. الأقليات المسلمة في العالم: ظروفها المعاصرة - آلامها - آمالها، (أبحاث وواقع) المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في الرياض في الفترة من ١٢ - ١٧ جمادى الأولى ١٤٠٦هـ الموافق ٢٢ - ٢٣ يناير ١٩٨٦م). - ٣ مجلد. - الرياض: الندوة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م. - ص ١٤٣١.

١٩٣ - الندوة العالمية للشباب الإسلامي. الموسوعة الميسّرة في



- الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة / ياشraf مانع بن حمّاد الجهنفي . - ط . ٥ . - ٢ مج . - الرياض : دار الندوة العالمية ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م . - ص ١٢٤ .
- ١٩٤ - الندوى ، أبو الحسن علي الحسني . الإسلام والغرب . - بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥ هـ / ١٤٠٥ م . - ص ٣٢ .
- ١٩٥ - النملة ، علي بن إبراهيم الحمد . الاستشراق والدراسات الإسلامية : مصادر المستشرقين ومصادر ريتهم . - الرياض : مكتبة التوبية ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م . - ص ٢٦٢ .
- ١٩٦ - النملة ، علي بن إبراهيم . الاستشراق والرسول (: مقدمة لنقد ورافي «بليوجرافي » . - مجلة الجامعة الإسلامية . - ع ١٤٧ مج ٤٢ (١٤٣٠ هـ - ديسمبر ٢٠٠٨ م) . - ص ١٦٧ . ٢٠٣
- ١٩٧ - النملة ، علي بن إبراهيم . إشكالية المصطلح في الفكر العربي : الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات . - الرياض : المؤلف ، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م . - ص ٢٥٠ .
- ١٩٨ - النملة ، علي بن إبراهيم الحمد . التنصير في المراجع العربية : دراسة ورصد ورافي للمطبوع . - الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م . - ص ٤١٩ .
- ١٩٩ - النملة ، علي بن إبراهيم . التنصير القسري وأثره في التعدي على الحرّيات الدينية . - الرياض : هيئة حقوق الإنسان ، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م . - ص ٤٧ .

- ٢٠٠ - النملة، علي بن إبراهيم الحمد. التنصير: المفهوم - الوسائل المواجهة. - ط ٥. - الرياض: المؤلف، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م. - ص ٢٨٥.
- ٢٠١ - النملة، علي بن إبراهيم. السعوديون والخصوصية الدافعة: وقفات مع مظاهر التميّز في زمن العولمة. - الرياض: مكتبة العيikan، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م. - ص ٣١٢.
- ٢٠٢ - النملة، علي بن إبراهيم الحمد. ظاهرة الاستشراق: دراسة في المفهوم والارتباطات. - الرياض: مكتبة التوبية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م. - ص ٢١٠.
- ٢٠٣ - النملة، علي بن إبراهيم الحمد. المستشركون والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهرتين، مع نماذج من المستشرين المتنصرين. - الرياض: مكتبة التوبية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م. - ص ١٧٨.
- ٢٠٤ - النملة، علي بن إبراهيم الحمد. العولمة وتهيئة الموارد البشرية في منطقة الخليج العربية. - ط ٢. - الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م. - ص ١٧٦.
- ٢٠٥ - النملة، علي بن إبراهيم. فكر التصدّي للإرهاب: المفهوم - الأسباب - الأوزار. - الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م. - ص ١١٥.
- ٢٠٦ - النملة، علي بن إبراهيم. مجالات التأثير والتأثير بين الثقافات: الميثاقنة بين شرق وغرب. - الرياض: المؤلف، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. - ص ١٧٩.



- ٢٠٧ - النملة، علي بن إبراهيم. نقد الفكر الاستشرافي: الإسلام - القرآن الكريم - والرسالة. - الرياض: المؤلف، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. - ص ٢٨٠.
- ٢٠٨ - النملة، علي ابن إبراهيم الحمد. النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية. - ط ٣. - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م. - ص ٢٠٤.
- ٢٠٩ - التوبدي، سالم عبدالله سالم. المسيحية والإسلام بين حوار الفكر وحرب المبشرين. - بيروت: دار الأمر، ٢٠٠١م. - ص ١٤٤.
- ٢١٠ - آل نواب، عبدالرب نواب الدين. وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار. - في: المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب. - الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م. - ص ٤٨.
- ٢١١ - هارون، عبدالسلام. تهذيب سيرة ابن هشام. - ط ٢. - القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، ١٣٨٣هـ / ١٩٧٨م. - ص ٤٧١.
- ٢١٢ - هالسل، غريس. يد الله: لماذا تضحي الولايات المتحدة بمصالحها من أجل إسرائيل / ترجمة محمد السمك. - ط ٢. - القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م. - ص ١٢٢.
- ٢١٣ - هالي، أليكس. الجنور: كونتا كيتي / أعدّها بتصريف عن القصة الكاملة خليل حتّى تدرس. - القاهرة: مطبعة مصر، ١٩٩١م. - ص ١٧٦.



- ٢١٤ - هاليداي، فريد. الإسلام وخرافة المواجهة: الدين والسياسة في الشرق الأوسط / ترجمة محمد مستجير. - القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٧م. - ص ٢٦٠.
- ٢١٥ - هاليداي، فريد. الإسلام والغرب: خرافة المواجهة، الدين والسياسة في الشرق الأوسط / ترجمة عبدالإله النعيمي. - بيروت: دار الساقي، ١٩٩٧م. - ص ٢٥٩.
- ٢١٦ - هاليداي، فريد. ساعتان هزتا العالم ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١: الأسباب والتائج / ترجمة عبدالإله النعيمي. - بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٠م. - ص ٢٥٦.
- ٢١٧ - هلال، رضا. المسيح اليهودي ونهاية العالم: المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا. - القاهرة: مكتبة الشروق، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م. - ص ٢٧٢.
- ٢١٨ - هنتنغتون، صاموئيل وآخرون. الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها. - بيروت: مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، ٢٠٠٠م. - ص ٩٩٩.
- ٢١٩ - هنتنغتون، صاموئيل. صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي / ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح فقصوه. - ط ٢. - القاهرة: سطور، ١٩٩٩م. - ص ٢٢٥ + الهوامش.
- ٢٢٠ - هنتنغتون، صاموئيل. صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي / ترجمة مالك عبيد أبو شهيبة ومحمد خلف. - مصراتة (ليبيا): الدار الجماهيرية، ١٩٩٩م. - ص ٣٩٠.



- ٢٢١ - الهواري، حسين. ضررهم أكثر من نفعهم. - الهلال. - ع ٤٢ مج (١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م). - ص ٣٢٤.
- ٢٢٢ - الهويمل، حسن بن فهد. الفوقيّة الحضاريّة. - المنهل. - ع ٤٧١ (مج ٥٠)، (رمضان وشوال ١٤٠٩ هـ - أبريل ومايو ١٩٨٩ م). - ص ٢٧٧ - ٢٩٢.
- ٢٢٣ - الوزَان، عدنان بن محمد بن عبد العزيز. موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام وسماتها في المملكة العربية السعودية. - ع ٨ مج. - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥ م.
- ٢٢٤ - يماني، محمد عبده. المسلمين السود في أمريكا: القصة كاملة. - جدة: المؤلف، ١٤٢٧ هـ. - ص ٤١٤.
- ٢٢٥ - يمين، مثال. العولمة والإرهاب الثقافي. - شؤون الأوسط. - ع ١١٣ (شتاء ٢٠٠٤). - ص ٦٧ - ٨٢.
- ٢٢٦ - يونس، أحمد. المسلمين الأمريكيون: أقسام أن أقول الحق؟ ترجمة نشأت جعفر. - القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م. - ص ٦٤.
- 227 - Bucaille, Maurice. The Bible the Qur'an and Science. - translated from French by Alastair D. Pannell and the Author -. Indianapolis: North American Trust, 1978. - p253.
- 228 - Lewis, Bernard. The Assassins: A Radical Sect in Islam -. London: Al Saqi Books, 1985. - p166.
- 229 - Lewis, Bernard. The Crisis of Islam: Holy War and Unholy Terror. - London: Author, 2003. - p175.



- 230 - Lewis, Bernard. The Political Language of Islam. - Chicago: The University of Chicago, 1988. - p168.
- 231 - Lewis, Bernard. What Went Wrong: Western Impact and middle Eastern Response - . London: Author; 2002. - p200.
- 232 - Sniegoski, Stephen J.. The War on Iraq conceived in Israel. - WTM Enterprises, 2003. - p31.
(www.thronwalker.com/dith/snug/concl.htm).



السيرة الذاتية للمؤلف

- الاسم: علي بن إبراهيم الحمد النملة.
- مكان الميلاد: البكيرية بمنطقة القصيم بالمملكة العربية السعودية.
- تاريخ الميلاد: ٢/١٣٧٢ هـ - الموافق ١٩٠٢/١٠/١٩ م.
- التعليم العام: الرياض ١٣٧٧ - ١٣٩٠ هـ.
- الدراسة الجامعية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في المملكة العربية السعودية. ١٤٩٤هـ / ١٩٧٤م. التخصص: اللغة العربية.
- الماجستير: جامعة فلوريدا الحكومية بتالاهاسي في الولايات المتحدة الأمريكية. ١٤٩٩هـ / ١٩٧٩م. التخصص: المكتبات والمعلومات.
- الدكتوراه: جامعة كيس وسترن رزرف بكيليفلاند، أوهايو في الولايات المتحدة الأمريكية. ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م. التخصص: المعلومات والمكتبات.



- أستاذ: ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.
- باحث في معهد العلوم العربية والإسلامية بفرانكفورت بألمانيا ١٤٠٥ - ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ - ١٩٨٦ م.
- مدير الشؤون الدراسية بالملحقية الثقافية السعودية في واشنطن، الولايات المتحدة الأمريكية ١٤٠٩ - ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ - ١٩٩٠ م.
- مدير عام الهيئة العامة لجمع التبرعات للمجاهدين الأفغان ١٤١٠ - ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ - ١٩٩٠ م.
- عضو مجلس الشورى بالمملكة العربية السعودية، ١٤١٤ هـ - ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٤ - ١٩٩٩ م.
- وزير العمل والشؤون الاجتماعية في المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠ - ١٤٢٥ هـ / ١٩٩٩ - ٢٠٠٤ م.
- وزير الشؤون الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥ م.
- أستاذ المكتبات والمعلومات بكلية علوم الحاسوب الآلي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م - .
- عضو عدد من جمعيات القطاع الثالث.
- باحث في الشأن الاستشرافي والتنصيري والعلاقات الفكرية والحضارية بين الشرق والغرب.

الأعمال العلمية:

أولاً: الكتب:

- ١ - الاستشراق في الأدبيات العربية: عرض للنظارات ورصد ورافي للمكتوب . - الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م . - ص ٣٧٠.
- ٢ - الاستشراق والدراسات الإسلامية: مصادر المستشرقين ومصدر ريتهم . - الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م . - ص ٢٦٢ . - (موسوعة الدراسات الاستشرافية؛ ٣).
- ٣ - إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي: دراسة تحليلية، ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة . - الرياض: المؤلف، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م . - ص ١٩٨ . - (موسوعة الدراسات الاستشرافية؛ ٤).
- ٤ - إشكالية المصطلح في الفكر العربي: الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات . - الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م . - ص ٢٥٠.
- ٥ - الالتفاف على الاستشراق: محاولات التناصل من المصطلح . - الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م . - ص ١٨٢ . - (موسوعة الدراسات الاستشرافية؛ ٥).
- ٦ - تأملات في طريق الدعوة: جولات في الزمان والمكان والتحديات . - الرياض: مكتبة العيikan، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م . - ص ٢٥٠.



- ٧ - التنصير في الأديّات العربية. - الرياض: جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م. - ص ٢٧٢.
- التنصير في المراجع العربية: دراسة ورصد ورافي للمطبوع. - ط ٢. - الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م. - ص ٤١٩.
- ٨ - التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته. - القاهرة: دار الصحوة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م. - ص ١٢٠.
- التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته. - ط ٢. - الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.. - ص ١٥٢.
- التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته. - ط ٣. - الرياض: المؤلف، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م. - ص ١٦٧.
- التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته. - ط ٤. - الرياض: المؤلف، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م. - ص ٢٤٨.
- التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته. - ط ٥. - الرياض: المؤلف، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. - ص ٣٠٥.
- ٩ - ثقافة العبث: سلوكيات عبئية في زمن الفاقة. - الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م. - ص ٢٤٥.
- ١٠ - الجهاد والمجاهدون في أفغانستان: وقفات تقويم. - الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م. - ص ١٢٥.
- ١١ - السعوديون: الثبات والنماء.. - الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.. - ص ٣١٤.



- ١٢ - السعوديون والخصوصية الدافعة: وقفات مع مظاهر التميز في زمن العولمة . . - الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م . . - ص ٢٤٥.
- ١٣ - الشرق والغرب: محددات العلاقات ومؤثّراتها . - الرياض: المؤلّف، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م . . - ص ٢٤٨.
- ١٤ - الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدداتها . - ط ٢ . - بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م . . - ص ١٧٣.
- ١٥ - الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدداتها . - ط ٣ . - بيروت: بيisan، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م . . - ص ٣٢٠.
- ١٦ - الصراع العربي في الكويت: فرض الأفكار قسراً . - الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م . . - ص ١٥٢.
- ١٧ - صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الاستشراق في افتعالها . - دمشق: دار الفكر، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٩م . . - ص ١٧١ . - (سلسلة نقد العقل المعاصر).
- ١٨ - ظاهرة الاستشراق: مناقشات في المفهوم والارتباطات . . - الرياض: مكتبة التوبة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م . . - ص ٢١٠ . - (موسوعة الدراسات الاستشرافية؛ ١).
- ١٩ - العمل الاجتماعي والخيري في منطقة الخليج العربية: التنظيم - التحديات - المواجهة، الرياض: المؤلّف، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م . . - ص ٢٥٠.
- ٢٠ - الفكر بين العلم والسلطة: من التصادم إلى التعايش . -

- الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م. - ص ٢٧٧.
- الفكر بين العلم والسلطة: من التصادم إلى التعايش. - ط ٢.
 - الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م. - ص ٢٩٠.
- ١٩- فكر الاتنماء في زمن العولمة: وقفات مع المفهومات والتطبيقات. - الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م. - ص ٣٢٤.
- ٢٠- فكر التصدّي للإرهاب: وقفات مع المفهوم والأسباب والأوزار. - الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م. - ص ١١٣.
- ٢١- مجالات التأثير والتأثير بين الثقافات: المثقفة بين شرق وغرب.
- الرياض: المؤلف، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. - ص ١٧٧.
- ٢٢- مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين. - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م. - ص ١٣٢.
- مراكز النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية. - ط ٢.
 - الرياض: المؤلف، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م. - ص ٢٠٠.
- النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية. - ط ٣.
 - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م. - ص ٢٠٤.
- التجسير الحضاري بين الأمم في ضوء تناقل العلوم والأداب والفنون. - الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م. - ص ١١١.
- ٢٣- المستشرقون والإسلام: رصد ورافي «بibilio جغرافي». -



- الرياض: المؤلف، هـ١٤٣١ / م٢٠١٠ . - ص ٢٣٠ . - (سلسلة موسوعة الدراسات الاستشرافية ٤). ٢٤ - المستشرقون والستة والسبعين: رصد ورافي «ببليوجرافي». - الرياض: المؤلف، هـ١٤٣١ / م٢٠١٠ . - ص ١٣٠ . - (سلسلة موسوعة الدراسات الاستشرافية ١١). ٢٥ - المستشرقون والقرآن الكريم: رصد ورافي «ببليوجرافي». - الرياض: المؤلف، هـ١٤٣١ / م٢٠١٠ . - ص ٢٢٠ . - (سلسلة موسوعة الدراسات الاستشرافية ٤). ٢٦ - المستشرقون وعلوم المسلمين: رصد ورافي «ببليوجرافي». - الرياض: المؤلف، هـ١٤٣١ / م٢٠١٠ . - ص ٢٣٠ . - (سلسلة موسوعة الدراسات الاستشرافية ٤). ٢٧ - المستشرقون ونشر التراث: دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر. - ط ٢ . - الرياض: مكتبة التوبية، هـ١٤٢٤ / م٢٠٠٣ . - ص ١٩١ . - (موسوعة الدراسات الاستشرافية ٤). ٢٨ - نقد الاستشراق: رصد ورافي «ببليوجرافي». - الرياض: المؤلف، هـ١٤٣١ / م٢٠١٠ . - ص ٢٣٠ . - (سلسلة موسوعة الدراسات الاستشرافية ٤). ٢٩ - مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين: استقراء للمنهاج. - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، هـ١٤١٤ / م١٩٩٣ . - ص ٥٦ . - (ضمّن في كتاب: الاستشراق والدراسات الإسلامية).



- ٣٠ - المكتبات والمعلومات السعودية: وقفات صحفية. - الرياض: مكتبة العيكان، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م. - ص ٢٨٤.
- ٣١ - مصادر المعلومات عن الأدب الجاهلي: رصد ورافي. - الرياض: مكتبة التوبية، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.. - ص ٢٦٠.
(بالاشتراك مع: أ. د. عفيف محمد عبدالرحمن).
- ٣٢ - المستشركون والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهريتين، مع نماذج من المستشرقين المنصرين. - الرياض: مكتبة التوبية، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م. - ص ١٧٨. - (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٤).
- ٣٣ - مواجهة الفقر: المشكلة وجوانب المعالجة. - الرياض: المجلة العربية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. - ص ٣٩. - (سلسلة كتب المجلة العربية؛ ٩٠). (بالاشتراك مع: أ. د. صالح بن محمد الصفيّر).
- ٣٤ - نقد الفكر الاستشرافي: الإسلام، القرآن الكريم، الرسالة. - الرياض: المؤلف، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م. - ص ٢٧٩.
- ٣٥ - هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهوين والتهويل. - الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م. - ص ٢٣٠.
- ٣٦ - وبشر الصابرين: كلمات في رجال تركوا أثراً. - الرياض: المؤلف، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. - ص ٢٤٠.
- ٣٧ - وبشر الصابرين: كلمات في رجال تركوا أثراً. - ط ٢. - الرياض: المؤلف، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. - ص ٢٩٨.



٣٧ - الورقة وأشهر أعمال الورّاقين: دراسة في النشر القديم ونقل المعلومات . - الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٠م . - ص ١٩٠ .

● الورقة والوراقون: دراسة في النشر القديم للكتاب . - بيروت : بيسان ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م . - ص ٤٢ . - (في الإعداد) .

٣٨ - وقفات حول العولمة وتهيئة الموارد البشرية . - الرياض : المجلة العربية ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م . - ص ٦٦ . - (سلسلة كُتِبَ المجلة العربية ، ٧٣) .

● وقفات حول العولمة وتنمية الموارد البشرية . - القاهرة : مجلة العمل ، ٢٠٠٣م . - ص ٤٦ . (سلسلة كتاب العمل ، ٥٢٥) .

● العولمة وتهيئة الموارد البشرية في منطقة الخليج العربية . - ط ٢ . - الرياض : المؤلف ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م . - ص ١٧٦ .

39 - Infrastructure of Information Needs and Resources in the Country of Saudi Arabia: an Assessment - . Ph. D. Dissertation - . Cleveland, Ohio (USA): Matthew A. Baxter School of Information and Library Science, Case Western Reserve University, May 1984 - p280 .

ثانياً: مقالات وبحوث علمية: (مرتبة هجائية)

١ - الآتجار بالبشر: العلاج بالوقاية . - ورقة عمل مقدمة للحلقة العلمية حول مكافحة الآتجار بالأطفال بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض محرم ١٤٢٧هـ / فبراير ٢٠٠٦م . - ص ١٧ .



- ٢ - أثر الاستشراق في المحملة على رسول الله ﷺ. - مجلة الجامعة الإسلامية. - ع ١٤٧ مع ٤٢ (١٤٣٠ هـ - ديسمبر ٢٠٠٨ م). - ص ١٦٥ - ٢٠٣.
- ٣ - الإرهاب: المفهوم والهوية. - الكويت: وزارة التعليم العالي، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.
- ٤ - الاستثناء الثقافي في مواجهة الكونية: ثنائية الخصوصية والuniversal. - القاهرة: مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب، ١١/٨ /١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م. - ص ٣٨.
- ٥ - الاستشراق مصدرًا من مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي: قضايا المسلمين المعاصرة، الصحوة «الأصولية». - في: ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي . - الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م. - ص ٣٤.
- ٦ - الاستشراق والإسلام: مقدمة لنقد ورافي «بليوجرافي». - مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. -
- ٧ - الاستشراق والإعجاز في القرآن الكريم: دراسة في النقد الذاتي للاستشراق. - ص ٢٥١١ - ٢٥٣٤ . - في: المؤتمر الدولي الثالث: العلوم الإسلامية والعربية وقضايا الإعجاز في القرآن والستة بين التراث والمعاصرة ١٤٢٨ هـ - ١٦ صفر ٢٠٠٧ م. - الموافق ٤ - ٦ مارس ٢٠٠٧ م. - المنيا: كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.
- ٨ - الاستشراق والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهرتين تؤثران على فكر الشباب تلقياً وتفاعلأً. - في: المؤتمر السادس للندوة



- العالمية للشباب الإسلامي . - عُمان: الندوة العالمية للشباب الإسلامي . - ٢٦ ص.
- ٩ - الاستشراق والقرآن الكريم: مقدمة لفقد ورافي «بليوجرافى» . - مجلة البحث والدراسات القرآنية (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة) . - ع ٣ (١٤٢٨ / ١) . - ص ١٩٥ - ٢٢٩ م) . - ص ٢٠٠٧ .
- ١٠ - الاستشراق مصدر من مصادر المعلومات عن التراث . - في: دراسات إسلامية . - بريدة: نادي التصميم الأدبي ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م . - ص ٦٩ - ٩٩ .
- ١١ - إشكالية المصطلح المقصول للغربية: نظرة عامةً ونماذج . - (محاضرة) الدمام: منتدى الزامل ، ١٤٣٠ هـ / ٢٢ / ٥ - ١٧ / ٥ . - ص ٢٠٠٩ .
- ١٢ - الإصلاح في دور الرعاية (محاضرة). جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية والغرفة التجارية الصناعية بجدة . - ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م . - ص ١٠ .
- ١٣ - اضطراب المصطلح المنسوب من الآخر: نماذج من مصطلحات قلقة . - المنيا: كلية دار العلوم، جامعة المنيا ، ١٤٣١ هـ / ٢٠٠٩ م . - ص ٣٧ .
- ١٤ - الإعلام وأثاره الإيجابية والسلبية في حياة الأقليات المسلمة . - في: ملتقى خادم الحرمين الشريفين الإسلامي الثقافي: فقه الأقليات ٨ - ١٤١٩ / ٤ / ١٠ هـ الموافق ٢١ / ٨ / ٧ - ٢ / ٧ . - ص ١٨ .



- ١٥ - الإفادة من الوسائل الحديثة في الدعوة. - أدبيرة: جامع خادم الحرمين الشريفين بأدبيرة.
- ١٦ - الالتفاف على الاستشراق: محاولة التخلص من المصطلح. - ص ٧٣٧ - ٧٧٥ . - في: المؤتمر الدولي الثاني: المستشرقون والدراسات العربية الإسلامية ٤ - ٦ صفر ١٤٢٧ - الموافق ٤ مارس ٢٠٠٦ م. - المنيا: كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦ م. - ص ١٥٦٦.
- ١٧ - أوقاف الكتب والمكتبات: مدى استمرارها، ومعوقات الإفادة منها. - العقيق. - ع ٢٧ - ٢٨ (رمضان - ذو الحجة ١٤٢٠هـ / ديسمبر ١٩٩٩ - مارس ٢٠٠٠م). - ص ٢٥١ - ٢٧٢ . ونشرت في: بحوث ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية المنعقدة في المدينة المنورة في المدة من ٢٥ - ٢٧ محرم ١٤٢٠هـ. - الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م . - ص ٥٤٥ - ٥٧٠ .
- ١٨ - البطالة والفقر في البلاد العربية وأثرهما على الخطة الأمنية العربية. - ورقة مقدمة في: ملتقى الإستراتيجيات الأمنية العربية: الواقع والتطلعات الذي عقده جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية بالخرطوم من ٢١ - ٢٣ / ١ / ٢١ - ٢٣ . ص ٤٣ . م ٢٠٠٩ / ١٢ .
- ١٩ - البنية الأساسية لنظام وطني للمعلومات. - مكتبة الإدارة. - مع ١٣ ع (محرم ١٤٠٦هـ/أكتوبر ١٩٨٥م) . - ص ٢٦٣ - ٢٨١ .
- ٢٠ - التجهيزات الأساسية للمعلومات. - مكتبة الإدارة. مع ١٢ ، ع ٣٤٥



- ٢ (جمادي الأولى ١٤٠٥هـ / يناير - فبراير ١٩٨٥م). ص ٢٣ - ٣٨.
- ٢١ - التّجّار والمسؤولية الاجتماعية. - القصيم. - ع ١١٤ (٣/١٤٢٨ - ٢٠٠٧/٣م). - ص ١٠ - ١١.
- ٢٢ - التّنصيرُ القسرِيُّ وتأثيرُه في التّعدي على الحريّات الدينية. - الرياض: هيئة حقوق الإنسان، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م. - ص ٥٠.
- ٢٣ - تنمية العمل الخيري. - الدوحة: مؤسسة عبد بن محمد آل ثاني الخيرية، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- ٢٤ - تنمية العمل الاجتماعي: تحقيق المسؤولية الاجتماعية (محاضرة). - الدمام: مجلس الحصيني، ١٤٣٠هـ / ٥/١٠ م ٢٠٠٩/٥ - ص ٥٠.
- ٢٥ - تنمية العمل الاجتماعي في دول الخليج العربية بين الواقع وتطورات المستقبل. - لندن: مركز الإمارات للدراسات والإعلام، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م. - ص ٤٣.
- ٢٦ - الثوابت والإستراتيجيات في الإعلام السعودي. - في: وزارة الإعلام. مسيرة الإعلام السعودي. - الرياض: الوزارة، ١٤١٩هـ (١٩٩٩م). - ص ١٠١ - ١١٧.
- ٢٧ - خدمات المكتبات والمعلومات في المملكة العربية السعودية: عرض لما كُتب باللغة الإنجليزية. - حولية المكتبات والمعلومات (قسم المكتبات والمعلومات بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض). - ع ١ (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م). - ص ١٠٣ - ١٢٩.



- ٢٨- الخدمات المكتبة للمعاقين في المناطق الصناعية. - مجلة المكتبات والمعلومات العربية. - مجل ٦ ع ٢ (١٤٠٦/٨) - . ص ٥٥ - ٦٤ (١٩٨٦م).
- ٢٩- خواطر حول إدارة العمل الاجتماعي. - الرياض: كلية اليمامة، (يوم الاثنين ٢٢/١٠/١٤٢٧هـ - الموافق ١٣/١١). - ص ١٤ (٢٠٠٦م).
- ٣٠- دار الوراقة الخليجية. - عالم الكتب ..
- ٣١- رحلات المستشرقين مصدرًا من مصادر المعلومات عن العرب وال المسلمين. - مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية. - مجل ١ ع ١ (محرّم - جمادى الآخرة ١٤١٦هـ/يوليو - ديسمبر ١٩٩٥م). - ص ٣٩ - ٨١.
- ٣٢- العجز في القوى العاملة وتأثيره على خدمة الكتاب. - عالم الكتب. - مجل ٥ ع ٣ (١٤٠٥/١) - (١٩٨٤م). - ص ٤٨٣ - ٤٩٢.
- ٣٣- علي كراع النمل. - مجلة الحرس الوطني. - مجل ٩ ع ٩ (١٤٩٩/٩٩ - ١٤٩٩هـ - ١٩٨٩م). - ص ٩٩٩ - ٩٩٩.
- ٣٤- العمل الاجتماعي والتحديات المعاصرة. - المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م. - (محاضرة).
- ٣٥- العمل التطوعي. الغرفة التجارية الصناعية بالمنطقة الشرقية. - ٢/١ (١٤٣٠هـ - ٢٧/١/٢٠٠٩م). - (محاضرة).
- ٣٦- عوامل يلزم اعتبارها عند التخطيط لبرامج المكتبات



- ١- والمعلومات في المناطق النامية. - عالم الكتب. - مجل ٣ ع ١
 (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م). - ص ٦ - ١٠ .
- ٢- العولمة الفكرية. - دارين الثقافية. - ع ١١ (١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م). - ص ١٦ - ٢٢ .
- ٣- العولمة وتهيئة الموارد البشرية. - الدوحة: وزارة الطاقة والصناعة في ٢٣ - ٢٥ / ١٤٢٣ هـ - الموافق ٦ / ٨ / ٢٠٠٢ م. ص ٣٠ . (محاضرة).
- ٤- كتاب الفوائد النفيسة الباهرة في بيان حكم شوارع القاهرة في مذاهب الأئمة الأربعة لأبي حامد المقدسي (٨١٩ - ٩٨٨٨) تحقيق ونشر). - العصور. - مجل ٣ ع ٢ (١٤٠٨ هـ - ٧ / ١٩٨٨ م). - ص ٣١٣ - ٣٥٨ .
- ٥- كُنه الاستشراق: مناقشات في التعريف والنشأة والدافع والأهداف. - في: دراسات استشرافية وحضارية: كتاب دوري محكم، ع ١ . - المدينة المنورة: كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م. - ص ٦٠ - ٢٢ .
- ٦- مراصد «بنوك» المعلومات والجامعات العربية. - مجلة المكتبات والمعلومات العربية. - مجل ٨ ع ٣ (١٤٠٩ هـ / ١١ / ١٩٨٨ م). - ص ٥ - ٢٨ .
- ٧- مستقبل الكتاب المطبوع. - عالم الكتب. - مجل ٣ ع ٢ (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م). - ص ١٦٢ - ١٧٠ .



- ٤٣ - المكتبة الافتراضية والتراث العربي . - الدار البيضاء: الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات ، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م . - ص ٨ .
- ٤٤ - مناهج التأثير والتأثير بين الثقافات: المثقفة بين شرق وغرب . - أنها: النادي الأدبي بعسیر ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م . - ص ٣٨ . (محاضرة) .
- ونشرت في مجلة بيادر الصادرة عن النادي الأدبي بعسیر .
- ٤٥ - منهج التأثير والتأثير في العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب: حال العرب والألمان . - ص ٣١١ - ٣٣٦ . - في: المؤتمر الدولي الرابع : الثقافة العربية الإسلامية: الوحدة والتنوع . - ١ - ٣ ربيع الأول ١٤٢٩ هـ الموافق ٩ - ١١ مارس ٢٠٠٨ م . - المنيا: كلية دار العلوم، جامعة المنيا ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م .
- ٤٦ - منطلقات ثقافية لحقوق الإنسان وإشكالية المصطلح . - باريس: اليونسكو ، ١٤٢٩ هـ / ١٢ / ٥ - ١٢ / ٣ - ٢٠٠٨ م . - ص ٢٧ .
- ٤٧ - الموسوعة الفكرية عبد الوهاب المسيري . - (محاضرة) النادي الأدبي بالرياض (السبت ٦ / ٢٠ ١٤٣٠ هـ الموافق ٦ / ١٣ ٢٠٠٩ م) . - ص ٨٠ .
- ٤٨ - نظرة المستشرقين للملك عبدالعزيز وجهوده في توحيد المملكة العربية السعودية . - في: بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مئة عام ٧ - ١٤١٩ هـ الموافق ٢٤ / ٢٨ ١٩٩٩ م . - الرياض: الأمانة العامة للمؤتمر ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م . - ص ٤٦ .



- ٤٩ - نقد الاستشراق: مقدمة لرصد ورافي «بليوغرافي». - مجلة جامعة الإمام محمد بن سلمان الإسلامية. - ع (١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م).
- ٥٠ - وقفات حول العولمة وتهيئة الموارد البشرية. - مجلة التعاون الصناعي في الخليج العربي (الدوحة). - ع ٨٩ (يوليو ٢٠٠٢ م) . - ص ٥٨ - ٧٥ .
- 51 - Cultural Issues in Human Rights and the Vagueness of Terminology - . Perth, Australia: Center for Studies of Muslim States and Societies, University of Western Australia, 2009 -. p20.
- 52 - Index of Information Utilizaion Potencial (IUP) as an Information Measure-. Arab Journal for Librarianship & Information Science -. v. 7, no.3 (7/1987) - . p. 4 - 14.
- 53 - Manpower Deficiency in Saudi Arabia: Its Effect on the Library and Information Profession -. International Library Review 14:3 - 20 (1982).
- 54 - Principles for Planning Library Education Programs in the Muslim World -. Journal of Muslim Social Scientists, 1982. p19.
- 55 - Principles for Planning Library Education Programs in the Muslim World-. Presented in the First Conference of Muslim Librarians and Information Scientists. Sponsored by the Muslim Students' Association. West Lafayette, Indiana: Purdue University, 1982. p18.



المحتويات

٧	التمهيد
١٣	الفِسْمُ الأوَّلُ: المِنْطَقَاتُ
١٥	المنطلق الأوَّل: الاهتمام
٢١	المنطلق الثاني: الحَقَائِقُ
٢٧	المنطلق الثالث: المَسْلَماتُ
٣٣	المنطلق الرابع: الجِغرَافِيَا
٣٩	المنطلق الخامس: التسويف
٤٣	القسمُ الثانِي: المَحَدُّدَاتُ
٤٥	المَحَدُّدُ الأوَّلُ: الجِهُوَيَّةُ
٥٠	المَحَدُّدُ الثانِي: الإِرْهَابُ
٦٩	المَحَدُّدُ الثالِثُ: الْحُقُوقُ
٧٧	المَحَدُّدُ الرَّابِعُ: الْعَرَقِيَّةُ
٨٣	المَحَدُّدُ الخَامِسُ: الْحَرُوبُ

٩٩	المحدّد السادس : اليهودية
١١٥	المحدّد السابع : الاحتلال
١٢٩	المحدّد الثامن : التنصير
١٥١	المحدّد التاسع : الاستشراق
١٨٩	المحدّد العاشر : الاستغراب
٢٠٥	المحدّد الحادي عشر : التغريب
٢١٣	المحدّد الثاني عشر : الاغتراب
٢١٩	المحدّد الثالث عشر : البغاث
٢٢٥	المحدّد الرابع عشر : العلمنة
٢٤٥	المحدّد الخامس عشر : العولمة
٢٦٥	المحدّد السابع عشر : الحوار
٢٩٥	الخاتمة : الخلاصة والتبيّحة
٣٠١	مراجع الكتاب
٣٣٤	السير الذاتية للمؤلف



يحمل هذا الكتاب عنوان: **الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدداتها**، ذلك أنه ينبغي أن يُنظر إليها على أنها محاولة لرصد عدد من العوامل، سواء في الماضي أم الحاضر، كان لها أثرٌ في تحديد العلاقة بين الشرق والغرب، فهي إذاً منطلقات ومحددات ومؤثّراتٍ في آنٍ واحد.

قد ينظر إلى هذه المحددات على أنها مؤثّرات، أكثر من كونها محددات، إلا أنَّ الأولى جعلها محددات على اعتبار أنها تحدّد العلاقة أكثر من كونها تؤثّر فيها، لا سيَّما أنها صاحبت ظهور الإسلام واستمرَّت معه حتى يومنا هذا. فهي في واقعها تغطي الأزمنة الثلاثة: الماضي والحاضر وربما المستقبل.

لا يهدف هذا الكتاب إلى اعتبار هذه المحددات والمؤثّرات من المسلمات، بل هي أطروحتات خاضعة للنقاش والحوار العلمي من قبل المتخصصين والمهتمّين في دراسة العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب.